التصوف بين الحق والخلق

تأليف

محمد فهر شقفة

الدار السلفية

الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م

الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

الناشر

الدار السلفيه للتوزيع والنشر

حولي شارع تونس - مقابل محافظة حولي

ت ٢٥١٧٤٢٠

ص . ب ٢٠٨٥٧ الصفاة

الأهـــداء

الى الامة التي وصفها الله تعالى في قرآنه الكريم :

(كنتم خير امــة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهــون عن المنكر وتؤمنــون بالله) .

الى الفتية الذين قال فيهم سبحانه في قرآنه الكريم .

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم مــن قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

الى الدعــاة المجــددين الذين يتساءلون عن سبب انهيار المجــد الاسلامي بعدما انطلق بالمسلمين بسرعة البرق ، فسادوا العالم ، وفتحوا الدنيا من المحيط الى المحيط .

أقــدم هــذا الــكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد الهادي باذن الله الى صراط مستقيم .

رايت في القاهرة منذ بضع سنين العجب العجاب . آلافاً من الناس تموج بهم الساحات والشوارع والأزقة ما بين الجامع الازهر ومسجد الحسين . نساء ورجالا واطفالا مدنيين وقرويين ، جهلة ومثقفين، البعض يرقصون ، وآخرون يغنون ، وغيرهم يذكرون ، وكثير منهم مقنعون بأقنعة ملونة ومضحكة وقد علت رؤوسهم الطراطير . ونساء افترشن الارض فانكشف منهن النحر ، واسترسل على اكتافهن الشعر ، وانحسر الغطاء عن الساق والفخذ ، واخريات يرتعدن كمن اصابته البرداء ثم يقعن مغشياً عليهن .

هل هذه حفلة تنكرية أم وجودية ؟ . ثم لا يلبث المشاهد أن تتملكه الدهشة الممزوجة بالألم حين يعلم انها احتفالات تقيمها بعض الطرق الصوفية في بعض ما يسمونه بالاعياد الدينية .

وقد اقحموا هذه الصورة المخزية المضطربة ظلماً وقسراً في اطار الدين الاسلامي الحنيف . ومن المؤسف ان هذه الصورة المشوهة الغريبة عن الاسلام ، والتي رسمتها عقول السذج والبسطاء الى جانب الدجالين والمحتالين والمشعوذين والحاقدين ، هذه الصورة الحركية المتداخلة تكون في نفس الاجنبي انطباعا قويا عن الاسلام . فيظنه لا يختلف كثيراً عن طقوس الزنوج في غياهب افريقيا او الهنود الحمر في امريكا مع أن هذه الصورة لا تمت الى الاسلام الحقيقي بأية صلة . فتكون هذه الصورة

وهذا الانطباع اعظم هدية يحملها السائح الى أهله ومجتمعه لتكون مادة للتندر والفكاهة ومبعثاً للضحك والاستهزاء ! ومجلبة للحقد والافناء .

ومن العجب الشديد ان يحدث ذلك امام الجامعة الازهرية . التي تعتبر نفسها اكبر قلعة فكرية اسلامية في العالم اجمع منذ مئات السنين. والاعجب من ذلـك ان يكون بعض مشايخ الازهر رؤساء لهـذه الطرق والمتربعين على عرش توجيهها وقيادتها !!

واينما فتشت في مختلف ارجاء العالم الاسلامي تجد صوراً اخـرى كثيرة للطرق الصوفية ومظاهر اشد غرابة وايلاما مما رأيناه في القاهرة ، فعرضناه على القارىء الكريم بكل امانة ودقة. وما احسب هذه الاعمال الا مؤامرة كبرى على الاسلام نسجت خيوطها قديماً في الظلام ايد شعوبية أثيمة . ممن ثل الاسلام عروشهم وخيب آمالهم وطغى على حضارتهم ودثر مدنيتهم .

ولذلك عقدت العزم على هتك الحجب وسبر اغوار الحقيقة لاصل الى أصل التصوف ومنشئه وغايته وآثاره وبعض نظرياته الفلسفية ومبلغ صلتها بالاسلام ودرجة بعدها عـن مبادئه ، ناقداً بقلم علمي حـر بعض العقائد الفلسفية التي قال بها بعض المتصوفة .

وقد اعتمدت على امهات الكتب الصوفية وغير الصوفية. مشيرا في هذه المصادر الى اسم المرجع ورقم الصفحة كي يسهل على المحقق الرجوع اليه وذاكرا رأيي بصراحة ووضوح وتجرد بعد كل استعراض لاقوال المتصوفة . وقد رجعت عنـد التنازع الى القـرآن الكريم والسنة الصحيحة فهما المصدران الوحيدان لحل كـل خلاف وفقا لقوله تعالى : (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً) . سائلاً الله تعالى ان يوفقنا لخدمـة دينه وهو من وراء القصد انه نعم المولى ونعم النصير .

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمـة انك انت الوهـاب) .

المؤلف

حماه ٢١ ذي القعدة ١٣٨٣ هـ ٣ نيسان ١٩٦٤ م

مقدمة الطبعة الثانية

لقد نفذت الطبعة الاولى لهذا الكتاب بسرعة ما كنت أتصورها . فان دل ذلك على شيء ، فانما يدل على اهتمام القراء بموضوع التصوف ...

ولعل الاسلوب الهادىء الذي عالجت فيه هذا البحث الخطير ، والطريقة الهادفة التي كتبته بها ، كانت السبب في اقبال الناس عليه ، فقد كنت موضوعيا في بحثي ، فلم اتهجم ، ولم اتحيز ، انما هي الحقيقة الصريحة كشفت عنها النقاب .

لهذا كله أرى من واجبي أن اتقدم بالشكر الجزيل الى القراء الافاضل لاقبالهم على هذا الكتاب ، فقد كان الكثير منهم لا يكتفي باقتناء نسخته ، بل كان يحمل النسخ الكثيرة ، ويعمد الى توزيعها على أصدقائه ومعارفه ، مما جعل الطبعة الاولى تفقد من الاسواق بسرعة .

وقد كان أغلب القراء منصفين ، أقصى غاية الانصاف ، فتقبلوا البحث برحابة صدر وقبول حسن ، ماعدا طائفة قليلة ساءتها الحقيقة ، كما يسيء الضياء الى العيون المريضة ، وكنت اتمنى منها نقدا ايجابيا ، ولكن هيهات ... أنها آلت على نفسها أن تعيش في الظلام ، تردد على الدوام (انا وجدنا آباءنا على امة ، وانا على آثارهم مقتدون) وهأنذا اتقدم الى القراء الافاضل بالطبعة الثانية بناء على الحاح وتأكيد كثير من الاصدقاء والمعارف بوجوب اعادة الكتاب ليطلع عليه من لم يتيسر له قراءة الطبعة الاولى .

وقد جاءت هذه الطبعة أحسن من سابقتها ، أضفت اليها العديد من الآراء والبراهين التي تزيد بحث التصوف وضوحا ، وتكشف النقاب عن كثير من اسرار المتصوفة التي يجهلها الكثيرون .

والله ــ سبحانه ــ أسأل أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، فالامر جد خطير : من ورائه حياة أو موت ، بقاء او فناء ، جنة أو نار .

التعريف بالتصوف

لم أجد للتصوف في كتب اهله تعريفا جامعاً مانعا يعطي فكرة كاملة عن ما هيته . وان ما وجدته لا يعدو تعاريف ناقصة يوضح كل منها جانبا من جوانبه او يرشد الى صفة من صفاته .

وفي رأي الدكتور زكي مبارك : التصوف مجموعة من الافكارالاسلامية والنصرانية واليهودية او هو الخلاصة الروحية من تلك الديانات الثلاث (١) .

اما التصوف في رأينا : فهو طريقة زهدية في التربية النفسية يعتمد على جملة من العقائد الغيبية (الميتافيزيكية) مما لم يقم على صحتها دليل في الشرع ولا في العقل .

وقولنا يعتمد على جملة من العقائد الغيبية (الميتافيزيكية) مما لم يقم على صحتها دليل في الشرع ولا في العقل !

يعني تلك العقائد التي تبحث فيما وراء الطبيعة . والتي يدعون بانهم تعلموها عن طريق الكشف او وردت اليهم عن طريق الخواطر او الرؤى المنامية . كعقيدة البعض في الحلول ووحدة الوجود والحقيقة المحمدية واعتبارها اصلا لكل حياة بشرية وكونية . وعقيدة البعض الآخر عن النواميس الطبيعية مما لم يخبر بذلك قرآن ولا سنة ولا يقوم على اساس علمي ولا يتفق مع المقاييس العقلية . ولأجل المثال نذكر قول الشيخ محيي الدين بن عربي .

« اعلم ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام الذي هو اول جسم انساني تكون وجعله اصلاً لجميع الاجسام الانسانية فضلت من خميرة طينته فضلة خلق منها النخلة فهي اخت لآدم عليه السلام وهي عمة لنا وقد سماها الشرع لنا عمة .. ولها اسرار عجيبة دون سائر

---

(١) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ١ ص ١٦٠

النباتات(١) وفضل من الطينة بعد خلق النخلة قدر السمسمة في الخفاء فمد الله تعالى من تلك الفضلة ارضا واسعا الفضاء .

اذ جعل العرش وما حواه والكرسي والسموات والارضين وما تحت الثرى والجنات كلها والنار في هذه الارض كأن الجميع فيها كحلقة ملقاة في فلاة من الارض وفيها من العجائب والغرائب ما لا يقدر قدره ويبهر العقول امره . وفي كل نفس يخلق الله فيها عوالم يسبحون الليل والنهار لا يفترون . وفي هذه الارض ظهرت عظمة الله، وعظمت عند المشاهد لها قدرته. وكثير من المحالات العقلية التي قام الدليل الصحيح العقلي على احالتها موجود في هذه الارض . وهي مسرح عيون العارفين العلماء بالله وفيها يجولون . وخلق الله من جملة عوالمها عالما على صورنا اذا ابصرهم العارف يشاهد نفسه فيهم (٢) .

وقد لاحظ اشياخ الصوفية ما تلاقي اخباراتهم هذه من استغراب الناس ودهشتهم فقالوا (بان علومهم علوم ذوقية لا يكاد النظر يصل اليها الا بذوق ووجدان كالعلم بكيفية حلاوة السكر لا يحصل بالوصف فمن ذاقه عرفه) (٣) .

وتبعا لذلك قسم الصوفية الناس الى عامة وخاصة وهذه الطبقة الاخيرة هي الطبقة المختصة بتقبل هذه العلوم والعقائد وغالبيتها من اهل الكشف والعرفان على حد زعمهم !

وقسم الصوفية الدين الى شريعة وحقيقة وظاهر وباطن . فأما اهل الظاهر فهم اهل الشريعة وهم العوام من الناس الذين يؤمنون بالنصوص الشرعية دون اللجوء الى التأويل .

---

(١) روى ابو نعيم في الحلية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال (اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من فضلة طينة آدم وليس من الشجر شجرة اكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران . فاطعموا نساءكم الرطب فان لم يكن رطب فتمر) قال صاحب كتاب أسنى المطالب عن هذا الحديث فيه ضعف وانقطاع ص ٤٩ . وقال صاحب كتاب السراج المنير . روي بأسانيد ضعيفة ج ١ ص ٢٧٥ ولذلك فلا يحتج بهذا الحديث لضعفه . قال المناوي في فيض القدير : اورده ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال مسرور منكر الحديث وأورده من حديث ابن عمر ، قال فيه جعفر بن احمد وضاع ا هـ .

(٢) الفتوحات المكية ج ١ ص ١٦٣ .

(٣) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ١ ص ٢٤٦ .

ومنهم علماء المذاهب الاربعة وعامة فقهاء الشرع وعلماء الحديث . ويطلقون عليهم ايضا اسم (علماء الرسوم) ! !

واما اهل الباطن فهم اهل الحقيقة والطريقة وهم الخاصة من الناس الذين يعتمدون على تأويل النصوص الشرعية . والتأويل هو صرف النص الى معنى لا يحتمله الا عن طريق الاحلام والخواطر واستفتاء القلوب ! (وليس في ذلك شيء مضبوط وما يدركه هذا قد يجهله ذاك)(١) وحجتهم في ذلك :

(أن التقي حق التقى والزاهد حق الزهادة في الدنيا . صفا باطنه وانجلت مرآة قلبه . ووقعت له محاذاة بشيء من اللوح المحفوظ . فأدرك بصفاء الباطن امهات العلوم واصولها فيعلم منتهى اقدام العلماء في علومهم) (٢) وأمثال ذلك من الامور الوهمية التي لا تستند الى أصول شرعية .

واستعمل المتصوفة ايضا طريقة الكشف والاحلام والخواطر لاثبات صحة كثير من الاحاديث الضعيفة وتضعيف كثير من الاحاديث الصحيحة. قال الشيخ محيي الدين بن عربي « ورب حديث يكون صحيحا من طريق رواته حصل لهذا الكاشف الذي عاين هذا المظهر فسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا الحديث الصحيح فانكره وقال له : لم اقله ولا حكمت به فيعلم ضعفه فيترك العمل به على بينة من ربه وان كان قد عمل به اهل النقل لصحة طريقه وهو في نفس الامر ليس كذلك (٣) .

ولا يخفى ما في ذلك من تهديم للشرع ونقض كثير من احكام الفقه وتمهيد السبيل امام واضعي الاحاديث للتقول على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ! !

وقد خشي المتصوفة نقمة علماء الشريعة اذا هم نقضوا احكامهم الفقهية بتضعيف أدلتها فقصروا اتباع حكمها على أنفسهم وفي ذلك مجال للتهرب من تطبيق احكام الشريعة دون الجرأة على دعوة الناس الى ذلك ! !

---

(١) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ٢ ص ١٩ .
(٢) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ١ ص ١٦٣ .
(٣) المفتوحات المكية ج ١ ص ١٩٥ .

وقد اعتمد المتصوفة طريقة الكشف والخواطر في تفسير القرآن الكريم محتجين بحديث يسندونه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء فيه (في آي القرآن ما من آية الا ولها ظاهر وباطن وحد ومطلع ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال ولكل طائفة من هؤلاء الطوائف قطب وعلى ذلك القطب يدور فلك ذلك الكشف) (١) .

فانبثق من هذه التفاسير اخطر العقائد على اهداف الدين الاسلامي ومقاصده مما سيأتي بيانه مفصلاً في الابحاث المقبلة .

ولعل من الضروري ان نوضح للقارىء الفرق بين الشريعة والحقيقة والظاهر والباطن عند المتصوفة بالمثال التالي منقولاً عن كتاب الفتوحات المكية لابن عربي وهو من كبار اهل التصوف في القرن السابع الهجري.

فصل الحكم في لمس النساء .

أ ـ من حيث الظاهر :

اختلف علماء الشريعة في لمس النساء باليد او بغير ذلك من الاعضاء الحساسة ..

فمن قائل ان لمس النساء لا ينقض وبه اقول . والاحتياط ان يتوضأ للخلاف الذي في هذه المسألة للامس والملموس .

ب ـ من حيث الباطن :

فأما حكم اللمس في القلب فالنساء عبارة وكناية عن الشهوات . فاذا لمست الشهوة القلب ولمسها والتبس بها والتبست به وحالت بينه وبين ما يجب عليه من مراقبة الله فيها فقد انتقض وضوؤه . وان لم تحل بينه وبين مراقبة الله فيها فهو على طهارته . فان طهارة القلب الحضور مع الله ولا يبالي في متعلق الشهوة من حرام او حلال . فاذا اعتقد التحريم في الحرام والتحليل في الحلال فلا تؤثر في طهارته . فاذا

---

(١) روى هذا الحديث ابن عربي في الفتوحات المكية ج ١ ص ٢٤٢ وقال فيه (وقد اجمع اصحابنا اهل الكشف على صحته) . ولم اجد هذا الحديث بذلك النص في كتب الحديث مما يدل على انه موضوع !

اعتقد التحريم في الحلال المنصوص عليه بالحل او التحليل في الحرام المنصوص عليه بالتحريم من اجل الشهوة بالنظر الى الرجوع في ذلك الى قول امام يرى ذلك مع علمه ان الشارع قرر حكم المجتهد وقرر قبول عمل القلب له اذا عمل به ، وقد كان قبل الشهوة يعرف ذلك القول ولا يعمل عليه ولا يقول به وانما رجع اليه بسبب لمس الشهوة قلبه . فمثل هذا يؤثر في طهارته فعليه الوضوء بلا خلاف عند اهل القلوب . وأما الظاهر فلنا في هذه المسألة نظر . وقد تصدعنا فيها مع علماء الرسوم(١) .

---

(١) الفتوحات المكية ج ١ ص ٤٦٣ باختصار .

أصل كلمة التصوف

لا وجود لكلمة التصوف في اللغة العربية ولم تكن معروفة في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانما عرفت في زمن التابعين لما روي عن حسن البصري انه قال : (رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه) (١) الا ان هذا اللفظ لم يستعمل على نطاق واسع الا في اواخر القرن الثاني للهجرة النبوية .

قال بعضهم ان التصوف مشتق من الصوف فيقال (تصوف اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس القميص) (٢) ويقال (صوفي نسبة الى الصوفة كما يقال كوفي نسبة الى الكوفة) (٣) .

وقد كان لبس الصوف معروفا قبل الاسلام يرتديه الزهادوالمتعبدون وقد استحسن السهروردي هذا الاشتقاق فقال (والقول بأنهم سموا صوفية للبسهم الصوف اليق واقرب الى التواضع ويقرب ان يقال لما آثروا الذبول والخمول والتواضع والانكسار والتخفي والتواري كانوا كالخرقة الملقاة ، والصوفة المرمية التي لا يرغب فيها ولا يلتفت اليها) (٤).

وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم مشتق من الصفة التي كان يجتمع عليها فقراء المهاجرين في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الا ان هذا الاشتقاق لا يستقيم لغوياً . وقال ابن الجوزي : ان نسبة الصوفي الى أهل الصفة غلط لانه لو كان كذلك لقيل صفي(٥) .

وقال آخرون : ان التصوف مشتق من صوفه (وهو اسم رجل كان انفرد بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام واسمه الغوث بن مر فانتسب الصوفية اليه لمشابهتهم اياه في الانقطاع الى الله) (٦) .

وقال غيرهم : ان اصل الكلمة يوناني مشتق من كلمة (صوفيا

---

(١) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ١ ص ٣٠١ . (٢) ج ١ ص ٢٩٣ .
(٣) ج ١ ص ٢٩٦ . (٤) ج ١ ص ٢٩٥ . (٥) تلبيس ابليس ص ١٨٣
طبعة دار الوعي . (٦) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ١ ص ٤٩ .

اليونانية) وقد قال به ابو الريحان البيروني المتوفي سنة ٤٤٠ هـ وقال به (فون هامر) من المستشرقين وكلمة صوفيا اليونانية معناها الحكمة في العربية ومنها فيلسوف اي محب الحكمة وقد كانت الفلسفة عند اليونان القدماء تهتم بالعلوم الطبيعية وكان كثير من فلاسفتهم اطباء وقد ترجمها العرب فسموا الطب (حكمة) .

وقد قال الدكتور زكي مبارك في هذا الصدد (على انه ما الذي يمنع ان تكون صوفيا بمعنى الحكمة الروحانية جاءت من كلمة صوف وهي قديمة في العربية ، وان التصوف قديم جداً عند العرب وهو اساس المسيحية ولبس الصوف كان علامة التقشف فليس من المستبعد ان ترحل كلمة صوف الى معابد اليونان(١) .

وذهب كثير من المتصوفة الى انه مشتق من صفاء النفس الا ان هذا الاشتقاق لا يستقيم لغويا .

وقيل ان اول من استعمل كلمة التصوف من كتاب العرب هو الجاحظ في كتاب البيان فقال (الصوفية من النساك) واول من اطلقت عليه كلمة صوفي هو ابو هاشم الكوفي الذي عاش في القرن الثامن الميلادي في تكية الرملة من اعمال فلسطين(٢) .

والغربيون يرون التصوف مجموعة من الاسرار والمغيبات لذلك سموه « السرية » (٣) .

مصادر التصوف الاسلامي(٤)

الحق أن التصوف الفلسفي لم يظهر في الاسلام الا بعد ان تهيأت الظروف الصالحة لظهوره واستعدت النفوس لقبوله وتوافرت العوامل على نموه . وقد كانت هذه الظروف وتلك العوامل مزيجا مختلطا لا يقل في اختلاطه عن الامم التي تألفت منها الامبراطورية الاسلامية ذاتها .

(١) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ١ ص ٦٤ . (٢) ادوار التصوف الاسلامي عند العرب ص ٩ . (٣) بين التصوف والحياة ص ٢٠ . (٤) نقلا عن كتاب « التصوف والثورة الروحية في الاسلام » للدكتور ابو العلا عفيفي .

وأقصى ما يستطيع البحث العلمي أن يكشف عنه هو أصول النظريات والافكار الفردية عندهذا الصوفي أو ذاك ـ لا النظرياتالصوفية الفلسفية في جملتها . أما فكرة الاصل الواحد فسأغفلها كل الاغفال ، وسأشير فيما يلي الى أهم المصادر التي أثرت في التصوف الفلسفي في صورته العامة مع الاشارة الى بعض المسائل الصوفية المتصلة بهذه المؤثرات .

المصدر الاول : القرآن والحديث

نعود مرة أخرى فنذكر القرآن والحديث كمصدر أول من مصادر التصوف الفلسفي كما ذكرناهما في مصادر الزهد : فقد استغل متصوفة الاسلام هذين المصدرين(١) كما استغلهما المتكلمون والفلاسفة والشيعة وكل مفكر اسلامي ، واستخدم الصوفية في فهمها طرقا متنوعة من التأويل وقرؤوا في نصوصهما معاني جديدة لم يسبقوا اليها ، وحملوا هذه النصوص احيانا مالا تحتمل كما فعل ابن عربي في كتابه « فصوص الحكم » الذي يخرج في كل فصل من فصوله صورة من صور مذهبه في « وحدة الوجود » مستندا الى طائفة من آيات القرآن . وهو في هذا الكتاب وفي غيره من كتبه يكتب بلغتين : لغة الظاهر التي تفهم من منطوق النص القرآني ، ولغة الباطن وهي التأويل الصوفي الفلسفي الذي يخضع النص القرآني له . « فالوجه » في قوله تعالى « كل شيء هالك الا وجهه (٢) هو الذات الالهية التي لا تفنى ولا يعتريها التغير والفساد ، في مقابل المظاهر الوجودية المتغيرة المتحولة التي نسميها عالم الظاهر او الوجودالخارجي. و « الغيب » في قوله تعالى «الذين يؤمنون بالغيب » (٣) هو الله ، وعالم الغيب هو عالم الألوهية في مقابل عالم الشهادة : فهما اسمان لشيء واحد منظور اليه من وجهين ، أو حقيقة واحدة منظور اليها باعتبارين : وبالاعتبار الاول هي الحق وبالثاني هي الخلق . وفي قوله تعالى « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » (٤) وقوله « ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون » (٥) يفسر القرب بأنه راجع الى أن الحق هو ذات العبد وحقيقته ، وليس أقرب الى الشيء من ذاته . والنور في

---

(١) ليتخذوا من القرآن والسنة واجهة يجذبون اليها البسطاء والمغفلين ، ثم راحوا يؤولونهما حسب أهوائهم ، مما أدى الى تعطيلهما والابتعاد عنهما بالمرة . مما سنراه مفصلا في هذا الكتاب (م.ف) . (٢) القصص ٧٨ . (٣) البقرة ٢ . (٤) ق : ١٣ . (٥) الواقعة ٨٤ .

قوله تعالى « الله نور السموات والأرض » (١) المراد به الوجود الحقيقي في مقابل الوجود الظاهري أو الاعتباري الذي هو « الظل » . ولما كان « الحق » هو الوجود الحقيقي الذي ينكشف به كل موجود كما تنكشف الأشياء بنور الشمس ، كان نور السموات ـ وهي ما علا من الموجودات ونور الارض ـ وهي ما سفل منها . و « القلم » الوارد ذكره في القرآن معناه عند ابن عربي العقل الاول ، و « اللوح المحفوظ » « النفس الكلية ». ومعنى « جهنم » البعد ومعنى « الكلمة » العقل ، وآدم هو الحقيقة الانسانية ومحمد ـ في حقيقته ـ هو الانسان الكامل وهكذا .

المصدر الثاني : علم الكلام

وهو مصدر أغفله كثير من الباحثين ولم يقدروا أثره في تطور العقائد الصوفية مع أن كثيرا من المسائل الصوفية الفلسفية متصل بمسائل علم الكلام ، أو هي ظاهرة في ثوب صوفي . والناظر في كتب التصوف أمثال « اللمع » للسراج و « التعرف » للكلاباذي و « الرسالة » للقشيري يجد في أقوال الصوفية مدى استغلالهم لعلم الكلام ومزجهم لنظريات المتكلمين وأساليبهم بنظريات التصوف وأساليبه . وقد تسرب الى التصوف الفلسفي كثير من نظريات الأشاعرة والكرامية والشيعة والباطنية والقرامطة .

ونكتفي بالاشارة هنا الى فكرة وحدة الوجود التي هي أخص مظهر للتصوف الفلسفي الاسلامي . فانها ـ فيما نعتقد ـ راجعة في أصل نشأتها الى تفكير كلامي بحت ، وليست ، كما يقول بعض المستشرقين وليدة عامل خارجي كالفلسفة الهندية . فقد بدأ المسلمون يبحثون في عقيدة التوحيد ، فوقعوا من حيث لا يعلمون في القول بوحدة الوجود ، بدأوا ببحث معنى الوحدانية فقالوا بنفي الشريك والضد والند والشبيه والمثيل، وفسروا الله الواحد الواجب الوجود بمعنى أنه ينفرد بالوجود الحقيقي وان كل ما عداه عدم محض ، لأن كل ما عداه ممكن الوجود ـ أي وجوده من غيره لا من ذاته . ثم فسروا « واجب الوجود » بأنه الفاعل الحقيقي والقادر الحقيقي والمريد الحقيقي . سئل الجنيد عن التوحيد فقال :

---

(١) النور ٣٥ .

« هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله عز وجل وحده لا شريك له » ثم توسعوا في معنى التوحيد فلم يقفوا عند نفي الشريك لله ، بل نفوا وجود كل ما سوى الله ، وانكروا الكثيرة وعدوها من فعل الخيال والوهم ، كما ذهب اليه ابن عربي . وهكذا انتهى بهم الأمر الى ان يقولوا بدلا من « لا اله الا الله » « لا موجود على الحقيقة الا الله » أو ما شاكل ذلك من العبارات الصريحة الدالة على وحدة الوجود . وسموا عقيدة التوحيد الاصلية توحيد العوام ، ووحدة الوجود توحيد الخواص ، وأوردوا لكل منهما تعريفات . يقول الجنيد في تعريف توحيد العوام « هو افراد الموحد بتحقيق وحدانيته » وفي تعريف الخواص « انه الخروج من ضيق الرسوم الزمانية الى سعة فناء السرمدية » .

المصدر الثالث : الافلاطونية الحديثة

من غريب الأقدار أن يكون ذلك المصدر الهام الذي أثر في جميع مناحي الفلسفة الاسلامية والتصوف الاسلامي مجهول الاصل عند المسلمين مما يدل على أنهم لم يعرفوه في منبعه ، وانما عرفوا ما عرفوا عنه بطريق التلقين الشفوي من جهة وبوساطة المختصرات التي ألفها بعض السريان المسيحيين من جهة اخرى . فهم لا يعرفون « افلوطين » المؤسس الحقيقي لمذهب الأفلاطونية الحديثة ولا كتابة « التاسوعات » وان كان يشير اليه الشهرستاني اشارة عابرة ويلقبه بالشيخ اليوناني . وهم لا يعرفون عن « فورفوريوس » تلميذ أفلوطين المقرب وناشر كتبه اكثر من أنه صاحب كتاب « المدخل » الى منطق ارسطو — وهو المدخل المعروف باسم « ايساغوجي » ولا يعرفون عن « أبروقلس » الا رايه في قدم العالم الذي رد عليه من المسيحيين يحيى النحوي ومن المسلمين الغزالي . ولا يعرفون الا القليل المشوه عن « يمبليخوس » أكبر رجال الفرع الثاني لمدرسة الافلاطونية الحديثة .

وقد يطول بنا الكلام لو عددنا الافكار الافلاطونية الحديثة التي تسربت الى التصوف الفلسفي الاسلامي وامتزجت بعناصره الاخرى . ويكفي أن نقول على سبيل المثال أن نظرية المتصوفين في الكشف والشهود افلاطونية حديثة في صميمها ، وكذلك نظرياتهم في المعرفة التي هي ترجمة لكلمة « غنوص » اليونانية ، وفي النفس وهبوطها الى هذا العالم ، وفي العقل

الاول والنفس الكلية ، بل في الفيوضات : كلها مستمدة من مصادر أفلاطونية حديثة مع قليل أو كثير من التحوير .

ويحسن بنا أن نشير الى ثلاثة من أهم مؤلفات الفلسفة الأفلاطونية الحديثة عرفها المسلمون قبل انتهاء القرن الثالث الهجري ، وكانت لاشك معتمدهم في هذا المذهب ــ وان لم يعرفوها على انها من مؤلفات هذا المذهب . ولكل من هذه المصادر الثلاثة تاريخ لا يزال محوطا بالغموض ، ولا يزال رهن البحث والتحقيق .

أولها : كتاب أثولوجيا ارسطاطاليس : أو « قول في الربوبية » . ويشير عنوان الكتاب الى نسبته الى ارسطو ، وهي نسبة برهن البحث الحديث على خطئها : اذ الكتاب ملخص لبعض أبواب كتاب : التاسوعات لأفلوطين .

الثاني : وهو اقل شهرة من الأول وان لم يكن اقل منه اثرا في الفلسفة والتصوف الاسلاميين وهو كتاب « الايضاح في الخير المحض » وهو منسوب خطأ الى ارسطو أيضا : اذ الكتاب في الحقيقة ملخص مهوش لكتاب « المبادىء الالهية » « اسطخيوسيس ثيولوغيقي » الذي الفه ابروقلس أعظم رجال المذهب الأفلاطوني الحديث في مدرسة أثينا .

وأننا لا نعرف حتى الآن اذا كان كتاب الايضاح من تلخيص بعض المسلمين ممن كان له علم بكتاب ابروقلس ، أو انه ترجمة لأصل يوناني أو سرياني ضاع ، ولكننا نعرف أن الكتاب قد ترجم من نسخته العربية الى اللغة اللاتينية ، وعرف في هذه الترجمة باسم « كتاب العلل » الذي وضع عليه توما الاكويني (المتوفى سنة ١٣٧٤) شرحه المشهور .

وبين كتابي أثولوجيا ارسطاطاليس والايضاح في الخير المحض مشابهة كبيرة لا في المادة فحسب بل في الاسلوب والاصطلاحات مما حمل بعض النقاد على القول بأن الكتابين صدرا عن قلم واحد .

الثالث : هو الكتابات التي كتبها كاهن سوري مجهول الاسم من تلامذة استيفن بارصديلي ــ من رجال القرن الخامس الميلادي : وقد نسبت خطأ الى المدعو ديونسيوس الاريوباغي احد الذين تنصروا على يد القديس بولص . ولكن هذا المدعو ديونسيوس الأريوباغي لم يكن الا كاهنا سوريا أخفى اسمه لأمر ما . وعنوان الكتابات « الله المقدس » : والمعروف

انهـا ترجمت فور ظهورهـا مباشرة الى اللغة السريانيـة ، ثم الى اللغـة اللاتينية سنة ٨٥٠ على يد سكوتس اريجينا ، وأنه لم ينته القرن التاسع الميلادي ـ الثالث الهجري ـ حتى كانت معروفة في العالم المسيحي من ضفاف دجلة الى المحيط الاطلنطي .

كان لهذه الكتابات تأثيرها في التصوف المسيحي ثم في التصوف الاسلامي من ناحية أنها تؤكد الجانب الالهي لا في المسيح وحده ، بل في الانسان من حيث هو انسان . وخلاصة الفكرة الرئيسية فيها أن طبيعة الانسان والطبيعة الالهية موجودتان في كل انسان ، وان الحيـاة الدنيـا (حياة البدن) ليست سوى صورة من الحياة الالهية العليا ، وأن مصير الانسان الى الله ، ولا وسيلة للاتصال بالله الا برياضة النفس وتصفيتهـا ومعالجة الأحوال الصوفية ؛ بل لا وسيلة لمعرفة الله الا بها . واذن لا مجال للقول بالثالوث المسيحي ولا بالمعصية ولا بالكفارة من الذنوب .

وليس « الحلول » على هذه النظرية سوى صورة من صور اتحـاد اللاهوت بالناسوت . كل شيء فيض من الله أو تجل له . وليس شوق الانسان الى الله الا علامة حنين النفس الى الرجوع اليه ، فان كل شيء منه واليه .

كانت هذه تعاليم الكنيسة الشرقية ، وكان لها صداها في الفـكر الانساني عامة ، وفي التصوف الاسلامي بوجه خاص . فليس كـلام الصوفية في الفيض الالهي والتجليات ، وقولهم في الله انه الاول والآخر والظـاهر والبـاطن ـ بالمعنى الفلسفي ـ الا صـدى لبعض المعـاني السالفة الذكر .

المصدر الرابع : التصوف الهنـدي

أشرنا فيما مضى الى راي من يقول ان الفناء الصوفي نوع من النرفانا الهندية ورفضنا هذا الراي على أساس أن النرفانا ظاهرة سلبية محضة وفكرة متفرعة عن مذهب تشاؤمي شامل ، في حين أن « الفناء » الصوفي له ناحيته الايجابية كما أن له ناحيته السلبية ، وانه لا دخل له في فلسفة تشاؤمية في طبيعة الوجود . ومع ذلك فقد كان للتصوف الهندي أثره في بعض نواحي التصوف الاسلامي لا سيما ما يتصـل منها بالطقوس الدينية والرياضيات الروحية وأساليب مجاهدة النفس .

وقد شقت الثقافة الهندية طريقها الى بلاد الفرس وبلاد غربي آسيا مما يلي الحدود الهندية قبل الفتح الاسلامي للهند بنحو ألف عام : أي قبل فتحها على يد السلطان محمود الغزنوي المتوفى سنة ٤٢١ هـ . والدليل على ذلك أن مدينة بلخ كانت قبل الفتح الاسلامي بقرون من أهم مراكز التصوف البوذي ومركزا لكثير من الأديرة القديمة . وقد استمرت شهرة هذه المدينة وسمعتها الصوفية بعد الاسلام ونشأ فيها عدد كبير من أوائل المتصوفة منهم ابراهيم بن أدهم الذي قال فيه الاستاذ جولد زيهر ان قصته حيكت على مثال قصة بوذا ، وشقيق البلخي وأبو حامد ابن خضرويه من مشايخ خراسان . ومن الذي كان للتصوف الهندي أثر فيهم من غير شك أبو يزيد البسطامي الذي يقول عن نفسه انه تلقى طريقته عن أبي علي السندي الذي كان يعلمه الطريقة الهندية المعروفة بمراقبة الأنفاس (١) .

المصدر الخامس : المسيحية

ذكرنا ما فيه الكفاية عن صلة الزهد في الاسلام بالرهبنة المسيحية واشرنا الى الفوارق الاساسية بينهما ، كما بينا أن الذي كان له شيء من التأثير في الزهد الاسلامي هو الرهبنة المسيحية لا الدين المسيحي من حيث هو دين . أما التصوف الاسلامي فقد كان لبعض العقائد المسيحية أثر فيه ، فقد قال بعض الصوفية بالحلول بالمعنى المسيحي كالحسين بن منصور الحلاج الذي يقول :

سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا لخلقه ظاهرا ... في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب(٢)

وفي هذه الأبيات اشارة الى ثنائية الطبيعة الانسانية : اللاهوت والناسوت ، وهما اصطلاحان أخذهما الحلاج عن المسيحيين السريان الذين استعملوها للدلالة على طبيعة المسيح . وقد روي عن الحلاج أبيات اخرى صريحة في الحلول ، والحلول عقيدة يقرنها المسلمون دائما بالمسيحية :

(١) تذكرة الاولياء لفريد الدين العطار .

(٢) الطواسين للحلاج نشرة ماسنيون ص ١٢٩ .

فهو يصف روحه والروح الالهي في حالة مزج تام حيث يقول :

مزجت روحك في روحي كما　　تمزج الخمـرة بالمـاء الزلال
فاذا مسـك شيء مسـني　　فاذا أنت انا في كل حال(١)

أو اتحاد تام حيث يقول :

انا من أهوى ومن أهـوى انا　　نحن روحـان حللنا بدنـا
فاذا ابصـرتنـي ابصـرتـه　　واذا أبصرتـه ابصرتنـا (٢)

واخذ بعض متفلسفة الصوفية بفكرة التثليث وان كانوا فهموها بمعنى غير المعنى المسيحي ، وذلك كابن عربي الذي يقول في « فصوص الحكم » : « اعلم وفقك الله أن الأمر كله (يعني الخلق) مبنى في نفسه على الفردية ولها التثليث فهي من الثلاثة فصاعدا : فالثلاثة أول الأفراد وعن الحضرة الالهية وجد العالم فقال تعالى « انما قولنا لشيء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون » . وهذه ذات ارادة وقول . فلولا هـذه الذات وارادتها — وهي نسبة التوجه بالتخصيص لتكوين أمر ما ، ثم لولا قوله عند هـذا التوجه « كن » لذلك الشيء ما كان ذلك الشيء(٣) .

ويجهر ابن عربي برأيه في التثليث في صراحة عجيبة حيث يقول :

تثلث محبوبي وقد كان واحداً　　كما صير الأقنام بالذات أقنما

ويتخذ من التثليث أساسا لكل انتاج وكل ايجاد في عالمي الكائنات والمعاني على السواء . فالانتاج في العالم الطبيعي قائم على ثلاثة : الأب والأم والابن ، والانتاج في الاستدلال القياسي قائم على ثلاثة حدود وثلاثة قضايا وهكذا .

وفيما ذكره ابن عربي عن « الكلمة » والحقيقة المحمدية التي يقول انها كانت في الوجود قبل أن يخلق الله العالم وان بواسطتها ومن اجلها خلق الله الخلق ، مسحة من الفلسفة المسيحية التي وصلته على النحـو الذي صاغها مفكرو الآباء المسيحيين بالاسكندرية منصبغة الى حد كبير بأفكار اسلامية أدخلها عليها بعض فلاسفة الاسلام ومتصوفيه أمثال الحلاج(٤) .

---

(١) الطواسين ص ١٣٤ .　　(٢) الطواسين ص ١٦٥ ، ١٧٥ .
(٣) اول الفص الحادي عشر ص ١١٥ من نشرتنا للفصوص .
(٤) انظر تعليقاتي على النصوص . ح ٢ : ص ١٣٣ — ١٣٤ .

اعتماد الصوفية على الخضر

لما كان المتصوفة يعتمدون على الخضر عليه السلام في كثير من سلوكهم وأعمالهم ، فيعتقدون بولايته لا نبوته ، وانه لا يزال حياً يرزق يلتقون به ويعطيهم الاوامر والنواهي ، لذا رأينا من المفيد نقل الموضوع التالي الهام عن مجلة التمدن الاسلامي(١) ...

لقد لعبت شخصية الخضر عليه الصلاة والسلام دورا غريبا في حياة المسلمين ، فراح بعضهم يزعم أنه ولي لا نبي ، وانه لا يزال حيا يرزق يمثل مختلف الادوار على مسرح الحياة !

وقد أرادوا من نشر هذه العقيدة في الخضر اغراضا اخرى منها ان يثبتوا أن الولي أعلم من النبي مادام أن موسى عليه الصلاة والسلام تقدم من الخضر (ع) ليتعلم منه ، وقد علمه ـ بالفعل ـ امورا كثيرة كما جاء ذلك مفصلا في سورة الكهف . وقد قال شاعرهم .

مقــام النبوة في بــرزخ فويق الرسول ودون الولي

جاء في العقيدة الطحاوية : « ولا تفضل احدا من الاولياء على احد من الانبياء (ع) ونقول « نبي أفضل من جميع الاولياء » (٢) .

وقد جرات هذه العقيدة ابو يزيد الى القول « خضنا بحرا وقف الانبياء بساحله » .

وشط آخرون وزعموا بأن بالامكان الاستغناء عن الوحي بعلمهم الذي سموه كشفا وعلما لدنيًا ، وما هو الا وساوس وأوهام قال الشبلي :

اذا طالبوني بعـلم الورق برزت لهـم بعـلم الخـرق

قال شارح القصيدة الطحاوية رحمه الله تعالى :

وأما ما يتعلق بقصة موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام ، في

(١) عدد جمادى الاخرة عام ١٣٨٨ هـ . (٢) ص ٤٩٣ من منشورات المكتب الاسلامي بدمشق وهو بتحقيق محدث الديار الشامية محمد ناصر الدين الالباني .

تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني ، الذي يدعيه بعضهم ممن عدم التوفيق ـ : فهو ملحد زنديق ، فان موسى عليه الصلاة والسلام لم يكن مبعوثا الى الخضر ، ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته . ولهذا قال له : انت موسى نبي اسرائيل ؟ قال : نعم . ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم مبعوث الى جميع الثقلين ، ولو كان موسى حيا (١) لكان من أتباعه . واذا نزل عيسى عليه السلام الى الارض ، انما يحكم بشريعة محمد ، فمن ادعى أنه مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم كالخضر مع موسى ، أو جوّز ذلك لاحد من الامة ـ : فليجدد اسلامه ، وليشهد شهادة الحق ، فانه مفارق لدين الاسلام بالكلية ، فضلا عن أن يكون من أولياء الله ، وانما هو من أولياء الشيطان ! وهذا الموضع مفرق بين زنادقة القـوم واهل الاستقامة ، وحرك تر . وكذا من يقول بأن الكعبة تطوف برجال منهم حيث كانوا !! فهلا خرجت الكعبة الى الحديبية، فطافت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين احصر عنها ، وهو يود منها نظرة ؟ ! وهؤلاء لهم شبه بالذين وصفهم الله تعالى حيث يقول : (بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً مّنشرة) المدثر : ٥٢ الى آخر السورة (٢) .

ان المتأمل في قصة الخضر في القرآن الكريم يدرك حقيقة نبوته ، وذلك للادلة الآتية :

١ ـ قال مقاتل في قوله تعالى : (وآتيناه رحمة من عندنا) انهـا النبـوة .

٢ ـ وقال ابن عباس في تفسير : (وعلمناه من لدنّا علماً) : أعطاه الله تعالى علما من علم الغيب . وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآيـة : « وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر عليه الصلاة والسلام » .

٣ ـ وقال الطبري في تفسير : وما فعلته عن أمري) : وما فعلت يا موسى جميع ما فعلته عن رأيي ، ومن تلقاء نفسي ، وانما فعلته عن امر الله اياي به »

٤ ـ ومما سبق من الآيات السابقة وتفسير المفسرين لها ندرك ان الله سبحانه أطلع الخضر على شيء من الغيب، وما كان تعالى ليطلع هذا الغيب الا

---

(١) في الاصل لو كان موسى وعيسى حيين ... وقد غيرت ذلك لحديث : « والذي نفسي بيده لو أن موسى حيا ما وسعه الا ان يتبعني » .

(٢) ص ٥١٤ .

للرسل فقد جاء في القرآن الكريم : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول ...) .

٥ ـ ان موسى علم ان الخضر موحى اليه من ربه ، والا لما سكت عن أعماله الخارقة العادة ، كاقدامه على قتل الغلام مما لا يصح ولا يجوز أن يقدم عليه من لم يكن قد أوحي اليه ، مهما سمت مكانته وولايته !

٦ ـ قال الامام ابن حجر العسقلاني(١) . « ... ان غالب اخباره مع موسى هي الدالة على تصحيح قول من قال انه كان نبيا ، ثم اختلف من قال انه كان نبيا هل كان مرسلا ، فجاء عن ابن عباس ووهب بن منبه أنه كان نبيا غير مرسل . وجاء عن اسماعيل بن أبي زياد ومحمد بن اسحاق وبعض أهل الكتاب انه أرسل الى قومه فاستجابوا له ، ونصر هذا القول ابو الحسن الرماني وابن الجوزي وقال الثعالبي هو نبي على جميع الاقوال .

٧ ومهما كان من مكانة الولي فانه حاشا لله تعالى ، ومما لا يليق بمقام النبوة ان يجعل رسوله يتبع الولي يتعلم منه تلك الدروس الطويلة .

وقصة الخضر ، ليس فيها كبير غرابة ، انما هي وحي أوحى الله به الى الخضر ، ولم يوح به الى موسى كما هو شأن كثير من الانبياء .

وكم هناك من عجائب لأعمال الوحي ومعجزات الانبياء مما لا تعد أمام أعمال الخضر شيئا مذكورا .

• • •

وننتقل بعد بحث اثبات نبوة الخضر عليه الصلاة والسلام مما اجمع عليه الجمهور ، الى موضوع آخر وهو هل الخضر حي أم ميت ؟

انه قد مات شأنه شأن جميع البشر من قبله ومن بعده ، ولو كتب لأحد من الانبياء الخلد لكان جديرا بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لانه خاتم الانبياء ، وكتابه خاتمة الكتب ، وهو باق وخالد الى الابد .

---

(١) في رسالته « الزهر النضر في نبأ الخضر » .

والى القارىء بعض الادلة على موت الخضر .

١ ــ سئل الامام البخاري عنه وعن الياس عليهما الصلاة والسلام هل هما حيان ؟

فقال : كيف هذا وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ــ أي قبل وفاته بقليل ــ : « لا يبقى على راس المئة ممن هو اليوم على ظهر الارض احـد ! » .

وجاء في صحيح مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل موته : « ما من نفس منفوسة يأتي عليها مئة سنة وهي يومئذ حية » ومعنى منفوسة : مولودة .

٢ ــ وسئل عن ذلك بعض الائمة فقرأ : (وما جعلنا لبشر من قبلك الخـلد) .

٣ ــ وقال الامام ابن تيمية : « لو كان الخضر حيا لوجب عليه أن يأتي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويجاهد بين يديه ، ويتعلم منه ، وقد قال يوم بدر : « اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض » . رواه أحمد في مسنده من حديث عمر وغيره . فكانوا ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلا معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ، فأين كان الخضر يومئذ ؟ !

٤ ــ ومن الادلة على موت الخضر عدم مجيئه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد بعث الى الثقلين قال الله تعالى : (واذ اخـذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه . قال أأقررتم واخذتم على ذلكم أصري ؟ قالوا : اقررنا قال : فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين » والاصر : العهد .

ونقل عن أبي الفضل المرسي ان الخضر صاحب موسى مات لانه لو كان حياً لزمه المجيء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والايمان به واتباعه ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : « والذي نفسي بيده لو أن موسى حياً ما وسعه الا أن يتبعني » رواه احمد في مسنده من حديث جابر رضي الله عنــه .

٥ ــ لو صح بقاء بشر من لدن آدم الى قرب خراب الدنيا لحسن

ذكر هذا الامر العظيم في القرآن الكريم مرة على الاقل ، لانه من آيات الربوبية في النوع الانساني ، لاسيما ، وقد ذكر تعمير عدو الله ابليس لعنه الله ، فاذا ذكر يكون القرآن مشتملا على ذكر معمر من الجن مبعد ، وذكر معمر من الانس مقرب .

٦ ـ ان القول بحياة الخضر قول على الله تعالى بغير علم ، وهو حرام بنص القرآن ـ اما المقدمة الثانية فظاهرة . واما الاولى فلأن حياته لو كانت ثابتة لدل عليها القرآن الكريم والسنة او اجماع الأمة ، وهذا كتاب الله تعالى فأين فيه حياة الخضر عليه السلام ؟ وهذه سنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، فأين فيها ما يدل على ذلك ؟ وهؤلاء علماء الامة فمتى اجمعوا على حياته (١) ؟

ونقل ابو بكر النقاش في تفسيره عن علي بن موسى الرضى ان الخضر مات . وقال أبو حيان في تفسيره : « الجمهور على انه مات » .

ومما يؤسف له ان بعض القائلين بأسطورة حياة الخضر قصدوا من ذلك فتح باب الخرافة والدجل على مصراعيه ونشر الاساطير والحكايات الكاذبة في كل مكان ، لتأييد ما يذهبون اليه من دعاو باطلة .

وقد استخدم المستعمرون اسطورة حياة الخضر وسيلة لتأييد استعمارهم ، فأعلن بعض عملائهم المأجورين من رجال الطرق على مريديه بأنه « راى الخضر يحمل علمه الاخضر يتقدم الجيوش الفرنسية الزاحفة لفتح شمال افريقية ، فلا مجال لردها ومحاربتها والاعتراض على حكمه تعالى ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً » .

٧ ـ قال محمد بن السيد درويش الامام المحدث : لم يرد في حياة الخضر شيء يعتمد عليه ، نعم ورد أنه يجتمع مع الياس عليهما السلام كل عام ، ولكن سنده لم يصح . وقال المناوي ضعيف . وقال ابن حجر والسخاوي منكر .. وما رواه الحاكم والدارقطني واحمد في حياة الياس ... وانه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم واكل معه أورده الذهبي في ترجمة يزيد بن يزيد البلوي وقال هذا خبر باطل ! (٢)

---

(١) الدليلان الخامس والسادس منقولان عن كتاب الابتداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ عضو هيئة كبار العلماء ص ٥٠ .

(٢) أسنى المطالب ص ٢٩٦ .

ويبني بعض الطوائف على قصة الخضر عليه الصلاة والسلام أمورا نذكر منها :

اولا : ان للشريعة ظاهراً وباطناً ، وان باطنها يخالف ظاهرها . وقد كان موسى صلى الله عليه وسلم من أهل الظاهر بخلاف الخضر . لهذا وجب على أهل الظاهر عدم الاعتراض على أهل الباطن والاحدث لهم ما حدث لموسى .

قال المستشرق أرنولد نيكلسون على لسان الصوفية(١) « أن أهل الحق الذي تولى الله بواطنهم لا يحكم عليهم بظواهرهم ، فان علمهم الغيب قد يحملهم على فعل ما يخالف ظاهر الشرع او الادب لما ورد في قصة موسى والخضر » .

وهذا الكلام كله باطل ، فان الخضر ما فعل الا ما هو ظاهر بشريعته بدليل قوله لموسى : « اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت . وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه » وعلم الشريعة علم منتشر في الكتب، فهل تعترف تلك الطائفة انها تجهله ؟ ! وهو ما أنزله الله سبحانه على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

وهذا التقسيم للشريعة المراد منه نسف الاسلام من أصوله بحجة العمل بباطنه الذي يعبرون عنه أحياناً بعلم الحقيقة ، وهو خلاف علم الشريعة قال ابن عجيبة : « أما واضع هذا العلم فهو النبي صلى الله عايه وآله وسلم علمه الله بالوحي والالهام ، فنزل جبريل أولا بالشريعة ، فلما تقررت ، نزل ثانيا بالحقيقة ، فخص بها بعضا دون بعض . وأول من تكلم فيه ، واظهره سيدنا علي كرم الله وجهه ، وأخذه عنه الحسن البصري(٢) .

فأين هذا الضلال من قول بعض العلماء : « من قال : ان الشريعة خلاف الحقيقة فهو زنديق ! » .

ولا يكتفي الصوفية بالقول بوجود شريعة حقيقية ، بل راحوا يسخرون من علماء الشريعة ويقولون لهم : « أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت » (٣) وقال ابن عربي : « علماء الرسوم يعني

(١) التصوف الاسلامي وتاريخه ترجمة ابي العلا عفيفي ص ٨١ وكل ذلك كذب على علي رضي الله عنه . (٢) ص ٥ من كتاب ايقاظ الهمم في شرح الحكم ج ١ ط ١٩١٣م.
(٣) قاله ابو يزيد البسطامي ص ٢٤٦ الكواكب الدرية للمناوي .

اهل الشريعة ــ يأخذون خلفاً عن سلف الى يوم القيامة ، فيبعد النسب ، والاولياء يأخذون عن الله ! القاه في صدورهم من لدنه رحمة منه ، وعناية سبقت لهم عند ربهم (١) .

ثانيا : وتدين هذه الطائفة ــ الصوفية ــ اعتماداً على قصة الخضر بزعمهم ــ أن الذوق الفردي ــ يعني الذوق الخاص بكل انسان ــ لا الشرع ولا العقل هو وحده وسيلة المعرفة ومصدرها : معرفة الله وصفاته، وما يجب له ، فهو ــ أي الذوق ــ الذي يقوم حقائق الاشياء ويحكم عليها بالخيرية والشرية ، بالحسن أو القبح ، بأنها حق او باطل(٢) .

ثالثا : ويستنتج الصوفية من قصة الخضر القدرة على الكشف عند الاولياء التي سبقت الوحي بنظرهم ، وراحوا يعتبرون هذا الكشف هو الحاسة السادسة عند المتصوفة يصلون الى الحقيقة ، ويسخرون من طلبة العلم الذين يجهدون في طلب العلم دون ان يستطيعوا الوصول اليه ، وقد وجد أحد الصوفية محبرة مع احد المريدين ، فوبخه وقال له : « أخف سوءتك » لان طلب العلم بنظرهم ضلال ، ومن أقوالهم : « العلم حجاب » فأين كل هذا من الآيات والاحاديث الكثيرة الدالة على فضل العلم ؟ ! وقد كان علماء الشريعة يقولون : المحابر سرج الاسلام .

ولا أدل على خرافة الكشف من اختلاف هؤلاء المتصوفة في كشوفاتهم ومبلغ بعدها عن الاسلام. وهذا هو الغزالي الذي يزعم أنصاره بقوةالكشف عنده ، نجد في كتبه ــ وخاصة الاحياء منها مئات الاحاديث الضعيفة والموضوعة فيها .

رابعا : وكذلك استنتج الصوفية من قصة الخضر « تأويل نصوص الكتاب والسنة بما يلائم أغراضهم ، على ان كل آية ، بل كل كلمة في القرآن ، تخفي وراءها معنى باطنا لا يكشفه الله الا للخاصة من عباده الذين تشرق هذه المعاني في قلوبهم في أوقات وجدهم . ومن هنا نستطيع أن نتصور كيف سهل على الصوفية بعد ان سلموا بهذا المبدأ أن يجدوا دليلا من القرآن لكل قول من أقوالهم ، ونظرية من نظرياتهم أيا كانت ، وأن يقولوا ان التصوف ليس في الحقيقة الا العلم الباطن الذي ورثه علي

---

(١) المصدر السابق . (٢) ص ٢١ ــ ٢٢ باختصار عن كتاب هذه هي الصوفية للاستاذ عبد الرحمن الوكيل .

ابن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويلزم من هذا المبدأ ايضا (بعد التأويل) ان تأويل الصوفية لتعاليم الاسلام قد يأتي على انحاء واشكال لا حصر لعددها ، وربما أدى الى تناقض في العبادات والمسائل العملية ... ولهذا لم تتألف من الصوفية فرقة خاصة ، ولا كان لهم مذهب محدود يصح أن نسميه مذهب التصوف ، بل ان التعريفات العديدة التي وضعت للفظ التصوف نفسه تدل على تعدد وجوه النظر في فهم معناه(١) .

وقد انكر على المؤولة كثير من كبار العلماء ننقل فيما يلي آراء بعضهم .

قال الامام زين الدين العراقي : « ولا يقبل ممن اجترأ على مثل هذه المقالات القبيحة ان يقول : اردت بكلامي هذا خلاف ظاهر ، ولا يؤول له كلامه ولا كرامة » .

وقال الامام العلامة علاء الدين بن اسماعيل القونوي حيث سئل عن شيء من هذا فقال : انما نؤول كلام من ثبتت عصمته حتى نجمع بين كلاميه، ولعدم جواز الخطأ عليه . وأما من لم تثبت عصمته ، فجائز عليه الخطأ والمعصية والكفر ، فتؤاخذه بظاهر كلامه ، ولا يقبل منه ما أول كلامه عليه مما لا يحتمله ، أو مما يخالف الظاهر وهذا هو الحق ! » .

وقال الغزالي في أول الاحياء في كتاب العلم بما حاصله : « ان الكلام ان كان ظاهرا في الكفر بالالحاد ، فقتل واحد ممن يقول به أفضل من احياء عشرة انفس ، وان كان مشكلا فهمه ، فلا يحل ذكره » .

وقال : « ان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام بنقل عن صاحب الشرع ... اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ » ..

ثم قال : « والباطن لا ضبط له ، بل تتعارض فيه الخواطر » .

وقال بعد ذلك : « وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة (٢) » .

---

(١) ص ٧٦ التصوف الاسلامي للمستشرق أرنولد نيكلسون نقلا عن كتاب اللمع للسراج ص ٧٢ وما بعدها وعن مجلة الجمعية الاسيوية الملكية سنة ١٩٠٦ ص ٣٣٠ وما بعدها . (٢) هذه الاقوال منقولة عن كتاب تنبيه الغبي للامام البقاعي .

خامسا : واستنتج الصوفية من قصة الخضر « اسطورة تزعم أن في الوجود ديوانا باطنيا ، يحكم فيه القطب الاكبر ــ أي الخضر ــ بما يشاء يصرّف ــ هو ومن معه من أقطاب صغار ــ أقدار الوجود ، انه عند الصوفية محكمة عليا يحاكم فيها الاقطاب أقدار الله ، دون أن تستطيع اية قدرة الهية نسخ حكم لها ، وقد وصف الدباغ هذا الديوان ، وفصل مهامه ، فلنترك له الحديث عن هذه الخرافة(١) : ــ التي تضحك الثكلى ــ وتبكي الجلمود على مبلغ تلاعبه بالاسلام وعبثه بالتوحيد .

الديوان يكون بغار حراء ، فيجلس الغوث خارج الغار ، ومكة خلف كتفه الايمن ، والمدينة أمام ركبته اليسرى واربعة أقطاب عن يمينه وهم مالكية على مذهب مالك بن انس(١) وثلاثة أقطاب عن يساره ، واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة(١) والوكيل امامه، ويسمى : قاضي الديوان، ومع الوكيل يتكلم الغوث » والتصرف للاقطاب السبعة على أمر الغوث ، وكل واحد من الاقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته(١).

سجل هذا على الصوفية الدرويش الانكليزي المستشرق أدوار دلين وكان مما قاله : « ويروي الكثير من المسلمين ان الياس ويخلطه العامة بالخضر كان قطب زمانه ، وانه يولي الاقطاب المتعاقبين ، اذ يقررون انه لم يمت ، ويزعمون أنه شرب من عين الحياة (٢) » .

قد يقول قائل : كيف نوفق بين موت الخضر عليه السلام وبين رؤية الكثيرين له ؟

أقول : ان هذه الرؤية اما أن تكون كذب واختلاق ، واما ان تكون من تلبيس ابليس الذي يتصور بصورة الخضر ليملي عن طريقه الانحرافات والضلالات على بعض المتصوفة ورحم الله الامام عبد القادر الجيلاني ، فقد زعم له الشيطان بأنه الله ، وبأنه رفع عنه التكليف ، فسارع الى تكذيبه قائلا : ان التكليف لم يرفع عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يرفع عني ؟ ! .

ومن أراد تفصيل ذلك ، فليراجع كتاب « الفرقان بين اولياء الرحمن

---

(١) باختصار عن كتاب الابريز للدباغ ٢/٣ ــ ٩ ط ١٢٩٢ هـ (٢) ص ١٦٣ المعربون المحدثون .

وأولياء الشيطان » وكتاب « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » للامام ابن تيمية .

احتجاج الصوفية بقصة الخضر

يقول الامام ابن تيمية لا حجة في قصة الخضر ـ أي للمتصوفة ـ لوجهين .

أحدهما ان موسى لم يكن مبعوثاً الى الخضر ، ولا كان على الخضر اتباع موسى ، فان موسى كان مبعوثا الى بني اسرائيل . ولهذا قال الخضر لموسى : « انك على علم من علم الله علمك الله اياه لا أعلمه ، وأنا على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه » ومحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى جميع الثقلين ، فليس لاحد الخروج عن مبايعته ظاهرا وباطنا ، ولا عن متابعة ما جاء به من الكتاب والسنة في دقيق ولا جليل ، لا في العلوم ، ولا في الاعمال . وليس لاحد ان يقول له كما قال الخضر لموسى . وأما موسى فلم يكن مبعوثا الى الخضر .

الثاني : ان قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة ، بل الامور التي فعلها تباح في الشريعة ، اذا علم العبد اسبابها كما علمها الخضر ، ولهذا لما بين أسبابها لموسى وافقه على ذلك . ولو كان فيها مخالفة للشريعة لم يوافقه بحال . فان خرق السفينة مضمونه : ان المال المعصوم يجوز للانسان ان يحفظه لصاحبه باتلاف بعضه ، فان ذلك خير من ذهابه بالكلية ، كما جاز للراعي على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يذبح الشاة التي خاف عليها الموت . وقصة الغلام مضمونها : جواز قتل الصبي الصائل . ولهذا قال ابن عباس : وأما الغلمان فان كنت تعلم منهم ما علمه الخضر عليه السلام من ذلك الغلام ، فاقتلهم والا فلا . وأما اقامة الجدار ففيها فعل المعروف بلا أجرة مع الحاجة ، اذا كان لذرية قوم صالحين(١) » .

وقال الامام برهان الدين البقاعي (٨٠٩ ـ ٨٨٥) ولا حجة للمتصوفة في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام ، للفرق بخصوص تلك الرسالة ، مع ان الخبر بعلم الخضر جاء من الله تعالى الى موسى عليه السلام ، فأين

---

(١) باختصار عن مجموعة الرسائل والمسائل ٦٧/٤ (٢) جاء في حديث رواه مسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا .

هي من دعاويهم ؟ ! ولا شبهة عليها ، فضلا عن دليل ، بل هي مصادمة للقواطع ، ومن صادم القواطع ، انقطعت عنقه ، ولو بلغ في الزهد والعبادة أقصى الغايات : (وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة ، تصلى نارا حامية) الآيات . ولو وقعت منهم الخوارق ، فانها شيطانية . قال تعالى : (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)، (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم ، وان اطعتموهم انكم لمشركون(١)) .

وخلاصة القول ... جاء في كتاب « أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب » ما ملخصه :

لم يرد في حياة الخضر شيء يعتمد عليه . نعم ورد أنه يجتمع مع الياس عليهما السلام كل عام في الموسم ، ولكن سنده لم يصح ، وقال المناوي : ضعيف . وقال ابن حجر والسخاوي منكر ، وعلى فرض صحته ، فيدل لحياةالياس، وهو باطل ايضا، وما رواه الحاكم والدارقطني واحمد في حياة الياس ، وان طوله ثلاثمئة ذراع وانه يمشي فيالسحاب، وانه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأكل معه ، اورده الذهبي في ترجمة يزيد بن يزيد البلوي ، وقال : هذا خبر باطل يؤيد ذلك قوله تعالى : (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) الآية ، فأخذ العهد على كل نبي بوقته أنه ان أدرك محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يقوم بنصره ويؤمن به ، والخضر عليه السلام نبي على المشهور عند العلماء ، وان لم يكن نبيا ، فهو تابع لنبي ، فيجب عليه نصرة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم واتباعه لو كان حياً ، ولم يرد ما يدل على حياته في زمنه صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) تنبيه الغبي للبقاعي .

أوائـــل المتصوفين

بدأ الاسلام عربياً ونشأ عربياً واكتمل عربياً وثل العرب المسلمون عروش كسرى وقيصر وقضوا على احلام اليهود . فأحدث ذلك اثراً بعيد الغور في نفوس الكثير من ابنـــاء الشعوب المغلوبة . مما زاد في عـــدد المنافقين ممن اظهروا الاسلام ولما يدخل الايمان في قلوبهم . وبقيت هذه الباطنية تغذي الحركات الشعوبية طوال قرون عديدة . وكان لا بد لسهم الانتقام من ان ينطلق ليروي غليل الحاقدين .

ولم يكن اعز على العرب من دينهم الجـــديد . فكان هدفاً نفـــذت السهام من اطـــراف جسمه الكبير واحدثت فيه العديـــد من الجروح واقتطعت الجزء تلو الجزء وازداد الصدع حتى استعصى رابه على كثير من العلماء والمفكرين والمصلحين .

واول من ابتـــدأ المعركة الفكرية ضـــد الاسلام عبد الله بن سبـــأ اليهودي فأنكر موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعى الى رجعتـــه بعد موته . ولما آنس حب الناس لعليٍّ رضي الله عنه قال : (ان روح النبي حلت بوصيّه علي) وعندما قتل علي رضي الله عنه انكر ابن سبأ هذا موته وقال : (والله لا أؤمن بأن علياً قد مات ولو اتوني براسه ميتـــاً سبعين مـــرة) .

وقد تألفت فيما بعد جماعة سميت (السبئية) نسبة اليه وذهبت هذه الفرقة الى ان علياً هو الروح الالهي المتجسد وانه وارث النبوة وانه لا يمكن للبشر ان يتخلوا عن ممثل حي لله . وكان عبد الله بن سبأ من قادة الثورة ضد عثمان بن عفان رضي الله عنه(١) .

واستطاع فيروز الفارسي (ابو لؤلؤة) قتل الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ولعل اغرب ما يرويه التاريخ هو حادثة يعقوب بن كلس .

---

(١) مؤامرات اليهود على الامم والاديان ــ مجلة عسكرية ــ عدد شباط سنة ١٩٦٣ ص ١٠٦ .

فقد انحدر يعقوب من اسرة عراقية عريقة في الاسلام ثم غادر العراق الى القاهرة وتبوا كرسي امين البلاط الاخشيدي فمدرس الفقه فأمين البلاط الفاطمي وبعد اثني عشر عاما قضاها في خدمة الفاطميين اثبت التحقيق انه من اسرة يهودية تستتر بالاسلام وتقيم في العراق منذ عهد الخلفاء الراشدين . واثبت التحقيق انه كان يتجسس للروم على المسلمين ويفاوضهم لاقطاعه فلسطين ليعيد فيها مملكة سليمان . وقد قتل بعد ان انكشف امره وبانت حقيقته (١) .

واستطاع الفرس تقويض الدولة الاموية العربية والفوا كثيراً من الكتب في مثالب العرب ومناقب الفرس .

وقد كان الفرس وراء معظم الفتن والعقائد الفاسدة التي ظهرت في العصر العباسي ، ولم يكن لمطامعهم حدود سوى انتزاع الملك من العرب وتسليمه الى الفرس .

ولما تعاظم نفوذهم واستشرى خطرهم ارتاب الخلفاء في نزعاتهم فأنزلوا فيهم الكوارث تلو الكوارث .

فقتل ابو سلمة الخلال وهو من اشهر القادة الفرس واوسعهم باعا في تقويض ملك بني امية على يد ابي العباس السفاح اول الخلفاء العباسيين .

وقتل زميله ابو مسلم الخراساني على يد ابي جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين مما اثار حفيظة الفرس فثاروا بقيادة فيروز صهبد الملقب بـ (سنباذ) وقد تمكن المنصور من سحقهم والقضاء عليهم .

وانزل هارون الرشيد نكبته التاريخية في البرامكة الفرس ووضع حدا للنفوذ الفارسي ولو الى حين .

وساعد الفرس المأمون ضد اخيه الأمين وسيطروا في زمنه على مرافق الدولة حتى ان رجلاً في الشام قال للمأمون (يا أمير المؤمنين انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم خراسان) .

واخيرا تخلص المعتصم من الفرس واستبدل بهم اخواله الترك .

وقد ذكر الدكتور ابو العلاء العفيفي استاذ الفلسفة في كلية

---

(١) مؤامرات اليهود على الامم والاديان ـ مجلة عسكرية ـ عدد شباط سنة ١٩٦٣ ص ١٠٧ .

الاسكندرية ، وهو من أصدقاء وانصار المتصوفة ، ثلاث نظريات قيلت في أصل التصوف ، فكان منها :

اولا ــ النظرية القائلة بأن التصوف رد فعل العقل الآري ضد دين سامي ، فرض فرضا ، ولهذه النظرية صورتان .

أ ــ الصورة الهندية ، والقائلون بها يرون أوجه الشبه بين النظريات الصوفية في أرقى اشكالها ، وبين « الفيدانتا » .

ب ــ والصورة الثانية هي الصورة الفارسية التي يدعي اصحابها ان التصوف نتاج فارسي في نشأته وتطوره (١) .

وفي هذه الحمأة من الصراع العربي الفارسي كانت الصوفية تنتشر وتتسع وكان معظم حملة لوائها من غير العرب وخاصة من الفرس ومن اشهرهم :

١ ــ ابراهيم بن ادهم بن منصور(٢) وقصة تصوفه غريبة وطريفة تشبه الى حد بعيد قصة بوذا مؤسس الديانة البوذية .

فقد قيل ان ابراهيم كان من ابناء الملوك الفرس . ولد في كورة بلخ وخرج يوما متصيدا فأثار ارنبا وبينما هو في طلبه هتف به هاتف . يا ابراهيم الهذا خلقت ام بهذا امرت . ثم هتف به هاتف من قربوس سرجه : والله ما لهذا خلقت ولا بهذا امرت . فنزل عن دابته وصادف راعيا لأبيه فأخذ جبته وكانت من صوف فلبسها ثم سافر الى مكة .

٢ ــ ذو النون المصري : واسمه ثوبان بن ابراهيم وقيل الفيض بن ابراهيم كان ابوه نوبياً توفي عام ٢٤٥ هـ .

٣ ــ ابو تراب النخشبي : من مشايخ خراسان توفي ٢٤٥ .

٤ ــ معروف بن فيروز الكرخي : من موالي علي بن موسى (الرضا) توفي سنة ٢٠٠ هـ .

٥ ــ ابو علي الروذباري : يقال بأنه من ذرية كسرى توفي عام ٣٢٢هـ

٦ ــ بشر بن الحرث الحافي : خراساني من مرو توفي في بغداد عام ٢٢٧ هـ .

---

(١) راجع كتابه : « التصوف الثورة الروحية في الاسلام » ط :« دار الشعب » بيروت ص ٥٧ ــ ٥٨ (٢) الاسماء مأخوذة من الرسالة القشيرية والطبقات الكبرى للشعراني.

٧ ـ شفيق بن ابراهيم البلخي : من كبار مشايخ خراسان ولد في بلـخ .

٨ ـ طيفور بن عيسى البسطامي : ومشهور بأبي يزيد وهو فارسي كان جده مجوسيا اسلم توفي ٢٦١ هـ ويعد من اكبر ائمة التصوف .

٩ ـ ابو بكر بن جحدر الشبلي : خراساني توفي عام ٣٣٤ هـ .

١٠ ـ حاتم بن علوان : مشهور باسم حاتم الاصم وهو من كبـار مشايخ خراسان توفي عام ٢٣٧ هـ .

١١ ـ احمد بن خضرويه البلخي : من كبار مشايخ خراسان .

١٢ ـ منصور بن عمار : خراساني من مرو .

١٣ ـ الحسين بن منصور : مشهور بالحلاج وهو فارسي من قرية تسمى (البيضاء) قتل عام ٣٠٩ هـ وصلب على جسر بغداد (١) . قال ابن النديم في وصفه : كان محتالا لا يتعاطى مذاهب الصوفية ، ويـدعي كـل علم ، جسورا على المـلوك ، مرتكبا للعظائم ، يروم اقـلاب الدول ويقول بالحلول .

١٤ ـ حمدون بن عمار القصار : خـراساني من نيسابور توفي عـام ٢٧١ هـ .

١٥ ـ الجنيد بن محمد : فارسي من نهوند توفي عام ٢٩٧ هـ ويعد من اكبر ائمة التصوف ويسمى سيد الطائفة .

١٦ ـ سري ابن المفلس السقطي : فارسي وهو خال الجنيد توفي ببغداد عام ٢٥١ هـ .

١٧ ـ شاه بن شجاع الكرماني : ويقال بأنه كان من ابنـاء الملوك الفرس ويكنى بابي الفوارس .

١٨ ـ محمد بن موسى الواسطي : خراساني اصله من فرغانة .

١٩ ـ علي الجوزجاني : من اكابر مشايخ خراسان .

٢٠ ـ ممشاد الدينوري : فارسي توفي عام ٢٩٩ هـ .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ص ٣٥٤ ـ مجلد ١٠

٢١ ـ ابو حمزه الخراساني : من نيسابور .

٢٢ ـ عبد الله بن محمد المرتعش : من نيسابور .

٢٣ ـ اسحق بن محمد النهرجوري : فارسي من نهر جوري وهي قرية بالمشرق توفي ٣٣٠ هـ .

٢٤ ـ الحسين بن علي يزدانيار : من ارمينية .

٢٥ ـ محمد بن منازل النيسابوري : من نيسابور توفي عام ٣٢٩ هـ .

٢٦ ـ عبد الله بن محمد الرازي : من نيسابور .

٢٧ ـ علي بن احمد بن سهل البوشنجي : من خراسان توفي عام ٣٤٨ هـ .

٢٨ ـ محمد بن الفضل البلخي : خراساني من بلخ توفي عام ٣١٩ هـ.

٢٩ ـ ابراهيم بن محمد النصر اباذي : من مشايخ خراسان توفي عام ٣٦٧ هـ .

وغيرهم كثير وقد اكتفينا **باشهرهم** .

ولا ينكر ان بعض اوائل المتصوفين كان من العرب الا انهم قلة الى جانب الكثرة من الاعاجم ، وقد نشؤوا متأثرين بهم .

الصراع
بين علماء الشرع وائمة التصوف

يطلق المتصوفون على علماء الشريعة اسماء مختلفة . فتارة يسمونهم « علماء الظاهر » وتارة « علماء الرسوم » وتارة « اهل النظر » بينما يسمون انفسهم « اهل الله » و « العارفين بالله » و « اهل الكشف » و « علماء الباطن » و « علماء الغيب » الخ .

ويعتبر المتصوفون علماء الشريعة دونهم في الدرجة والفهم ويخصونهم بطبقة العوام بينما هم من الخاصة وخاصة الخاصة .

وقد حمل محيي الدين بن عربي من ائمة التصوف في القرن السابع الهجري حملة قاسية على علماء الشريعة حتى شبههم بفراعنة الرسل فقال « وما خلق الله اشق ولا اشد من علماء الرسوم على اهل الله المختصين بخدمته . العارفين به من طريق الوهب الالهي الذي منحهم اسراره في في خلقه وفهمهم معاني كتابه واشارات خطابه . فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل» (١) ! ! .

ويصفهم ايضا بقصر الادراك وعدم الانصاف فيقول .

« ولو كان علماء الرسوم ينصفون لاعتبروا بما في نفوسهم . اذا نظروا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمون بها فيما بينهم فيرون انهم يتفاضلون في ذلك . ويعلو بعضهم في الكلام على معنى تلك الآية . ويقر القاصر بفضل غير القاصر وكلهم في مجرى واحد .

ومع هذا الفضل المشهود لهم فيما بينهم في ذلك ينكرون على اهل الله اذا جاءوا بشيء مما يغمض عن ادراكهم وذلك لانهم يعتقدون فيهم انهم ليسوا بعلماء وان العلم لا يحصل الا بالتعلم المعتاد في العرف . وصدقوا فان اصحابنا ما حصل لهم العلم الا بالتعلم وهو الاعلام الرحماني الرباني (٢) » .

ويتهمهم بالغفلة عن الآخرة فيقول « فلما رأى اهل الله ان الله قد جعل الدولة في الحياة الدنيا لأهل الظاهر من علماء الرسوم واعطاهم التحكم في الخلق بما يفتون به والحقهم بالذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . وهم في افكارهم عن اهل الله يحسبون انهم يحسنون صنعا . سلم اهل الله لهم احوالهم لانهم علموا من اين تكلموا وصانوا عنهم انفسهم بتسميتهم الحقائق اشارات . فان علماء الرسوم لا ينكرون الاشارات(٣) .

ثم يهددهم بيوم القيامة فيقول : فاذا كان يوم غد يوم القيامة يكون الامر كما قال القائل واحسن فيما قال .

سوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك ام حمار

كما يتميز المحق من اهل الله من المدعي في الاهلية غداً يوم القيامة قال بعضهم :

(١و٢و٣) الفتوحات المكية ج ١ ص ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ .

اذا اشتبكت‌دموع في خدود　　　تبين من بكى ممن تباكى(١)

ـ وكان قبله ابو يزيد البسطامي من ائمة التصوف في القرن الثالث الهجري يشكك في المصادر التي استقى منها علماء الشريعة علومهم فيقول « اخذتم علمكم ميتا عن ميت واخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت . يقول امثالنا حدثني قلبي عن ربي وانتم تقولون حدثني فلان واين هو قالوا مات عن فلان قال واين هو قالوا مات(٢) .

ويذهب محيي الدين بن عربي الى ابعد من ذلك فينسب كلامه ـ والعياذ بالله ـ الى انه وحي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقد قال في خطبة كتابه « فصوص الحكم » .

« اما بعد ، فاني رايت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مبشرة اريتها في العشر الاواخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمئة بمحروسة دمشق ، وبيده كتاب ، فقال لي : هذا كتاب فصوص الحكم ، خذه ، واخرج به الى الناس ينتفعون به . فقلت : السمع والطاعة لله ولرسوله ، واولي الامر منا ، كما امرنا . فحققت الامنية ، واخلصت النية ، وجردت القصد والهمة الى ابراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غير زيادة ولا نقصان ...

فمن الله ، فاسمعوا ... والى الله فارجعوا » .

ومن اقوال ابن عربي والبسطامي يمكننا ان نتبين مآخذ علماء الشريعة على ائمة التصوف وتتلخص في طريقتين هما اساس لمختلف العقائد التي انكرها علماء الشريعة على المتصوفة .

ـ **اولاهما التاويل :** وهو غير التفسير الذي اعتمد عليه علماء الشريعة لتبيان النصوص . والتفسير هو توضيح النص بمعنى يحتمله . ويقوم التفسير على قواعد لغوية وشرعية .

أما التأويل كما بيناه سابقا هو صرف النص الى معنى بعيد الاحتمال اعتماداً على الخواطر والوساوس والاحلام وليس في ذلك شيء مضبوط ، ومن هذا القبيل تأويل عبد العزيز الدباغ القرآن وهو رجل امي لا يعرف القراءة أو الكتابة (٣) .

(١و٢) الفتوحات المكية ج ١ ص ٣٦٥ .　　(٣) لمحات عن التصوف ص ٤٢ .

كل ذلك بحجة أن للقرآن ظاهرا وباطنا ، فالظاهر منه للعوام والباطن للخواص ، ويراد من كل ذلك نسف الشريعة والتحلل منها .

قال الدكتور ابو العلا العفيفي : وترجع المقابلة بين الشريعة والحقيقة — في أصل نشأتها — الى المقابلة بين ظاهر الشرع وباطنه . ولم يكن المسلمون في أول عهدهم بالاسلام ليقروا هذه التفرقة أو يفكروا فيها . ولكنها بدأت بالشيعة الذين قالوا ان لكل شيء ظاهرا وباطنا ، وان للقرآن ظاهرا وباطنا ، بل لكل آية فيه وكل كلمة ظاهر وباطن . وينكشف الباطن للخواص من عباد الله الذين اختصهم بهذا الفضل وكشف لهم عن اسرار القرآن . ولهذا كانت لهم طريقتهم الخاصة في تأويل القرآن وتفسيره . ويتألف من مجموع التأويلات الباطنية لنصوص القرآن ورسوم الدين وما ينكشف للسالكين من معاني الغيب عن طرق اخرى مما أطلق عليه الشيعة اسم « علم الباطن » الذي ورثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليّ بن أبي طالب — في زعمهم — ورثه عليّ أهل العلم الباطن الذين سموا أنفسهم بالورثة .

وقد اتبع الصوفية طريقة التأويل هذه واستعملوا فيها أساليب ومصطلحات الشيعة الى حد كبير(١) . ومما سبق تدرك مبلغ الصلة الوثيقة بين التصوف والتشيع الباطني .

— **وثانيهما الكشف** : وهو بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه العارف كأنه رأي العين (٢) .

وقد اعتمد عليه المتصوفة بدلا من الدليل الشرعي الذي اعتمد عليه علماء الشريعة مما فتح الباب على مصراعيه امام تقبل الصوفية للاحاديث الموضوعة واستشهادهم بها .

وقد ظهر جليا في كثير من الكتب الصوفية وخاصة في كتاب احياء علوم الدين لابي حامد الغزالي . وقد قام عبد الرحيم العراقي بتخريج كافة احاديثه في كتابه « المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار » وقد اظهر فيه الكثير من الاحاديث الضعيفة والموضوعة التي اعتمدها الغزالي في مؤلفه .

---

(١) التصوف والثورة الروحية في الاسلام .

(٢) امراء الشعر العربي في العصر العباسي ص ٣٧٧ نقلا عن اللمع لابن سراج الطرسي.

وعلماء الشريعة لاعتمادهم الطريق القويم في احكامهم كانوا على ثقة من اقوالهم بعكس المتصوفة . ولم يحاول احد من علماء الشريعة حمل الناس على الاخذ برايه دون الاطلاع على دليله ومعرفة سنده حرصا على دين الله ان يدخلوا فيه ما ليس منه .

فأبو حنيفة يقول « لا يحل لاحد ان يقول قولنا حتى يعلم من ايـن قلنـاه » (١) .

ومالك يقول : وليس احد بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا ويؤخذ من قوله ويترك ، الا النبي(٢) صلى الله عليه وآله وسلم .

والشافعي يقول « مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيها افعى تلدغه وهو لا يدري» (٣) .

واحمد بن حنبل يقول « لا تقلد في دينك احدا » (٤) .

اما علماء التصوف فقد لاحظوا وهن حجتهم وضعف دليلهم فأرادوا حمل الناس على آرائهم دون مناقشة او تفكر فيقولون « حدثني قلبي عن ربي » وليس في ذلك اي دليل شرعي او قبول عقلي . ومع ذلك يطلبون من الناس التصديق فيقولون « فأحسن الظن ولا تنتقد . بـل اعتقد . وللناس في هذا المعنى كلام كثير والتسليم اسلم . والله بكلام اوليائه اعلم » (٥) .

ولذلك يجب الا نستغرب اذا راينا علماء الشرع الغيورين على الدين الحنيف يحملون على المتصوفة تلك الحملة الكبيرة ويتهمونهم تارة بالحمق والجنون واخرى بالكفر والالحاد ! ! .

فقد نقل عن يوسف بن عبد الاعلى انه قال سمعت الشافعي يقـول (لو ان رجلا تصوف اول النهـار لا يأتي الظهر حتى يصير احمق (٦) ! وانه قال : (ما لزم احد الصوفية اربعين يوما فعاد عقله اليه ابدا) وانشـد :

ودعوا الـذين اذا اتوك تنسكوا ... واذا خلوا كانوا ذئاب خفاف(٧)

(١و٢و٣و٤) المدخل الفقهي العام ص ٩٠ نقلا عن اعلام الموقعين لابن القيم ج ٢ ص ٣٠١ – ٣٠٢ . (٥) ترجمة محيي الدين بن عربي في مقدمة الفتوحات المكية ج ١ ص ٥ عن كتاب نفح الطيب . . (٦ و ٧) تلبيس ابليس ص ٣٧٠ .

وعن احمد بن حنبل انه سمع كلام الحارث المحاسبي فقال لصاحب له (لا ارى لك ان تجالسهم)(١) . وعن سعيد بن عمرو البروعي قال : شهدت ابا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل (اياك وهذه الكتب . هذه الكتب بدع وضلالات) (٢) ! !

وعن ابي عبد الرحمن السلمي قال (اول من تكلم في بلدته في ترتيب الاحوال ومقامات اهل الولاية ذو النون المصري فانكر عليه ذلك عبد الله ابن عبد الحكيم وكان رئيس مصر . وكان يذهب مذهب مالك . وهجره لذلك علماء مصر لما شاع خبره انه احدث علما لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة . واخرج ابو سليمان الداراني من دمشق وقالوا انه يزعم انه يرى الملائكة وانهم يكلمونه . وشهد قوم على احمد بن ابي الحواري انه يفضل الاولياء على الانبياء فهرب من دمشق الى مكة . وانكر اهل بسطام على ابي يزيد البسطامي ما كان يقول حتى انه ذكر للحسين بن عيسى انه يقول لي معراج كما كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم معراج فأخرجوه من بسطام) (٣) .

وعن محمد بن يحيى الرازي قال سمعت عمرو بن عثمان يلعن الحلاج ويقول (لو قدرت عليه لقتلته بيدي) فقلت بأي شيء وجد عليه الشيخ فقال (قرات آية من كتاب الله عز وجل فقال يمكنني ان اقول او أؤلف مثله واتكلم به (٤) .

وقد اجمع علماء مصر على اباحة دم الحلاج واول من قال انه حلال الدم أبو عمرو القاضي ووافقه العلماء(٥) وقد اطلق المتصوفة على الحلاج هذا لقب « شهيد العشق الالهي » .

وان بعض ائمة التصوف حافظوا على احترامهم لعلماء الشريعة وانكروا على من جعل الشريعة مرتبة العوام حتى انهم اتهموا القائلين بذلك بالزندقة . والله سبحانه ادرى بنياتهم .

قال السهروردي وهو من ائمة التصوف في القرن السابع الهجري « فعلماء التفسير وائمة الحديث وفقهاء الاسلام احاطوا علما بالكتاب والسنة واستنبطوا منها الاحكام . وردوا الحوادث المتجددة الى اصول من

(١و٢) المرجع نفسه ص ٢٧٠ . (٣و٤) المرجع نفسه ص ١٦٦ – ١٦٧ و ص ١٧٠ .
(٥) تلبيس ابليس ص ١٧١ .

النصوص وحمى الله بهم الدين ... فتمهدت الشريعة وتأيدت واستقام الدين الحنيفي وتفرع وتأصل الهدي النبوي » (١) .

وقال ايضا « ويزعمون ان ضمائرهم خلصت الى الله تعالى ويقولون هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العلوم والقاصري الافهام المنحصرين في مضيق الاقتداء تقليدا وهذا هو عين الالحاد والزندقة والابعاد . فكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة » .

ويدعي كبار المتصوفة القدماء ان تصوفهم مقيد بالكتاب والسنة ، فهم يحاربون كل ما خالفهما . قال الامام ابن الجوزي : باسناد عن جعفر الخلدي يقول : سمعت الجنيد يقول : قال ابو سليمان الداراني : ربما تقع في نفسي النكتة من نكت القوم أياما فلا اقبل منها الا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة . وباسناد عن طيفور البسطامي يقول : سمعت موسى ابن عيسى يقول : قال لي أبي : قال أبو يزيد : لو نظرتم الى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا بـه حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهي وحفظ الحدود(٢) . وباسناد عن أبي موسى يقول : سمعت أبا يزيد البسطامي قال : من ترك قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن فهـو مبتدع . وباسناد عن عبد الحميد الحبلي يقول : سمعت سريا يقول : من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غالط . وعن الجنيد انه قـال : مذهبنا هذا مقيد بالاصول الكتاب والسنة . وقال ايضا : علمنا منـوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به . وعن أبي بكر الشفاف قال : مـن ضيع حدود الامر والنهي في الظاهر حرم مشاهدة القلب في الباطن . وقال الحسين النوري لبعض أصحابه : من رأيته يدعي حالة لا يدل عليها دليل ولا يشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه . وعن الحريري قال : أمرنا هذا كله مجموع على فضل واحد وهو ان تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم على ظاهرك قائما . وعن أبي جعفر قال : من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ولم يتهم خاطره فلا تعده في ديوان الرجال(٣) .

---

(١) عوارف المعارف على هامش الاحياء ١٩٧/١ . (٢) بين التصوف والحيـاة ج ٢ ص ٥ . (٣) تلبيس ابليس ص ١٨٨ .

لا ندري كيف نوفق بين هذه الاقوال للداراني والبسطامي وسري السقطي والجنيد وغيرهم ، وبين أقوالهم الاخرى التالية المخالفة للكتاب والسنة :

ترى هل هناك تناقض وانحراف او هناك تحايل واستدراج للبسطاء كي يستسلموا لآرائهم ظنا منهم انها موافقة لكلام الله ورسوله :

قال الجنيد المسمى رئيس الطائفة الصوفية : « ما رايت أعبد من السري ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة مارئي مضطجعا . الافيعلةالموت(١)

وقال الجنيد : لا يبلغ الرجل عندنا مبلغ الرجـال حتى يشهد فيه الف صديق من علمـاء الرسوم بأنه زنديق، لان أحوالهم وراء النقل والعقل(٢).

وقال الامام احمد عن سري السقطي لما حكى له عنه انه قال : ان الله عز وجل لما خلق الحروف سجدت الباء ، فقال احمد : نفروا الناس عنـه (٣) .

وقال الجنيد ايضا : احب للمبتدىء الا يشغل قلبه بهذه الثلاث ، والا تغـير حـاله : التكسب ، وطلب الحديث ـ حـديث رسول الله ـ والتزوج ، وأحب للصوفي الا يقرأ ولا يكتب ، لانه أجمـع لهم(٤) .

وقيل للجنيد : بم نلت ما نلت ؟ قال : بجلوسي تحت تلك الشجرة ثلاثين سنة (٥) .

وقال أبو سليمان الداراني : اذا طلب الرجل الحديث او سافر في طلب المعاش او تزوج فقد ركن الى الدنيا (٦) .

وقال ايضا : لو توكلنا على الله تعالى ما بنينا الحيطان ، ولا جعلنـا لباب الدار غلقاً مخافة اللصوص (٧) .

وقال ابو يزيد البسطامي : وددت ان قامت القيامة حتى انصب خيمتي على جهنم ، فسأله رجل ولم ذاك يا ابا يزيد ؟ ! فقال : اني أعـلم ان جهنم اذا رآتني تخمد ، فاكون رحمة للخلق .

---

(١) الاعلام للزركلي . (٢) الانـوار القدسية عـلى هامش الطبقات ٢٢/١ .
(٣) تلبيس ابليس ص ١٨٩ . (٤) قـوت القـلوب للمـكي ١٣٥/٣ .
(٥) الفتوحات المكية ٣٧/١ (٦) تلبيس ابليس ٣٣١ (٧) تلبيس ابليس ٣١١ .

وقال ايضا : اذا كان يوم القيامة ، وادخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، فأسأله أن يدخلني النار . فقيل له : لم ؟ قال : حتى تعلم الخلائق أن بره ولطفه في النار مع أوليائه .

قال الامام ابن الجوزي رحمه الله تعليقا على كلام البسطامي هـذا الكلام من أقبح الاقوال ، لانه يتضمن تحقير ما عظم الله عز وجل أمره(١) من النار ... ثم ساق الآيات والاحاديث الواردة في أهوال نار جهنم .

وقال ابو يزيد البسطامي ايضا « رفعني الله مرة بين يديه وقال : ان خلقي يحبون أن يروك . فقلت : زيني بوحدانيتك ، والبسني انانيتك ، وارفعني الى احديتك حتى اذا رآني خلقك ، قالوا : رأيناك فتكون أنت ذاك ، ولا أكون انا هناك (٢) .

فأين هذه الاقوال الشنيعة من دعواهم السابقة من أنهم يتقيدون بالكتاب والسنة ؟ !

قد يقول قائل : ان مثل أقوال البسطامي وامثاله قد لا نفهمها، فينبغي تأويلها لهـم .

اقول : ان فتح باب التأويل معناه نسف الشريعة وقد أمرنا أن نحكم بالظاهر . قال الامام زين الدين العراقي .

« ولا يقبل ممن اجترا على مثل هذه المقالات القبيحة أن يقـول : أردت بكلامي هذا خلاف ظاهره ، ولا نؤول له كلامه ولا كرامة » (٣) .

وقال الغزالي في اول الاحياء في كتاب العلم مما حاصله :« ان الكلام ان كان ظاهرا في الكفر بالاتحاد ، فقتل واحد ممن يقول به أفضل مـن احياء عشرة أنفس . وان كان فهمه مشكلا ، فلا يحل ذكره » .

وقال ايضا ما ملخصه : « أن الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام بنقل عن صاحب الشرع ، ...اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ » .

ثم قال « والباطن لا ضبط له ، بل تتعارض فيه الخواطر » . وقال بعد ذلك « وبهذا الطريق توصل الباطنية في هدم الشريعة » .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨٥ . (٢) اللمع ص ٣٨٢ . (٣) مصرع التصوف نقلا عن كتـاب « تنبيه الغبي » ص ٦٦ . (٤) المصدر السابق .

وخلاصة القول فان علماء الشريعــة كانوا يخشون من انحــراف المتصوفة مهما تظاهروا لهم بتمسكهم بالكتاب والسنة . « وقــد بلغ اضطهادهم لهم اقصاه في محنة الصوفية المعروفة «بمحنة غلام الخليل(١)» وهي المحنة التي اتهم فيها نحو سبعين صوفيا ، من بينهم الجنيد شيــخ الطائفة ــ ببغداد ، وحوكموا وحكم عليهم بالاعدام ثم افرج عنهم (٢) » .

قال الامام ابن الجوزي يكشف عن خرافة تقسيم الاسلام الى شريعة وحقيقة :

وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة . وهذا جهل من قائله ، لان الشريعة كلها حقائق ، فأن كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة . وقد انــكر عليهم جماعة من قدمائهم في اعراضهم عن ظواهر الشرع . وعن ابي الحسن غلام شعوانة بالبصرة يقول: سمعت ابا الحسن بن سالم ، يقول : جاء رجل الى سهل بن عبد الله وبيده محبرة وكتاب ، فقال لسهل : جئت لاكتب شيئا ينفعني الله به ، فقال : اكتب : ان استطعت ان تلقى الله وبيدك المحبرة والكتاب فافعل ، فقال : يا أبا محمد افدني فائدة ، فقال : الدنيا كلها جهل الا ما كان علما ، والعلم كله حجة الا ما كان عملا ، والعمل كله موقوف الا ماكان منه عــلى الكتاب والسنة ، وتقوم السنة على التقوى .

وعن سهل بن عبد الله انه قال : احفظوا السواد على البياض ، فما احد ترك الظاهر الا تزندق . وعن سهل بن عبد الله انه قال : ما من طريق الى الله افضل من العلم ، فان عدلت عن طريق العــلم خطوة تهت في الظلمات أربعين صباحا ، وعن ابي بكر الدقاق قال : سمعت أبا سعيد الخراز يقول : كل باطن يخالف ظاهرا فهو باطل . وعن ابي بكر الدقاق انه قال : كنت مارا في تيه بني اسرائيل فخطر ببالي ، ان علم الحقيقة مباين للشريعة ، فهتف بي هاتف من تحت شجرة : كل حقيقة لا تتبع الشريعة فهي كفر .

وقد نبه الامام ابو حامد الغزالي في كتاب « الاحياء » فقال : من

(١) هو احمد بن محمد بن غالب ، كان مشهورا بالورع والتقوى ، ولكنه كــان ينكر على الصوفية كلامهم في الحب الالهي والاتصال بالله ، وما الى ذلك من المقالات التي انتشرت في القرن الثالث الهجري : انظر كشف المحجوب ترجمة نيكلسون ص ١٩٠ ــ ١٩١ .

قال : ان الحقيقة تخالف الشريعة او الباطن يخالف الظاهر ، فهو الى الكفر اقرب منه الى الايمان .

وقال ابن عقيل : جعلت الصوفية الشريعة اسما ، وقالوا : المراد منها الحقيقة ، قال : وهذا قبيح لان الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم ، فما الحقيقة بعد هذا سوى شيء واقع في النفس من القاء الشياطين ، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع (١) .

قد يقول قائل : ما بالنا نرى الغزالي تتباين آراؤه من موقف الى آخر مما رايناه واضحا في هذا الكتاب وغيره ؟

أقول : حقا ان الغزالي متناقض في كثير من أقواله وكتبه ، والعلماء في ذكر أسباب ذلك مختلفون .

فمنهم من يعزو هذا التناقض الى ما أصابه من مرض نفسي في بغداد جعله يترك التدريس ويقصد دمشق والقدس للخلوة والعزلة .

ومنهم من يرجع سبب ذلك الى أنه كان يلبس لكل حالة لبوسها ارضاء لاولياء الأمور والعامة .

ومنهم من يقول بان سبب تناقضه جهله بالحديث كما اعترف هو نفسه ، وكما أثبت ذلك الامام العراقي في تخريجه لكتاب « الاحياء » ولا ادري كيف يقدم مثله على التأليف وهو في هذا الجهل في السنة : المصدر الثاني للشريعة بعد كتاب الله تعالى !

نشأة التصوف

ذهب المستشرق ثولك ... الى ان التصوف الاسلامي مأخوذ من أصل مجوسي ، محتجا بأن عددا كبيرا من المجوس ظلوا على مجوسيتهم في شمال ايران بعد الفتح الاسلامي ، وان كثيرا من كبار مشايخ الصوفية ظهروا في الشمال من اقليم خراسان ، وان الافكار الهندية التي نسمع

(١) تلبيس ابليس ط : دار الوعي ص ٣٦٥ .

صداها في اقوال بعض متصوفة المسلمين ، قد تسربت اليهم عن طريق هذا الجزء من ايران . وعزز هذه الفكرة في نظره أيضا ان مؤسسي فرق الصوفية الأوائل كانوا من أصل مجوسي(١) .

وذهب الفريد فون كريمر في كتابه « تاريخ الافكار البارزة في الاسلام » الى ان في التصوف في نظره عنصران مختلفان : الاول مسيحي رهباني ، والثاني هندي بوذي ، وهو ظاهر في الحارث المحاسيبي وذي النون المصري ، وابي يزيد البسطامي والجنيد والى العنصر الهندي يرجع فون كريمر نشأة فكرة وحدة الوجود في التصوف الاسلامي ، وهي الفكرة التي يقول انها كانت آخذة في الظهور بوضوح في أواخر القرن الثالث تحت تأثير الحسين بن منصور الحلاج .

ومما عرض لمسألة نشأة التصوف في الاسلام في هذا العصر ايضا المستشرق الهولاندي دوزي فيقول في كتابه « تاريخ الاسلام : ان التصوف جاء الى الصوفية من فارسي حيث كان موجودا قبل البعثة المحمدية ، وانه جاء الى هذه البلاد من الهند ، فقد ظهرت في فارس منذ أحقاب بعيدة ، فكرة صدور كل شيء عن الله ورجوع كل شيء الى الله ، والقول بأن العالم لا وجود له في ذاته ، وان الموجود بحق هو الله .

لقد فرق المستشرق جولد زيهر ـ متأثرا في ذلك برأي ابن خلدون ـ بين تيارين مختلفين في التصوف الاسلامي : الاول الزهد ، وهذا في نظره قريب من روح الاسلام ، ومذهب أهل السنة ، وان كان متأثرا الى حد كبير بالرهبانية المسيحية . والثاني التصوف بمعناه الدقيق وما يتصل به من كلامه في المعرفة والاحوال والمواجد والأذواق ، وهو متأثر من ناحية بالافلاطونية الحديثة ، ومن ناحية اخرى بالبوذية الهندية(٢) .

قد يقول قائل : كيف تم انتقال هذه الفلسفات والعقائد اليونانية والهندية والفارسية والنصرانية الى من يسمون بالصوفية المسلمين .

اقول : لقد تم ذلك نتيجة مخططات ومؤامرات منهجية لمحاربة الاسلام وساعد على ذلك تأثر بعض الزهاد المسلمين مما شاهدوه في الاديرة

---

(١) في التصوف الاسلامي وتاريخه تأليف نيكلسون وترجمة الدكتور عفيفي ص هـ .
(٢) المصدر السابق ص و .

المنتشرة بجوارهم من تقشف رهبانها وانقطاعهم الى العبادة وميلهم الى العزلة والابتعاد عن الناس فترسموا سبلهم وتأثروا بعاداتهم واساليبهم وبدات الافكار والاساليب النصرانية في الزهد تمتزج في عقول الزهاد المسلمين مع الافكار الاسلامية . ومن هذا المزيج حدد الصوفيون نهجهم في الحياة . مما ظهرت آثاره فيما بعد . ومن ذلك اقامة بعض المتصوفة في الرباطات وهي أشبه ما تكون بالاديرة النصرانية وعزوف البعض عن الزواج مع ان الاسلام لا يرضى بالعزوبة ولو كانت متعففة .

قال ابراهيم بن ادهم : تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان(١) .

وكان التقارب بين التصوف والتشيع آخذاً بازدياد ويعلل ذلك الدكتور زكي مبارك فيقول « وطبيعة الاشياء توجب ان يقترب التشيع والتصوف. فالشيعة انهزموا في ميدان السياسة . والصوفية انهزموا في ميدان الحياة ... ومما يقرب بين المذهبين ان الشيعة والصوفية يؤمنون بالاسرار ويبحثون عن النجاة في العوالم الغيبية »(٢) .

والواقع ان في اقوال الروافض شبها كبيرا باقوال المتصوفة وخاصة في تأويل القرآن حسب اهوائهم وعقائدهم ومن ذلك تأويل الروافض لقوله تعالى « وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مر كوم » فالكسف عليٌ وهو في السحاب(٣) وهذا يشابه تأويل الصوفية لقوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » فيقول ابن عربي « ان الحقيقة المحمدية الرحمانية هي الموصوفة بالاستواء على العرش الرحماني وهو العرش الالهي(٤) ! !

ومن الروافض من يزعم ان علياً رضي الله عنه في السحاب فاذا اطلت عليهم سحابة قالوا : السلام عليك يا أبا الحسن .

وقد ذكرهم الشاعر فقال :

برئت من الخوارج لست منهم ... من الغزَّال منهم وابن باب
ومن القوم اذا ذكروا علياً ... يردون السلام على السحاب

(١) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٨٨ . (٢) التصوف الاسلامي في الادب ج ٢ ص ٣٥ . (٣) العقد الفريد ٧ ابناء النور ٢ ص ١٤٠ . (٤) الفتوحات المكية ج ١ ص ١٥٢ .

ولكني احــب بــكل قلــبي واعلم ان ذاك مــن الصواب
رســول الله والصديق حقــاً به ارجو غدا حسن الثواب (١)

وهذا يشابه قــول ابي حمزة الصوفي للشاة عندما صاحت مــاع « لبيك ياسيدي » .

والغراب عندما صاح على سطح الجامع في طرطوس « لبيك ـ لبيك » (٢) .

التشابه بين الشيعة والصوفية :

واذا كان التقارب بين الشيعة والمتصوفة قد بدا في اواخر نشوء التصوف الا انه لم يكتمل ويتوضح الا في مراحل عديدة وفي ذلك يقول ابن خلدون :

« ثم حدث ايضاً عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحس وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلول والوحــدة فشاركوا فيها الامامية والرافضة لقولهم بالوهية الأئمة وحلول الالــه فيهم . وظهر منهم ايضا القول بالقطب والابدال وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الامام والنقباء واشربوا اقوال الشيعة وتوغلوا في الديانة بمذهبهم حتى جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرقة ان علياً رضي الله عنه البسها الحسن البصري واخذ عليه العهد بالتزام الطريقة واتصل ذلك منهم بالجنيد من شيوخهم ولا يعلم هذا عن علي من وجه صحيح » (٣) .

وابن عربي يقول :

(انه هضم ما درس من الفلسفة اليونانية ومن اصول الديانة اليهودية والديانة النصرانية والديانة الاسلامية ثم احال ذلك كله الى مزاج من الفكر الفلسفي الدقيق يعز على من رامه ويطول) (٤) ! ! .

ثم ظهــرت عقيــدة الاتحــاد الروحي « وحــدة الوجــوذ » وكثر التكلم في الحلول وقد اخذت هــذه العقائد من الفلسفة الهندية .

فالفلسفة الهندية تقول بان (الروح الاعظم والعالم المــادي واحــد . وكل ما في العالم يجري من ذلك الروح واليه يعود ـ هــو الموجــود

---

(١) العقد الفريد ٧ ابناء النور ٢ ص ١٥٢ . (٢) تلبيس ابليس ص ١٦٩ .
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٣٢٣ . (٤) التصوف الاسلامي في الادب والاخــلاق ج ١ ص ٢٠١ .

الساطع الذي يرى في قرص الشمس كما يرى في عين الانسان ـ هو النور الوضاء الذي يضيء في الارض وفي نفس الانسان . هو الذات العاقلة الخالدة السعيدة) (١) .

يقول المستشرق نيكلسون (وهذه عقيدة في التشبث من الغريب حقاً ان يعتنقها مسلم ولكن يجب الا ننسى ان الصوفية في جملتهم يعتبرون محمدا كلمة الله) (٢) .

ثم بدأ التحول عن الفلسفة واعمال الفكر والبحث في الكون وفيما وراء الطبيعة الى نظام عملي في الذكر والمجاهدة مع شيء من الغناء والرقص وتأسست التكايا ونشأت الطرق واطلق على هذا النوع من الصوفية (صوفية الدراويش) (٢) ـ وقد ساعدت الدولة العثمانية ـ في دور انحطاطها ـ على انتشار الطرق الصوفية لانها تشغل الناس عن الاهتمام بامور الحكم وتقنعهم بالرضا لما يقدم عليه الحكام من جور وظلم . فازدادت الطرق حتى بلغت ستا وثلاثين بعد ان كانت لا تتجاوز اثنتى عشرة طريقة فقط .

وعلى اثر ذلك كثر المرتزقة والدجالون والمحتالون والمشعوذون وكثر التكلم بالكرامات وخوارق العادات واشتد الايمان بالأولياء . فنصبت فوق قبورهم القباب واقيمت لهم الموالد والاعياد . ونسبت اليهم انواع المعجزات . وكانت قبورهم تزار لجلب الاولاد او الشفاء من الامراض والعاهات . او جلب الحظ والاكثار من الرزق . وكانت مصر بلد الاولياء . فقبورهم منتشرة في كل مكان من القطر . ولكل قبر سدنة من المرتزقة والمشعوذين ومروجي الاشاعات ومؤكدي المعجزات والكرامات .

وكان للشيخ احمد البدوي القسط الاوفر من المعجزات . يقول الشيخ عبدالوهاب الشعراني (ان سبب حضوري مولد احمد البدوي كل سنة ان شيخي العارف بالله تعالى محمد الشناوي رضي الله عنه احد اعيان بيته رحمه الله قد كان أخذ علي العهد في القبة تجاه وجه سيدي احمد رضي الله عنه وسلمني اليه بيده فخرجت اليد الشريفة من الضريح وقبضت علي يدي وقال ياسيدي يكون خاطرك عليه واجعله تحت نظرك

---

(١) امراء الشعر العربي في العصر العباسي ص ٥٦ . (٢) مجلة الهدي النبوي ـ العدد العاشر ـ شوال ١٣٦٨ هـ . (٣) ادوار التصوف الاسلامي ص ٢٤ والدرويش كلمة فارسية معناها مكتفي بالقليل .

فسمعت سيدي احمد رضي الله عنه من القبر يقول نعم . واضاف : لما دخلت بزوجتي فاطمة أم عبد الرحمن وهي بكر مكثت خمسة شهور لم اقرب منها . فجاءني واخذني وهي معي وفرش لي فرشاً فوق ركن القبة التي على يسار الداخل وطبخ لي حلوى ودعا الاحياء والاموات اليه وقال : ازل بكارتها هنا فكان الامر تلك الليلة . وتخلفت عن ميعاد حضوري للمولد سنة ثمان واربعين وتسعمائة وكان هناك بعض الاولياء . فاخبرني ان سيدي احمد رضي الله عنه كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح ويقول : ابطأ عبد الوهاب ماجاء(١) .

وكان الناس في مصر يتخوفون من المساس بالشيخ احمد البدوي او نقد الافعال التي تجري حول قبره . وكانت الاساطير حول اعماله وتصرفاته تهيمن على افكار الناس ويتقبلونها بقدسية واحترام . ويروي عبد الوهاب الشعراني ان شخصا انكر حضور مولد الشيخ احمد البدوي فسلب الايمان . فلم يكن فيه شعرة تحن الى دين الاسلام . فاستغاث بسيدي احمد رضي الله عنه . فقال : بشرط ان لا تعود . فقال : نعم . فرد عليه ثوب ايمانه ثم قال له : وماذا تنكر علينا . قال : اختلاط الرجال والنساء فقال له سيدي احمد رضي الله عنه : ذلك واقع في الطواف ولم يمنع احد منه . ثم قال : وعزة ربي ما عصى احد في مولدي الا وتاب وحسنت توبته . واذا كنت ارعى الوحوش والسمك في البحار واحميهم من بعضهم بعضا افيعجزني الله عز وجل عن حماية من يحضر مولدي(٢) .

وانا نرى ان الايمان بهذه الخرافات والاساطير والاوهام نتيجة طبيعية لجمود الفكر وركود الذهن وانطفاء نور العلم وتفشي الفقر والجهل . وقصور الهمم وضعف النفوس .

وما أحسن ما قاله أحد الشيوخ في القرن الخامس الهجري ينعي على معاصريه تسميتهم شهواتهم « شرعا » واوهامهم الكاذبة « علما الهيا » ونزوات قلوبهم ورغبات نفوسهم « حبا الهيا » وتسميتهم الزندقة « فقرا » والشك « صفاء » وانكار الدين « فناء النفس » ، واهمال شرع النبي « طريقا في التصوف » (٣) .

(١و٢) الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٦١ و ١٦٢ .

(٣) كشف المحجوب للهجويري ترجمة نيكلسون ص ٨ .

مراتب التوحيد عند الصوفية

ان عقيدة التوحيد النقية الواضحة التي جاء بها الاسلام لم ترض عقول كثير من المتصوفة المتأثرين بالثقافات التي تحدثنا عنها فيما سبق حين الكلام على مصادر التصوف ، فراحوا يفهمون التوحيد فهما بعيدا عن الاسلام .

قال ابو حامد الغزالي :

« للتوحيد اربع مراتب . . . والثانية : ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه ، كما صدق به عموم المسلمين ، وهو اعتقاد العوام !! والثالثة : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق ، وهو مقام المقربين ، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ، ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار . والرابعة : الا يرى في الوجود الا واحدا وهي مشاهدة الصديقين ، وتسميه الصوفية : الفناء في التوحيد ، لانه من حيث لا يرى الا واحدا ، فلا يرى نفسه ايضا ، واذا لم ير نفسه ، لكونه مستغرقا بالتوحيد ، كان فانيا عن نفسه في توحيده ، بمعنى انه فنى عن رؤية نفسه والخلق » .

ثم يحدثنا الغزالي عن مقامات الموحدين في كل مرتبة ، فيصف صاحب المرتبة الرابعة من التوحيد بقوله : « والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد ، فلا يرى الكل من حيث انه كثير ، بل من حيث انه واحد ، وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد . فان قلت . كيف يتصور الا يشاهد الا واحدا ، وهو يشاهد السماء والارض وسائر الاجسام المحسوسة ، وهي كثيرة ؟ فكيف يكون الكثير واحدا ؟ فاعلم ان هذه غاية علوم المكاشفات ، وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب ، فقد قال العارفون : افشاء سر الربوبية كفر » ثم يضرب لنا مثلا عن شهود الوحدة في الكثرة بقوله : « كما ان الانسان كثير ان التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشائه ، وهو باعتبار آخر ومشاهدة اخرى واحد . . فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار من الاعتبارات واحد(١) وباعتبارات اخر سواه كثير ومثاله الانسان ، وان كان لا يطابق الغرض ،

---

(١) من كتاب هذه هي الصوفية من ص ٤٧ — ٥٠ .

ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا ، ويستبين بهذا الكلام ترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه ، وتؤمن ايمان تصديق ، والى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث راى الخواص يدور في الاسفار فقال : فيما ذا انت ؟ فقال : أدور في الاسفار ، لاصحح حالتي في التوكل ، فقال الحسين : قد أفنيت عمرك في عمران باطنك ، فأين الفناء في التوحيد ؟ ! فكأن الخواص كان في تصحيح المقام الثالث ، فطالبه بالمقام الرابع » (١) .

ولا أدري من أين أتانا اغزالي بهذه المراتب للتوحيد مما ينكره الكتاب والسنة ، حتى جعل التوحيد الاول ، وهو التوحيد المكلف به الأنبياء هو توحيد العوام ، وقد نهج المتصوفة نهجه من بعده ، فبعدوا عن صفاء التوحيد الذي جاء به الاسلام !

ولسنا وحدنا القائلين بذلك فقد سبقنا اليه الدكتور ابو العلاء العفيفي ، فقال بعد ان تحدث مفصلا .. في هذا الموضوع .

« .. فلا عجب اذن أن نقول ان نظرة المتصوفة في معنى «التوحيد» ومبالغتهم في تحليل دقائقه ، ادى ببعضهم الى القول بوحدة الوجود ، واننا لسنا بحاجة الى البحث عن اصل هذه النظرية عند المسلمين في مصدر خارج عن التفكير الاسلامي كالفيرانتا الهندية أو نحوها ..(٢) » .

ولم يكتف الغزالي بذلك بل راح يشبه الوحدة بين الله وعباده بالوحدة بين الانسان واعضائه مما هو تمهيد لنظرية وحدة الوجود التي ذكرناها في غير هذا الموضع من الكتاب .

ومن عجيب أمر الغزالي انه يثني على الحلاج ، وقد ذكر بعض شعره في غير هذا الموضع ، مع العلم بأن اكثر علماء عصره من القضاة والمفاتي أفتوا بكفره ، وسعيه لهدم الدولة الاسلامية ، وقتل بسبب ذلك .

ونذكر فيما يلي اقوال الصوفية في التوحيد مما لا يقره شرع أو عقل نقلا عن الرسالة القشيرية :

قال الجنيد : اذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد ، تناهت الى الحيرة .

---

(١) الاحياء ٢١٢/٤ وما بعدها ط : دار الكتب العربية .

(٢) التصوف الثورة الروحية في الاسلام ص ١٥٠ .

وسئل عن التوحيد فقال : معنى تضمحل فيه الرسوم ، وتندرج فيه العلوم ، ويكون الله تعالى كما لم يزل (!) .

وقال الحصري : اصولنا في التوحيد خمسة اشياء : رفع الحدث ، واقرار القدم ، وهجر الاخوان (!) ، ومفارقة الاوطان ، ونسيان ما علم وجهل (!) .

وقال الشبلي : من اطلع على ذرة من علم التوحيد ، ضعف عن حمل بقة ، لثقل ما حمله (!) .

ومعنى ذلك ان الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن عندهم ذرة من التوحيد مادامت بطولتهم مضرب الأمثال ! .

وقال الشبلي ايضاً : من اجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ، ومن اشار اليه فهو ثنوي ، ومن أومأ اليه فهو عابد وثن ، ومن نطق فيه فهو غافل ، ومن سكت عنه فهو جاهل .

وقال الشبلي لرجل : اتدري لماذا لم يصح توحيدك ؟ فقال لا : قال : لانك تطلبه بك .

وقال ابن عطاء : علامة حقيقة التوحيد ، نسيان التوحيد !

دعوى الحب الالهي

ورد في القرآن وصف الله تعالى بأنه جبار ، متكبر ، قهار ، معز ، مذل سريع الحساب الى غير ذلك من الصفات التي يسميها الصوفية « صفات الجلال » . وكذلك وردت آيات تصور آثار هذه الصفات في عالم الخلق فيما انزله الله وما زال ينزله بالكفار والعاصين من ضروب المحن والانتقام ، وما أعد لهم في الدار الآخرة من صنوف العذاب . كل ذلك بأسلوب قوي مؤثر يشيع الرعب في القلوب وتقشعر منه الابدان .

(١) ربما كان الجنيد يشير بذلك الى العبارة القائلة : « كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما كان عليه » والقسم الاول منها حديث في البخاري ، والقسم الثاني من اقوال الصوفية ، يشير الى وحدة الوجود ، مادام يقول بأن الله الآن لا شيء معه !

ولكن في القرآن طائفة أخرى من الآيات يصف الله فيها نفسه بصفات الجمال من رحمة بعبادة ، ومحبة لهم وشفقة عليهم وغفران لذنوبهم ، ويذكر ما أعده للمؤمنين الأبرار في الدار الآخرة من ضروب النعيم .

وقد كان لكل من هاتين الطائفتين من الآيات أثره الظاهر في مراحل تطور التصوف الاسلامي المختلفة ، ففي مرحلة الزهد المحض ـ حيث كان التصوف بسيطا ساذجا ، وايمان المسلمين غضا قويا ، استجاب الزهاد للطائفة الاولى من الآيات القرآنية أكثر من استجابتهم للثانية ، فبالغوا في تصوير المعاصي أيا كان نوعها ، واستولى على قلوبهم الرعب والخوف من الله وعذابه ، بل كان الخوف هو الباعث الاكبر في كل ما أتوا بــه من طاعة وعبادة .

وفي المراحل التالية ابتداء من القرن الثالث ـ أو قبل ذلك بقليل استجاب أتقياء المسلمين للطائفة الثانية من الأيات ، وحل في قلوبهم حب الله محل الخوف منه ، وأصبح الحب الباعث الاول في كل ما أتوا به من اعمال الطاعة والعبادة .

وبذلك ظهر في التصوف الاسلامي منذ عصر مبكر نزعتان : تتمثــل النزعة الاولى في المسلم الزاهد الذي نظر الى الله نظرته الى قوة هائلة قاهرة قادرة على كل شيء ، مهيمنة على كل شيء ، مريدة لكل شيء : لا تجري في الكون حركة ولا سكنة الا بأمر الله وطوع ارادته : يبطش بمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، ويغفر لمن يشاء .

بل ان بعضهم ذهب الى القول بأن « الحب الالهي » هو سر خلق الله للعالم : لأنه تعالى أراد أن يكشف عن سر جماله الأزلي ليظهره في صفحة الوجود ليكون دليلا عليه كما قال تعالى عن نفسه في حديث قدسي : « كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبه عرفوني » (١) وكان من نتائج هذه النزعة ظهور نظرية الحب الالهي وذيوعها في أوساط الصوفية طــوال العصور ، وظهــور فــكرة الجــذب الصوفي وفــكرة الاتصال بالله .

لا مجال اذن للقول بأن نظرية الحب الالهي نظرية ليست اسلامية ، أو أنها لا سند لها من القرآن والحديث ، وانها أمر استحدث عندالمسلمين

---

(١) ان هذا الحديث موضوع كما قال علماء الحديث امثال ابن تيمية وابن حجر (ف.ش).

عندما تأثروا بأصحاب الديانات الاخرى كالمسيحية والمانوية ، وان كان لهاتين من غير شك اثر غير قليل في تشكيل هذه النظرية واساليب التعبير عنها .

فظاهر من كل ما تقدم أن في القرآن والحديث نصوصا صريحة الدلالة على محبة الله لعباده ومحبة عباده له ، وان هذا أمر لا يجحده الا جاهل أو مكابر . اما ان هذه البذور الاولى قد نمت في البيئة الاسلامية تحت تأثير ثقافات اجنبية حتى ظهر عنها نظرية بل نظريات في الحب الالهي ، فهذا أمر يجب ان نسلم به وان كان يجب الا نبالغ في شأنه . واقوى المصادر الأجنبية تأثيرا في نظريات الحب الالهي عند المسلمين ، المسيحية والمانوية والافلاطونية الحديثة .

من الصوفية من لم يستبشع شيئا من معاني الحب ومستلزماته عند كلامهم في حبهم لله أو حب الله لهم ، بل اعتبروا ذلك الحب حقيقة واقعة اختصوا بها وعرفوها في تجاربهم وشعروا بلذتها ، وان لوازم المحبة من شوق وحنين وانس ومناجاة ولذة قرب والم بعد ، انما هي حقائق ادركوها في مواجيدهم ، وان المحبة أمر متبادل بين الله وعبده ، فالله يشتاق الى العبد ويطلب قربه كما يشتاق العبد اليه ويطلب قربه : والله يناجي العبد ويغار عليه كما يناجيه العبد ويغار عليه . الى غير ذلك من صفات المحبة ولوازمها . اما المواظبة على طاعة الله وخدمته فهي عندهم فرع المحبة وليست مرادفة لها كما ذهب اليه بعض الاوائل . وقد حاول الغزالي ان يجد اساسا عقليا لحب الانسان لله ، فقسم المحبة الى خمسة انواع وقال ان هذه الأنواع لا يتصور كمالها ولا اجتماعها الا في حب الله . اما انواع المحبة فهي : ١ ـ محبة الوجود ، ٢ ـ محبة من يرجع اليه دوام الوجود ، ٣ ـ محبة المحسن الى الغير ، ٤ ـ محبة كل ما هو جميل في ذاته ، ٥ ـ محبة من كان بينه وبين المحبوب مناسبة .

اما ان هذه الأنواع لا يتصور كمالها ولا اجتماعها الا في حب الله ، فذلك لأن العبد اذا أحب وجوده فقد أحب الله لأنه واهب هذا الوجود ، واذا أحب دوام وجوده ، فقد أحب الله لأنه هو الذي يديم عليه وجوده ، واذا أحب المحسن اليه ، فقد أحب الله المحسن المسبغ النعم ، واذا أحب الجمال فقد أحب الله الذي هو مصدر كل جميل ، أو لأنه هو الجميل على

الحقيقة(١) . أما من النوع الخامس ، فيرى الغزالي أن المناسبة موجودة بين العبد وربه ـ المحب والمحبوب ـ اذ العبد فيه الروح التي هي من أمر الله . والتي من أجلها استحق الانسان الخلافة عن الله كما استحق أن تسجد له الملائكة (١) .

وظهرت أول نظرية في الحب الالهي في مدرسة البصرة ، وكان ظهورها عند جماعة لقبوا بالزنادقة ـ أو زنادقة الزهاد ـ وهو اسم أطلقه عليهم أبو داود السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ ومن هؤلاء رابعة العدوية

---

(١) في هذا التقسيم للغزالي وشارحه ، كلام فيه الصواب ، وفيه الخطأ . وحب العبد لربه يتلخص في اطاعة أوامره وترك نواهيه . قال سبحانه : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) .

(٢) لقد اشتهرت فكرة الانسان خليفة الله في الارض بين كثير من العلماء والكتاب . وهي فكرة خاطئة ، ولعل الغزالي اول من قال بها ! والى القارىء أدلتنا على ذلك نقلا عن مصادر موثوقة :

١ ـ ان الناس مهما أوتوا من السمو والرفعة لا يستطيعون أن يمثلوا هذه الخلافة ، حتى الانبياء والرسل .

٢ ـ ان الانسان معرض للخطأ والانحراف ، فاذا اخطأ وانحرف ، فباسم من يكون قد فعل ذلك ؟ اذا اعتبرناه خليفة الله ؟ !

٣ ـ سياق الآية : (اني جاعل في الارض خليفة) ينافي هذا التفسير . فان الملائكة لو فهموا ان آدم خليفة الله ، لما تجوزوا ، ولا توهموا أن خليفة الله سيفسد في الارض ويسفك الدماء ، فالمقصود بالخليفة هنا من كان قبل آدم من المخلوقات ...

٤ ـ ويشير الى ما ذكرنا قوله صلى الله عليه وآله وسلم في أثناء حديث صحيح له : « واذا حاصرت أهل حصن ، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله ، وذمة رسوله فلا تجعل لهم ذمة الله ، ولا ذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فانكم ان تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم ، أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله ... » .

٥ ـ ان الخليفة يكون للغائب ، والله ـ سبحانه ـ ليس كذلك .

وقد بين ذلك مفصلا شيخ الاسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في الفتاوى(٢/٤١١):

« وقد ظن بعض الغالطين كابن عربي ان الخليفة هو الخليفة عن الله ، مثل نائب الله ، والله ـ تعالى ـ لا يجوز له خليفة ، ولهذا قالوا لابي بكر : ياخليفة الله . فقال : لست بخليفة الله ، ولكني خليفة رسول الله . حسبي ذلك . رواه احمد في المسند . بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره ، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم انت الصاحب في السفر ، والخليفة في الاهل . اللهم اصحبنا في سفرنا ، واخلفنا في أهلنا .. ولا يجوز ان يكون احد خلفا منه ـ أي من الله تعالى ، ولا يقوم مقامه ، وانه لا سمي له ولا كفء . فمن جعل له خليفة ، فهو مشرك به ! » ا . هـ .

هذا ـ وما اورده الامام ابن تيمية عن لسان أبي بكر رضي الله عنه نفيه ضعف ، ولكن قبول الصحابة على اسم خليفة رسول الله معروف ، ولم يقل احد عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وهم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انهم خلفاء الله .

(توفيت سنة ١٨٥) ورياح بن عمرو القيسي المتوفى سنة ١٨٨ (١) وحبان ـ أو ابن حبان ـ الحريري ، وابو حبيب العجمي . وقد اطلق هذا الاسم ايضا على عبد الواحد بن زيد (المتوفى سنة ١٧٧) وكليب وعبدك الصوفي الشيعي وامرأة رياح القيسي وابي العتاهية الشاعر .

ولا شك أن ظهور الكلام في الحب الالهي في بيئة البصرة في صورة قوية ناضجة له مغزاه ، وان كنا لا نعرف الكثير عن الظروف التي أحاطت برجال مدرستها ، ولكنا نعرف على الاقل أن منهم من كان متأثرا بالفلسفة المانوية التي عرفت بنظرية خاصة في الحب الالهي خلاصتها أن أرواح الابرار ذرات نورانية انبثقت من ينبوع النور الاعظم ، فهي دائما تنجذب اليه وتحن الى العودة اليه ، وتحاول جاهدة الفرار من هياكلها المظلمة ، فغايتها التحرر من ربقة عبوديتها ، والانطلاق من سجنها الارضي .

وأول من تغنى بنغمة الحب الالهي من هذه الطبقة كانت رابعة العدوية التي أحبت الله لذاته ـ لا خوفا من ناره ولا طمعا في جنته ، وكان أقصى امانيها أن يكشف الله لها عن وجهه الكريم ويرفع عن قلبها الحجب التي تحول دون مشاهدته ، وفي هذا تقول مخاطبة الذات الالهية :

احبك حبين حب الهوى ... وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى ... فكشفك لي الحجب حتى أراكا
وأما الذي انت أهل له ... فلست أرى الكون حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكا (٢)

ادركت رابعة العدوية سر الحياة الصوفية وجوهرها : وذلك السر

---

(١) ذكره الشعراني (في الطبقات) بالياء (رياح) وكذلك الفيروزبادي في المحيط : قال هذا الاخير « رياح بن عمرو العبسي (لا القيسي) وهو مختلف فيه ، فبعضهم يقرؤها رياح بالياء وبعضهم رباح بالباء الموحدة » وقد ذكره السمعاني بالياء .

(٢) نلاحظ في كلام رابعة أخطاء نذكر منها :

١ ـ ان قولها : « عبدت الله لذاته ، لا خوفا من ناره ، ولا طمعا في جنته » كلام مخالف لايمان الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين وصفهم الله سبحانه بقوله : (ويدعوننا رغبا ورهبا) .

٢ ـ ان طلبها منه تعالى « كشف الحجب حتى تراه » ، كلام مخالف للقرآن ، ولم يتم للرسل انفسهم قال سبحانه : (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) .

هو انكار الذات وفناء المحب في المحبوب . اذ لا يعرف الله حقا ولا يحب الحب الحقيقي ، وفي النفس ادنى شعور بذاتها وبالعالم المحيط بها (١) وفي هذا تتفق رابعة مع صوفية المسلمين الذين تغنوا بنغمة الحب الالهي من بعدها ، بل مع صوفية غير المسلمين من اصحاب الديانات الاخرى . يقول ابو عبد الله القرشي : « حقيقة المحبة ان تهب كلك من احببت فلا يبقى لك منك شيء » ، ويقول الشبلي « سميت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب كل ما سوى المحبوب » (٢) .

ولم يقف ابن الفارض عند حد التغني بأناشيد الحب الالهي التي يفيض بها ديوانه . بل وصف كذلك لازما من لوازم ذلك الحب هو النشوة بالخمر الالهية التي سكرت بها ارواح العاشقين من قبل أن تخلق الخمر ، كما وصف الجمال في شتى صوره ، ورمز لمحبوبه بما اشتهر من اسماء المعشوقات اللاتي تردد ذكر اسمائهن في الغزل العربي القديم .

ويرى ابن عربي ان المحبوب على الحقيقة في كل ما يحب انما هو « الحق » الذي يتجلى في مالا يتناهى من صور الجمال ، سواء اكانت حسية أم معنوية أم روحية . وهو اذا تغنى بحب ليلى وسعدى وهند وغيرهن ، فانما يرمز بالاسم الى حقيقة المسمى ، وبالصورة الى صاحب الصورة ، ولا يعنيه الرمز قدر ما يعنيه المرموز اليه . وقد كتب ديوانا بأكمله ــ هو « ترجمان الأشواق » ــ يتغزل فيه « بالنظام » ابنة الشيخ مكين الدين بن شجاع بن رستم الذي لقيه بمكة حين نزل بها ، ويصف فيه محاسن هذه الغادة الخلقية .

ولنستمع الآن الى الشاعر الصوفي جلال الدين الرومي يعبر في ديوانه عن حبه الالهي بتعبيرات شركية رهيبة :

نفسي ! أيها النور المشرق ، لا تنأ عني لا تنأ عني .

حبي ! أيها المشهد المتألق ، لا تنأ عني ، لا تنأ عني .

انظر الى العمامة أحكمتها فوق راسي ، بل انظر الى زنار زرادشت حول خصري .

---

(١) ان في هذا الحب المزعوم تكليفا لما لا يطاق ومحاربة للفطرة ، وكل ذلك لم يكلفنا الشرع به (ف . ش) .

(٢) التصوف : الثورة الروحية في الاسلام ص ١٩٠ ــ ٢٢٤ باختصار .

احمل الزنار ، واحمل المخلاة ، لا ، بل احمل النور ، فلا تنأ عني ، لا تنأ عني .

مسلم انا ، ولكني نصراني ، وبراهمي وزرادشتي .

توكلت عليك أيها الحق الاعلى ، فلا تنأ عني ، فلا تنأ عني .

ليس لي سوى معبد واحد ، مسجدا أو كنيسة ، أو بيت أصنام ووجهك الكريم فيه غاية نعمتي ، فلا تنأ عني ، فلا تنأ عني .

ولم يكتف كثير من المتصوفة على ادعاء الحب الالـهي بأساليبهم الغريبة ، بل راحوا يتلفظون بالعشق الالهي ! جاء في كتاب تلبيس ابليس: قال السراج : وبلغني أن ابا الحسين النوري شهد عليه غلام الخليل أنـه سمعه يقول : أنا اعشق الله عز وجل وهو يعشقني ، فقال للنوري : سمعت الله يقول (يحبهم ويحبونه) وليس العشق بأكثر من المحبة ، قال القاضي ابو يعلى : وقد ذهبت الحلولية الى أن الله عز وجل يعشق !!!

قال الامام ابن الجوزي في الرد على ذلك .

وهذا جهل من ثلاثة أوجه . أحدها من حيث الاسم ، فان العشق عند أهل اللغة لا يكون الا لما ينكح . والثاني أن صفات الله عز وجل منقولة، فهو يحب ، ولا يقال يعشق ، كما يقال يعلم ولا يقال يعرف ، والثالث : من أين له ان الله تعالى يحبه ؟ ! فهذه دعوى بلا دليل (١) . . .

وراح المتصوفة ايضا يذكرون الخمرة وكؤوسها والعشق ومغامراته ويدعون ذلك حبا الهيا ، قال شاعرهم :

أسقـني طـاب الصبـوح	مـا تـرى النجـم يـلوح
أسقـني كـاسـات راح	هـي لـلارواح روح
غـن لي باسـم حبيبي	فـلعـلي اسـتريـح
نحـن قـوم في سبيـل الـ	عشـق نغـدو ونروح
نحـن قـوم نـكـتـم الا	راء والدمـع يبـوح (٢)

(١) ص ١٩٠ عن تلبيس ابليس ط : دار الوعي .

(٢) العلم الشامخ للامام المقبلي ص ٣٧٧ .

الحـــلول

للصوفية عقائد تخالف المعتقدات الاسلامية اكتسبوها من الديانات اليهـودية والنصرانيـة والمجوسيـة والهنـدية والفلسفـة اليـونانيـة والرافضة . ومزجوها بالعقائد الاسلامية : نذكرها تباعا في الموضوعات التـالية :

١ ــ الحلول٢ ــ وحدة الوجود ٣ ــ الحقيقة المحمدية ٤ الاوليـاء ٥ ــ نظام الكون ٦ ــ الجنة والنار ، الكرامـة ٨ ــ العمل ٩ ــ الجهـاد ١٠ ــ اكتساب العلم ١١ ــ الزواج ١٢ ــ تفسير القرآن وغير ذلك .

ونحن لا نقول بان كل المتصوفة يعتقدون ذلك فنحن نحكم عـلى العقائد بالبطلان والآراء بالانحراف والزيغ ولا نتعرض للاشخاص ، فان الحكم على الاشخاص متروك لمن يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور .

يقصد الصوفية بالحلول ان روح الله سبحانه وتعالى حلت في بعض الاجسام التي اصطفاها واختارها فانقلبت هذه الاجسام البشرية الى آلهة تسير على الارض . وتعيش بين الناس .

وكان الحلاج من اشهر المتصوفة القائلين بهذا القول وقد شـرح عقيدة الحلول بقوله :

(من هذب نفسه في الطاعة . وصبر على اللذات والشهوات . ارتقى الى مقام المقربين ثم لا يزال يصفو ويرتقي في درجات المصافاة حتى يصفو عن البشرية فاذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل فيه روح الاله الذي حل في عيسى بن مريم . ولم يرد حينئذ شيئاً الا كان كما اراد ، وكان جميع فعله فعل الله تعالى) (١) .

وجاء في رسائله لبعض اتباعه « من الهو ؟ هو رب الارباب المتصور في كل صورة الى عبده فلان » (٢) وجاء في كتب اتباعه له « يا ذات اللذات ومنتهى غاية الشهوات نشهد انك المتصور في كل زمان بصورة وفي زماننا هذا بصورة الحسين بن منصور ونحن نستجير ونرجو رحمتك يا علام الغيوب» (٢) .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ص ٣٥٤ مجلد ١٠

(٢و٣و٤) تلبيس ابليس ص ٢٤٥ .

ويروى بأن ابا يزيد البسطامي دخل مدينة فتبعه منها خلق كثير فالتفت اليهم فقال : اني انا الله لا اله الا انا فاعبدون . (١) فقال الناس جن ابو يزيد وتركوه .

وشرح ابو يزيد كيفية حلول الله فيه فقال : رفع بي مرة حتى قمت بين يديه فقال لي يا ابا يزيد ، ان خلقي يحبون ان يروك . قلت : يا عزيزي وانا احب ان يروني فقال : يا ابا يزيد . اني اريد ان اريكهم . فقلت : يا عزيزي ان كانوا يحبون ان يروني وانت تريد ذلك وانا لا اقدر على مخالفتك . قربني بوحدانيتك ، والبسني ربانيتك ، وارفعني الى احديتك . حتى اذا رآني خلقك قالوا رأيناك فيكون انت ذاك . ولا أكون انا هناك ففعل بي ذلك (٢) .

وهناك عقيدة صوفية تشبه عقيدة الحلول لم يعدها المتصوفة منه بل يسمونها « التجلي » ويكون التجلي باسم او صفة .

وقال ابن الفارض زاعما ان الله حل حتى بالفاجرات من النساء :

ففي النشأة الاولى تراءت لآدم	بمظهر حوا قبل حكم الامومة
فهام بها كيما يكون بها ابا	ويظهر بالزوجين حكم البنوة
وما برحت تبدو وتخفى لعلة	على حسب الاوقات في كل حقبة
وتظهر للعشاق في كل مظهر	من اللبس في اشكال حسن بديعة
ففي مرة لبنى واخرى بثينة	وآونة تدعى بعزة — عزت
ولسن سواها لا ولاكن غيرها	وما ان لها في حسنها من شريكة

يقول عبد الكريم الجيلي :

« اذا تجلى الله تعالى على عبد من عبيده في اسم من اسمائه استظل العبد تحت انوار ذلك الاسم . فمتى ناديت الحق بذلك الاسم اجابك العبد لوقوع ذلك الاسم عليه ... فان ارتقى وقواه الله وابقاه بعد فنائه كان الله مجيبا لمن دعا هذا العبد . فان قلت مثلاً يا محمد . اجابك الله . لبيك وسعديك ثم اذا قوي العبد في الترقي تجلى الحق له في اسمه الرحمن ثم في اسمه الرب ثم في اسمه الملك» (٣) .

(١و٢) تلبيس ابليس ص ٢٤٥ .
(٣) الانسان الكامل ص ٣٨ .

ويقول ايضاً :

« ومنهم من تجلى الله عليه بصفة السمع ، فيسمع نطق الجمادات والنباتات والحيوانات وكلام الملائكة واختلاف اللغات ... وفي هذا التجلي سمعت علم الرحمانية من الرحمن فتعلمت قراءة القرآن ، فكنت الرطل وكان الميزان . وهذا لا يفهمه الا اهل القرآن » (١) .

والعقيدة الحلولية لم تكن وقفاً على الصوفيين . بل تجد جذورها في عقيدة النصارى بحلول الله سبحانه وتعالى في جسد المسيح .

وقد ذكر العلامة ابو منصور عبد القاهر المتوفي عام ٤٢٩ هـ عشر فرق تعتقد بالحلول (٢) ومنها .

١ ـ الحلاجية: وتعتقد بان روح الله حلت بالحسين بن منصور «الحلاج» .

٢ ـ العذاقرة : وتعتقد بان روح الله حلت بمحمد بن السلمقاني الملقب بابي العذاقرة وقد اعفى اتباعه من الشريعة واباح لهم فعل اللواطة .

وقد حكم العلامة ابو منصور عبد القاهر على هذه الفرق بالكفر والالحاد وقال بان الهدف من هذه العقيدة افساد عقيدة المسلمين بالتوحيد . كما افتى فقهاء الشريعة في زمن المقتدر بالله باباحة دم الحلاج . فقدم الى حامد بن العباس فضربه الف سوط ثم قطع يديه ورجليه وصلبه على جسر بغداد . وبعد ثلاثة ايام انزل واحرقت جثته وطرح رماده في نهر دجلة(٣) .

وقد انقسم مشايخ الصوفية في حكمهم على الحلاج الى قسمين .

فبرىء منه عمر بن عثمان المكي وابو يعقوب الاقطع ... وقبله جماعة من الصوفية منهم . ابو العباس بن عطاء في بغداد . وابو عبد الله بن خفيف في فارس . وابو قاسم النصر باذي في نيسابور . وفارس الديناوري في ناحيته(٤) . وهم من الذين حكموا الهوى وتركوا الشرع ، والا فكيف يقبلون الحلاج ، وقد اطلعنا على بعض أقواله المارقة ؟ !

وقد حمل السهروردي وهو من متصوفة القرن السابع الهجري في كتابه عوارف المعارف على الحلوليين واخرجهم من دائرة التصوف ورد

---

(١) الانسان الكامل ص ٤٣ .

(٢و٣و٤) دائرة معارف القرن العشرين ص ٣٥١ ـ ٣٥٤ مجلد ١٠ .

معتقدهم الى المعتقدات النصرانية فقال :

« ومن جملة اولئك « اي المنتمين الى الصوفية وليسوا منهم » جملة يقولون بالحلول ويزعمون ان الله تعالى يحل فيهم ويحل في اجسام يصطفيها ويسبق لافهامهم معنى من قول النصارى في اللاهوت والناسوت . ومنهم من يستبيح النظر الى المستحسنات اشارة الى هذا الوهم . ويتخايل له ان من قال كلمات في بعض غلباته كان مضمر الشيء مما زعموه مثل قول « الحلاج » : انا الحق ، وما يحكى عن ابي يزيد قوله « سبحاني » ... ولو علمنا ان ذكر ذلك القول مضمر الشيء من الحلول رددناه كما نردهم . وقد اتانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشريعة بيضاء نقية يستقيم بها كل معوج . وقددلتنا عقولنا(١) على ما يجوز وصف الله تعالى به ومالا يجوز . والله تعالى منزه ان يحل به شيء او يحل بشيء » (٢) .

وحدة الوجود

القائلون بوحدة الوجود يختلفون في تصويرها الى فريقين : فريق يرى الله روحا ويرى العالم جسما لذلك الروح . فالله هو كل شيء . وفريق يرى جميع الموجودات لا حقيقة لوجودها غير وجود الله . فكل شيء هو الله (٣) .

يقول الشيخ حسن رضوان(٤) : انما الموجود حقيقة هو ذات الحق تعالى وليس لتلك الاعيان والماهيات الظاهرة وجود حقيقي ذاتي لها . وانما المشاهد فيها انصباغها بنور الوجود الحق على نحو من انحاء الظهور وطور من اطوار التجلي الخفي . فهو الظاهر في جميع المظاهر المشهود في كل التعينات بحسب استعداداتها وتعدد شؤونه بتكثر حيثياتها ... فظهر الحق في كل ماهية على ما تقتضيه ذاته الكريمة من التنزه التام القديم الذي لا يعرفه غيره ... ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وآله

(١) صفات الله نقلية ، وليست عقلية ، فلا يجوز وصفه سبحانه الا بما وصف به نفسه او وصفه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٧ .

(٣و٤) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ١ ص ١٧٩ و ٢٦٠ .

وسلم : رأيت ربى في صورة شاب أمرد (١) وقوله خلق الله آدم على صورة الرحمن (٢) .

ويعتقد القائلون بوحدة الوجود ان علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين كان يشير الى هذه العقيدة بقوله .

يارب جوهر علم لو ابـوح بـه لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون اقبح ما يأتونـه حسـنا
اني لاكتم مـن علمي جواهره كي لايرى الحقذو جهل فيفتتننا(٣)

ويحتجون أيضا بقول ابي هريرة (ر) حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودعائين من علم فأما احدهما فبثثته واما الآخر فلو بثثته قطع مني هذا البلعوم (٤) .

وقال صاحب كتاب « هتك الاستار في علم الاسرار » : العالم موجود بوجود الحق وهو منقطع النظر عن الحق غير موجـود في عينه . اذ لا وجود له من ذاته ولا وجود لظل بلا وجود شخص) (٥) .

وضرب لذلك مثلا فقال :

اعلم ان الاتحاد غيبوبة العدد في واحد الذي به ظهر وفناؤه فيه من حيث الواحد . فليس العدد غير الواحد ولا هو نفس الواحد . بل ظهرت الاعداد بظهور الواحد في المراتب المعلومة . فأوجد الواحد العدد بتكرر الواحد . ولم يكن حصول الواحد لان الاثنين مثلا الا واحدا اجتمعا بالهيئة الوحدانية فحصل منهما الاثنان . فمادته هو الواحد بتكراره العدد مثال لايجاد الحق الخلق بظهوره في الصور الكونية وتفصيل مراتب العـدد لاظهار الاعيان . . والارتباط بين الواحد والعدد مثال للارتباط بين الحق والخلق (٦) .

---

(١) حديث موضوع . أسنى المطالب ص ١١٠
(٢) أي خلق الله آدم على صفة الرحمن من العلم والحياة والسمع والبصر وان كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء : شرح الجامع الصغير ج ٢ ص ٢٣٠
(٣) فتوحات مكية ج ١ ص ٢٦٠ والتصوف الاسلامي ج ٢ ص ٦٨ .
(٤) اخرجه البخاري في الفتن ، اشارة منه رحمه الله الى عدم علاقة الحديث بعلم الظاهر والباطن كما يزعم المتصوفة ، والا لاورده في كتاب العلم ، ومن اراد التفصيل فليراجع شرح الحديث في « فتح الباري » للحافظ ابن حجر .
(٥و٦) دائرة معارف القرن العشرين ص ٦٧٦ و ٦٧٨ مجلد ١٠ .

وقال : « ان الحق المنزه عن الاكوان هو بعينه الخلق المشبه . وان كان قد تميز الخلق بامكانه من الخالق . فالشيء الذي هو الخالق هو المخلوق بعينه . لكن في مرتبة أخرى غير مرتبة الخالقية » (١) .

وقال : اعلم ان الذي ظهر بصورة كبش في قضية اسحاق (٢) هو الذي ظهر بصورة انسان (٣) .

وقال : فآدم هو الحق باعتبار ربوبيته واتصافه بالصفات الالهية والخلق باعتبار جسده كما قيل :

حقيقة الحق لا تحد ... وباطن الرب لايعد
فباطن لا يكاد يخفى ... وظاهر لا يكاد يبدو
وان يكن باطنا فرب ... وان يكن ظاهرا فعبد (٤)

ويزعم ابن عربي ان الله سبحانه وتعالى يكون في المرأة عندما يتصل بها زوجها ويعلل بذلك حب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للنساء فيقول : « ولما أحب الرجل المرأة طلب الوصلة ... فلم تكن في صورة النشأة العنصرية اعظم وصلة من النكاح ولهذا تعم الشهوة اجزاءه كلها ولذلك أمر بالاغتسال منه فعمت الطهارة كما عم الفناء فيها عند حصول الشهوة . فان الحق غيور على عبده ان يعتقد بانه يلتذ بغيره ... فاذا شاهد الرجل الحسن في المراة كان شهودا في منفعل واذا شاهده في نفسه ... شاهده في فاعل ... فشهوده للحق في المرأة اتم واكمل ... فلهذا احب صلى الله عليه وآله النساء لكمال شهود الحق فيهن . اذ لا يشاهد الحق مجردا عن المواد ابدا (٥) .

وقد اكثر الشعراء المتصوفة من ذكر مذهب وحدة الوجود بالتلميح او التصريح ومن ذلك قول التستري :

انا المحب والحبيب ... ما ثم ثاني (٦)

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ص ٦٧٩ مجلد ١٠ .
(٢و٣) ان كبش الفداء كان لاسماعيل وليس لاسحاق .
(٤) دائرة معارف القرن العشرين ص ٦٨١ مجلد ١٠ .
(٥) صوفيات ص ٢١ نقلا عن فصوص الحكم شرح القاشاني ص ٤٣٨ .
(٦) معراج التشوف الى حقائق التصوف ص ٣٩ .

وقول آخر :

لست انا ولسته فمن انا ومن هو
فيا هو قل انت انا ويا أنا قل أنت هو
ما في الوجود غيرنا انا وهو وهو وهو (١)

وفي ذلك قال الشيخ عبد الغني النابلسي :

اطوف على ذاتي بكاسات خمرتي واستمع الالحان في حان حضرتي
وانفخ مزماري واصغي لصوته واضرب دفي حين ترقص قينتي
احن الى ذاتي صباحا وفي المسا وغاية قصدي في العوالم رؤيتي
وما انا الا من احب وان من احب انا من غير شك وشبهة
وقد كنتعرشيواستويت عليهمن قديم زماني في الوجود برحمتي
واسجدت املاكي بامري لمظهري فكان سجودي لي وآدم قبلتي(٢)

ومن ذلك قول بعضهم :

وفي كل شيء له آية تدل على انه عينه

فما في الوجود الا الله ولا يعرف الله الا الله ومن هذه الحقيقة قال من قال : انا الله . وسبحاني كأبي يزيد البسطامي (٣) .

قال ابن الفارض :

وما كان لي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في ادا كل ركعة(٤)

قال الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى تعليقا على كلام ابن الفارض السابق :

كان هذا القائل عند الموت ينشد ويقول :

ان كان منزلتي في الحب عندكم ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي
امنية ظفرت نفسي بها زمنا واليوم أحسبها أضغاث احلام

فانه كان يظن أنه هو الله ، فلما حضرت ملائكة الله لقبض روحه تبين له بطلان ما كان يظنه ...! (٥) .

(١و٢) دائرة معارف القرن القرن العشرين ص ٦٨٢ و ٦٩٣ مجلد ١٠ .
(٣) الفتوحات المكية ج ١ ص ٣٥٤ . (٤) مصرع التصوف ص ٦٤ .
(٥) فتاوى ابن تيمية ١١/٢٤٧ ــ ٢٤٨ .

ومن ذلك قول ابن عربي :

فلولاه لما كنا ... ولولا نحن ماكانا
فأن قلنا بأنا هو ... يكون الحق ايانا
فيظهرنا ليظهر هو ... سراراً ثم اعلانا (١)

وقال ابن عربي أيضاً :

الرب حق والعبد حق ... يا ليت شعري من المكلف ؟ !
ان قلت عبد فذاك حق ... او قلت رب أنى يكلف ؟ !

ومن نوادر المتصوفة الوجوديين ما يحكى عن ابي عبد الله الرملي انه قال : تكلم ابو حمزة في جامع طرطوس فقبلوه . فبينما هو ذات يوم يتكلم اذ صاح غراب على سطح الجامع فزعق ابو حمزة وقال : لبيك — لبيك . فنسبوه الى الزندقة (٢) .

وقال السراج : بلغني عن أبي حمزة انه دخل دار الحارث المحاسبي فصاحت الشاة ماع فشهق ابو حمزة شهقة وقال : لبيك يا سيدي : فغضب الحارس المحاسبي وعمد الى سكين وقال : ان لم تتب من هذا اذبحك . قال ابو حمزة : اذا كنت لم تحسن تسمع هذا الذي انا فيه فلم لا تأكل النخالة بالرماد (٣) .

والقائلون بوحدة الوجود يقولون بانها لا تنافي احدية الحق . لان ما صدر عنه ليس الا ضربا من التعينات وهذه التعينات تتكثر وتتغير ولكن الحق في احديته لا يتكثر ولا يتغير يقول القاشاني : فان تجلى في صورة احديته الذاتية كان الله ولم يكن معه شيء وبطنت فيه الاعداد غير المتناهية بطون التصفية والثلثية والربعية في الواحد فانها لا تظهر الا بالعدد .. وان تجلى في صورة تعيناته ومراتب تجلياته اظهر الاعداد وانشأ الازواج وتلك مراتب تنزلاته وليس في الوجود الا هو (٤) .

ولعل اسوأ ما قيل في هذا المقام قول محمد بهاء الدين البيطار في (النفحات القدسية) :

---

(١) الفتوحات المكية ٢ ص ٥٩ (٢) تلبيس ابليس ص ١٦٩ (٣) الفتوحات المكية.
(٤) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ١ ص ١٩٧ نقلا عن شرح النصوص ص ٦٥ .

ومـا الـكلب والخنزير الا الهنـا   ومـا الله الا راهـب في كنيسـة(١)

ونذكر فيما يلي طائفة من تفسير محيي الدين بن عربي للقرآن يؤوله ليتفق مع عقيدة وحدة الوجود آملين من القارىء أن يفكر كثيرا ويفكر طويلا في رأيه في عقيدة هذا القائل .

١ ـ قال ابن عربي في فص حكمة قدوسية في كلمة ادريسية : « ومن أسمائه الحسنى : العلى . على من ؟ وما ثم الا هو (!!) فهو العلي لذاته ، أو عن ماذا ؟ وما هو الا هو (!) فعلوه لنفسه ، وهو من حيث الوجود عين الموجودات . فالمسمى محدثات هي العليه لذاتها ، وليس الا هو (!) . . . فهو الاول والآخر ، والظاهر والباطن ، فهو عين ما ظهر ، وهو عين ما بطن في حال ظهوره وما ثم من يراه غيره . وما ثم من يبطن عنه ، فهو ظاهر لنفسه ، باطن عنه ، وهو المسمى ابا سعيد الخراز ، وغير ذلك من اسماء المحدثات .

قال عبد الغني النابلسي في شرح « وهو المسمى ابا سعيد الخراز » .

(وهو) أي الحق تعالى (المسمى) عند الخلق (أبا سعيد الخراز) !! .

٢ ـ ثم قال ابن عربي في الفص الادريسي ايضا في تفسير قوله تعالى : (وخلق منها زوجها) فما نكح سوى نفسه (!!) فمنه الصاحبة والولد والامر الواحد في العدد (٢) .

لقد شرح عبد الغني النابلسي هذا الكلام لابن عربي ، ولم ينكر نسبته اليه فقال مؤيدا كلام ابن عربي في وحدة الوجود :

(وخلق منها) أي من تلك النفس الواحدة (زوجها) يعني حـواء عليها السلام : بأن تجلى سبحانه وتعالى لتلك النفس الواحـدة بحضرة خاصته غير الحضرة التي بها ، فكانت تلك النفس الواحدة ، فظهرت تلك النفس الواحدة في مرآة تلك الحضرة المخصوصة ، مماثلة لصورة تلك النفس الواحدة كما تظهر صورة وجه الرائي في المرآة والمرآة بنفسها منزهة عن تلك الصورة الظاهرة فيها ، فحواء نفس آدم عليهما السلام ظهرت له في مرآة تلك الحضرة الالهية المخصوصة ، وحين نكحها (فما

---

(١) صوفيات ص ٢٧ .   (٢) ص ٧ ـ ٧٧ من الفصوص .

نكح سوى نفسه) وفي الحقيقة حضرة الهية توجهت على حضرة الهية اخرى من قبيل المغايرة بين الواحد ونفسه اذا كان معلوما (١) .

٣ ــ وقال ابن عربي في تفسير بعض سورة نوح عليه السلام ، لو ان نوحا جمع لقومه بين الدعوتين لاجابوه ، فدعاهم جهارا ، ثم دعاهم اسرارا ، ثم قال لهم : (استغفروا ربكم ، انه كان غفارا) وقال : (اني دعوت قومي ليلا ونهارا ، فلم يزدهم دعائي الا فرارا) وذكر عن قومه انهم تصامموا عن دعوته ، لعلمهم بما يجب عليهم من اجابة دعوته ؟ فعلم العلماء بالله ما اشار اليه نوح عليه السلام في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم (!) وعلم انهم انما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان (٢) والامر قرآن(٢) لا فرقان ، ومن اقيم في القرآن لا يصغي الى الفرقان ، وان كان فيه (٣) . . .

قد يقول قائل : وما ادرانا ان هذه الاقوال لابن عربي فلعلها مدسوسة عليه .

اقول لقد شرح كتاب فصوص الحكم عبد الغني النابلسي وغيره فلم يقل احد منهم انها مدسوسة عليه !

وقد انشد الشاعر الصوفي جلال الدين الرومي في ديوانه يصف عقيدته في وحدة الوجود .

مجهول أنا عند نفسي . بربك خبرني ما العمل ؟

لا الهلال ولا الصليب معبودي ، ولا أنا كافر ولا يهودي .

ولا في الشرق ولا في الغرب موطني ، ولا لي قريب من ملاك ولا جن .

ولا طينتي من تراب ولا طل ، ولا صورتي من ماء ولا زبد ولا بالصين ولا سفين ، ولا بلغار مولدي .

ولا بالعراق ولا خراسان ، ولا الهند ذات الخمسة أنهار منيتي .

ولا بهذا الكون ولا ذاك ، ولا في الجنة ، ولا في النار موطني .

---

(١) شرح جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص ١٢٩/١ . (٢) أي الفرق بين الرب والعبد . (٣) يريد به وحدة الوجود والجمع بين الحق والخلق : الفصوص.

ولا طردت من عدن ولا يزدان ، ولا من آدم أخذت نسبتي .

بل من مقام ما أبعده من مقام ، وطريق خفي المعالم .

تجردت عن بدني وروحي ، فمن جديد أحيا في روح محبوبي .

والواقع ان القول بوحدة الوجود قول خطير جدا يتنافى مع العقيدة الاسلامية القائمة على التوحيد والتنزيه . فالله سبحانه وتعالى (ليس كمثله شيء) (١) وهو الواحد الاحد . « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » (٢) .

وهو الذي خلق الانسان « خلق الانسان ، علمه البيان » (٣) « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » (٤) .

« والعصر ان الانسان لفي خسر » (٥) وهو الذي خلق السماء والارض « الذي خلق سبع سموات طباقاً » (٦) ويغضب اذا ادعى احد الألوهية من دونـه .

« واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامـي الهين من دون الله . قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق . ان كنت قلتـه فقد علمته . تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك . انك انت علام الغيوب » (٧) .

وبوحدة الوجود يتساوى عبـدة الله مع عبـدة الاصنام والكواكب والنيران والحيوانات والانسان هذه الطواغيت التي هدمها الاسلام .

قال تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون(٨) .

ووحدة الوجود عقيدة ترجع اصولها الى البوذية الموغلة في القـدم ، الى العهود التي سبقت ظهور الديانات السماوية الثلاث . حينما كـان الانسان يعبد قوى الطبيعة العمياء كما يعبد الآباء والاجداد . وحينما كان يرى الله في كل عظيم او كبير لا يقوى عليه . فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي . فلما أفل قال لا أحب الافلين . فلما رأى القمر

(١) شورى ١٢ . (٢) الاخلاص . (٣) الرحمن ٣ ــ ٤ (٤) التين ٤ ــ ٦
(٥) العصر ١ ــ ٢ (٦) الملك ٣ . (٧) مائدة ١١٧ . (٨) القلم ٢٦ ــ ٢٧ .

بازغا قال هذا ربي . فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين) (١) .

وبوحدة الوجود تنقلب الديانات كلها الى اوهام وخرافات . وعقائد باطلة منهارة لا فائدة منها . مادام الانسان جزءاً من الله . فكيف يعاقب الله الاله . ولنتصور حالةمجتمع افلت من قيود الشرائع واحكمته النزوات والغرائز ، فاستباح المحرمات . اليست حاله اسوا الاحوال ؟ .

قال الدكتور زكي مبارك : ان القول بوحدة الوجود يجعل الثواب والعقاب من المشكلات فمن الذي يثيبنا حين نحسن ومن الذي يعاقبنا حين نسيء ؟ ومن نحن حتى نحسن ؟ السنا جزءا من الله ومن نحن حتى نسيء ؟ السنا بضعة من واجب الوجود ؟ ايحسن الله نفسه ثم يثيب ؟ ويسيء ثم يعاقب . تلك مشكلة المشكلات . ان ابن عربي يحل هذه المشكلة حلا طريفا وهو ينصح العوام ان يكتفوا بالشريعة فيفهموا الثواب والعقاب على نحو ما يفهم جمهور المسلمين ويحتفظ بذلك السمو الروحاني للاقطاب الواصلين . فمن سمت به التجليات الى مقام الفناء وعرف ان لا موجود الا الله . استطاع ان يقول انا الله) (٢) ثم يعقب على ذلك فيقول : ان القول بوحدة الوجود ليس الا شطحة صوفية وهو خطر كل الخطر في عالم الاخلاق . فان رابكم هذا القول فتأملوا احوال الصوفية فهم في الاغلب من الذين سقطت عنهم التكاليف وعاشوا عيش التفكك والانحلال منذ افلتوا من قيود الشرع الحنيف) (٣) .

قال المستشرق نيكلسون : « ان الاسلام يفقد كل معناه ، ويصبح اسما على غير مسمى ، لو أن عقيدة التوحيد المعبر عنها « لا اله الا الله » اصبح المراد بها : لا موجود على الحقيقة الا الله . وواضح ان الاعتراف بوحدة الوجود في صورتها المجردة قضاء تام على كل معالم الدين المنزل لهذه المعالم يمحوها محوا كاملا(٤) .

ولوحدة الوجود اصول في الديانات القديمة القديمة ، فكتاب الهنود المقدس (الفيدا) الذي يرجع تاريخه الى اكثر من ٣١٠٠ سنة جاء فيه (انه قد وجدت قبل كل شيء هيولى اولية وان هذه الهيولى كانت ماء

---

(١) انعام ٧٦ الضمير في رأيي يعود على ابراهيم الذي اراد ان ينبه قومه على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق عن طريق النظر بالاستدلال حسب ما يقرب من عقولهم ومعتقداتهم .
(٢و٣) التصوف الاسلامي فيالادب والاخلاق ج ١ ص ١٨١ (٤) هذه هي الصوفية ص ٥١

ومن الهيولى تولدت الرغبة (الكاما) وحينذاك بدا تكون الكائنات . فأول موجود كان اله يدعى (هيرانيا غاريا) ومعناه الجنين الذهبي وهو اذا استيقظ ولد الموجودات . واذا نام افناها فيه) (١) .

ويقول الاستاذ محمد فريدوجدي في وحدةالوجود بعد ان استعرض اقوال الاقدمين .

(هذه المدركات الطفيلية فيها مبدأ وحدة الوجود وهو ان كل شيء قد خلق من الجوهر الالهي الاول . ثم حدث بعد ذلك ان بعض البراهمة اطالوا التفكير في هذه النصوص وأولوها ووضعوا فيها رسائل سموها (اوبانيهاد) وكان ذلك في القرن السادس قبل الميلاد . ذكروا فيها عقائد متناقضة كعادة اهل الهند لا يمكن التوفيق بينها وكلها ترمي الى مذهب وحدة الوجود . ولكن خلف من بعدهم خلف اجادوا النظر في الاصول الكتابية واستخلصوا مذهبي (السنكهيا) و (الفيدانتا) وفيها يتجلى مذهب وحدة الوجود صريحا لاشية فيه) (٢).

وجاء في الديانةالمصرية القديمة (فيالبدء كان (نون) وهو الاقيانوس الاولي الذي تسبح أصول الكائنات في اعماقه التي لا نهاية لها . وقد ولد الله نفسه من ازل الازل من هذه الكتلة التي لم تكن لها صورة ولا عمل الى ذلك الحين) (٣) .

وقد قال بوحدة الوجود في اليونان الفلاسفة الابليون والفيلسوف (هيراكلت) الذي كان يقول : الكائن الالهي يتخلل صور الاشياء المتناهية . والمتناهي نفسه لا يوجد الا في الله . وهو السبب والقانون والهيولى التي تكون منها العالم (٤) . والمعتقد ان مذهب وحدة الوجود انتقل الى المتصوفة في القرن الثالث الهجري عن طريق الفلسفة اليونانية .

وبمناسبة الكلام على عقيدة وحدة الوجود نود ان نلفت النظر الى ناحية هامة جدا ، وهي ان الشيخ محمد الهاشمي كان قد صحح ونشر كتابا اسمه « معراج التشوف الى حقائق التصوف » لابن عجيبة ، واذا تصفحنا هذا الكتاب وجدنا فيه اشارات صريحة واضحة الى مذهب الحلول ووحدة الوجود ، التي اعتبرها حتى تلميذه « الشيخ عبد القادر عيسى » في كتابه : « حقائق عن الصوفية » كفرا وضلالا ! !

(١و٢و٣و٤) دائرة معارف القرن العشرين ص ٧٠٠ و ٧٠٢ مجلد ١٠

الحقيقة المحمدية

يقول ابن عربي :

بدء الخلق الهباء واول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية الموصوفة بالاستواء على العرش الرحماني وهو العرش الالهي . ولا اين يحصرها لعدم التميز . وممَّ وجد ؟ وجد من الحقيقة المعلومة التي لاتتصف بالوجود ولا بالعدم . وفيم وجد ؟ في الهباء . وعلى اي مثال وجد ؟ على المثال القائم بنفس الحق المعبر عنه بالعلم به . ولم وجد ؟ لاظهار الحقائق الالهية. وماغايته ؟ التخلص من المزجة فيعرف كل عالم حظه من منشئه من غير امتزاج . فغايته اظهار حقائقه ومعرفة افلاك العالم الاكبر (١) .

ويقول أيضا :

مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، فشبه بالمصباح . فلم يكن أقرب اليه قبولا في ذلك الهباء الا حقيقة محمد صلى الله عليه وآله وسلم المسماة بالعقل فكان مبتدأ العالم باسره واول ظاهر في الوجود . فكان وجوده من ذلك النور الالهي ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية . وفي الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه . واقرب الناس اليه علي بن ابي طالب رضي الله عنه امام العالم وسر الانبياء اجمعين(٢) .

فأما العالم الاعلى فالحقيقة المحمدية وفلكها الحياة ونظيرهما من الانسان اللطيفة والروح القدسي (٣) .

ويذهب عبد الكريم الجيلي ابعد من ذلك بكثير في الدلالة على الحقيقة المحمدية ، حتى يرتفع بها الى مرتبة الالوهية فيقول في مستهل كتابه الانسان الكامل :

واشهد ان سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم المدعو بفرد من بني آدم . وعبده ورسوله المعظم ونبيه المكرم ورداؤه المعلم وطرازه الافخم وسابقه الاقدم وصراطه الاقوم مجلى مرآة الذات ، منتهي الاسماء والصفات ، مهبط انوار الجبروت ، منزل اسرار الملكوت ، مجمع حقائق

(١و٢و٣) الفتوحات المكية ج ١ ص ١٥٢ و ١٥٤ .

اللاهوت ، منبع دقائق الناسوت . النافخ بروح الجبر له ، والمانح بسر الميكله ، والسابح بقهر العزرله ، والجانح بجمع السرفله ، عرش رحمانية الذات ، كرسي الاسماء والصفات ، منتهى السدرات ، رفرف سرير الاسرات ، هيولى الهباء والطبيعيات ، فلك اطلس الالوهيات ، منطقة بروج اوج الربوبيات ، سموات فخر التسامي والترقيات ، شمس العلم والدراية ، بدر الكمال والنهاية ، نجم الاجتباء والهداية ، نار حرارة الارادة ، ماء حياة الغيب والشهادة ، ريح صبا نفس الرحمة والربوبية ، طينة ارض الذلة والعبودية ، ذو السبع المثاني ، صاب المفاتيح والثواني، مظهر الكمال ومقتضى الجمال والجلال (١) .

ويجعل الجيلي الحقيقة المحمدية اصلاً للكون والملائكة والبشرية فيقول:

ان العقل الاول المنسوب الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم خلق الله جبريل عليه السلام منه في الازل فكان محمد صلى الله عليه وآله وسلم ابا لجبريل واصلا لجميع العالم ... وسمي العقل الاول بالروح الامين لانه خزانة علم الله وأمينه ويسمى بهذا الاسم جبريل من تسمية الفرع باسم اصله (٢) .

ثم يقول : لما خلق الله سبحانه وتعالى العالم جميعه من نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان المحل المخلوق منه اسرافيل قلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم (٣) .

وقال : خلق الله وهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم من نور اسمه الكامل وخلق الله عزرائيل من نور وهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم (٤) .

وقال اخيرا ! اعلم ان الانسان الكامل (الحقيقة المحمدية) هو الذي يستحق الاسماء الذاتية والصفات الالهية استحقاق الاصالة والملك بحكم المقتضى الذاتي (٥) .

والواقع ان فكرة الحقيقة المحمدية خرافة جديدة اتى بها غلاة المتصوفة لتشكيك المسلمين في اصول دينهم ودعائمه الاساسية وهي نظرية مأخوذة عن النصرانية ينقضها القرآن الكريم بنصوص صريحة

(١) الفتوحات المكية ج ١ ص ١٥٥ .   (٢) الانسان الكامل ص ٣ .
(٣و٤و٥) الانسان الكامل ص ١٠٤ و ١٠٢ .

واضحة . قال تعالى : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل . افأن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم .. (١) .

وقال تعالى (قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي) (٢) .

وقال جل شأنه (بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب (٣) .

وقال تعالى (هو الذي ارسل في الأميين رسولا منهم) (٤) .

ويخاطب الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيقول (انك ميت وانهم ميتون . ثم انكم يوم القيامة عندربكم تختصمون) (٥).

ويذكر الله سبحانه في قرآنه الكريم خبر المشركين الذين طلبوا من رسوله المعجزات فيقول جل شأنه (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا . او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا . او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا . او يكون لك بيت من زخرف او ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ..) ويأتي جواب الله سبحانه بصيغة التعجب من اقتراحاتهم ويأمر رسوله الكريم بالجواب الحاسم « قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا » (٦) .

ويصف الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بصفة العبودية فيقول :

« سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى .. » (٧) .

ويقول ايضا جل شأنه « ولما قام عبد الله يدعوه) (٨) .

ومحمد الانسان الرسول عليه السلام يقول :

انما انا بشر مثلكم وان الظن يخطيء ويصيب . ولكن ما قلت لكم قال الله فلن أكذب على الله » (٩) .

---

(١) آل عمران ١٤٥ . (٢) كهف ١١١ . (٣) ق ٢ . (٤) جمعه ٢ .
(٥) زمر ٣٠ — ٣١ . (٦) الأسراء ٩١ — ٩٤ . (٧) اسراء ١ . (٨) الجن ٢٠ .
(٩) اخرجه احمد في مسنده وابن ماجه . شرح الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٢ .

ولعل بعض القائلين بالحقيقة المحمدية يستدلون بحديث « أول ما خلق الله نور نبيك ياجابر » وهو حديث موضوع .

ويعتقد الدكتور زكي مبارك ان الحقيقة المحمدية ترجع في اصولها الى العقائد النصرانية فيقول : « وعلى ذلك تكون نظرية الحقيقة المحمدية عند غلاة الصوفية مأخوذة من اصول نصرانية فعيسى هو ابن الله ومعنى ذلك فيما افترض انه الصلة بين الله وبين الوجود ومحمد هو اول التعينات وليس فوقه الا الذات الاحدية كما لم يكن فوق عيسى الا الآب . والنصارى يتمثلون الله حين يخاطبون عيسى فلولا عيسى لانعدم الوجود . والصوفية يتمثلون الله حين يخاطبون محمدا فلولا محمد لانعدم الوجود . وعيسى هو ابن الله ولكنه يتمثل في صورة بشرية او هو الموجد في صورة بشرية . فعيسى لولاه لامتنعت الصلة بين الله وبين الوجود فانعدم الوجود ومحمد :

لولاه ما كان ارض لا ولا افق ولا زمان ولا خلق ولا جيل

وعيسى هو الكلمة واتباعه من الرسل الذين بلغوا دعوته كلمات ومحمد عند الصوفية هو الكلمة وجميع الانبياء كلمات (١) لهم خصوصية وبعض اتباع محمد لهم خصوصية » (٢) .

ثم يقول : والواقع ان الحقيقة المحمدية اسطورة من الاساطير وهي في رأينا مأخوذة من النظرية النصرانية كما ان النظرية النصرانية مأخوذة من الفلسفة اليونانية التي تقسم القوى الى عقول » (٣) وهذا في رأينا ايضا صحيح ، خصوصا اذا علمنا ان ابن عربي وهو من القائلين بهذه النظرية يقول : انه هضم ما درس من الفلسفة اليونانية ومن اصول الديانة اليهودية والديانة النصرانية والديانة الاسلامية ثم احال ذلك كله الى مزاج من الفكر الفلسفي الدقيق يعز على من رامه ويطول) (٤) .

(١و٢و٣و٤) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ١ ص ٢١٠ و ٢٧٩ و ٢٠١ .

آراء المستشرقين (١) :

ومما يلوع النفس بالحسرة ، والقلب بالاسى أن يـدرك المستشرقون ـ على رغم عداوتهم للاسلام ـ هذا الحق ، ويظل الصوفية مصرين على عداوة ذلك الحق .

يقول نيكلبسون : « اذا بحثنا في شخصية محمد صلى الله عليـه وآله وسلم ، في ضوء ما ورد عنه في القرآن من آيات ، وما أثر عنه من الحديث في الصدر الاول ، وجدنا الفرق شاسعا بين الصورة التي صور بها في ذلك العهد ، وبين الصورة التي صور بها الصوفية أولياءهم ، أو تلك الصورة التي صور بها الشيعة امامهم المعصوم وظهر من المقارنة أن صورة شخصية الرسول لا تفضل عند الموازنة صورة الولي الصوفي ، أو صورة الامام الشيعي ، ان لم تكن دونهما ، ذلك أن الولي الصوفي والامام المعصوم ، قـد وصفا بجميـع الصفات الالهيـة ، بينما وصف الرسول في القرآن بأنه بشر فيه كل ما للبشر من صفات ، وأنه ينزل عليه الوحي من ربه بين آن وآخر ، ولكنه لا يتلقاه مباشرة عن الله ، بل بواسطة الملك ، وأنه لم ير الله قط ، أو يطلع على أسراره ، وأنه لا يتنبأ بالغيب ، ولا يفعل المعجزات ، أو خوارق العادات ، بل هو عبد من عباد الله ورسول من رسله » (٢) .

ثم يتحدث الرجل عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند الصوفية، فيقول : « فمحمد اذن ليس المصدر الذي يستمد منه جميع الانبياء والاولياء علمهم بالله ، فحسب ، بل هو الحقيقة الالهيـة الساريـة في الوجود بأسره ، كما أنه العلة الاولى في خلق كل ما هو مخلوق ، والعقل الكلي الذي يصل ما بين الوجود المطلق « لله » وبين عالم الطبيعة ، وليس العالم الا صورة الحقيقة المحمدية ، كما ان الحقيقة المحمدية ليست الا صورة الله » (٣) .

ويقول جولد زيهر : « ان صورة النبي كما صورتها السنة ، قـد أصابها التعديل والتحوير ، لكي تتلاءم مع تقديس الاولياء ، حتى نجم عن

---

(١) لا اذكر رأي هؤلاء احتجاجا به ، وانما هو لبيان ان هذا الحق ، قد ادركه هؤلاء المستشرقون على عداوتهم ، فقروه . على حين يعاديه الصوفية . (٢) ص ١٥٨ في التصوف الاسلامي ترجمة الدكتور عفيفي . (٣) ص ١٦٠ المصدر السابق .

ذلك ان العقائد الشعبية ، وضعت صورة للنبي تتعارض تماما مع البيانات البشرية التي صور بها القرآن مؤسس(١) الاسلام الاول » .

ويقول هينرش بكر : « من الثابت ان الغنوص قد اثر في ايجاد هذه الصورة التي صورتها العصور الوسطى الاسلامية المتأخرة لمحمد ، وكان سببا في ايجاد ما يشبه عبادة محمد ، وهذه العبادة ، وتلك الصورة مخالفتان لما كان عليه الاسلام الاول كل المخالفة ، أما أولياء الله في الاسلام ، ففي مقابل الارواح القدسية في الهلينية « هم الكائنة الروحية الوسيطة بين الذات الالهية وبين المادة عند الغنوصية » حتى ان محمدا — وهو نموذجهم الاعلى — ينتهي بأن يصبح هو العقل الموجود منذ الازل ، وان يكون الرحيم المخلص القدير ، وعن طريق هذا المذهب ، انقلبت فكرة الوحي التي كانت موجودة في الاسلام الاول الى ضدها » .

ويقول فيليب حتي : « والعقيدة الثانية في باب الايمان هي ان محمدا رسول الله ، وخاتم النبيين ، وفي علم الالهيات القرآني ليس محمد الا بشرا لم يتم الله على يده من العجائب غير اعجاز القرآن (٢) ، الا أن التقاليد والاساطير التي اصطنعتها العامة ، من بعد ، نسجت حول هامة الرسول هالة من النور الالهي (٣) .

المدائح النبوية(٤)

نريد ان نفسر الغلو الذي يشهده كل من يقرا ما مدح به الرسول ، ذلك الغلو الذي يقضي بأنه لولا محمد ما ظهر شمس ، ولا قمر ، ولا نجوم ، ولا انهار ، ولا بحار ، ولا شجر ، ولا مدر ، ولا جبال .

نريد ان نبين كيف صح لمثل ابن نباتة المصري ان يقول :

لولاه ما كان ارض لا ولا افق ... ولا زمان ولا خلق ولا جيل
ولا مناسك فيها للهدى شهب ... ولا ديار بها للوحي تنزيل

---

(١) لا يصح ان نطلق على الرسول اسم مؤسس الاسلام . (٢) وهناك معجزات كثيرة تمت على يد الرسول (هـ) . (٣) من كتاب هذه هي الصوفية من ص ٨٤ — ٨٦ باختصار . (٤) هذا البحث منقول باختصار عن كتاب التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق .

وكيف جاز للبوصيري أن يحكم بأن محمدا دان الانبياء قبل أن يخلق فيقـــول :

وكل آي أتى الرسل الكرام بها ... فانما اتصلت مـــن نـــوره بهـــم
فانه شمس فضل هم كواكبهـــا ... يظهرن أنوارها للناس في الظلم

وهذا الغلو لا يفهم الا اذا عرفنا انه يرجع الى أصل من أصـــول التصوف ، وهو القول بالحقيقة المحمدية ، والحقيقة المحمدية هي العماد الذي قامت عليه (قبة الوجود) كما عبر ابن عربي ، هي صلة الوصل بين الله والناس ، فهي القوة المدرة التي يصدر عنها كل شيء . ولنعط الكلمة لابن عربي ليشرح هذه النقطة من المذهب الصوفي :

(اعلم أن الله لما خلق الخلق جعلهم اصنافا ، وجعل في كل صنف خيارا ، واختار من الخيار خواص وهم المؤمنون ، واختار من المؤمنين خواص وهم الأولياء واختار من هؤلاء الخواص خلاصة وهم الانبياء ، واختار من الخلاصة نقاوة وهم أنبياء الشرائع المقصورة عليهم واختار من النقاوة شرذمة قليلين هم صفاء النقاوة المروقة وهم الرسل أجمعهم ، واصطفى واحدا من خلقه هو منهم ، وليس منهم هو المهيمن على جميع الخلائق جعله الله عمدا أقام عليه قبة الوجود ، وجعله الله أعلا المظاهـــر وأسناها ، صح له المقام تعيينا وتعريفا ، فعلمه قبل وجود طينة البشر وهو محمد صلى الله عليه وآله لا يكاثر ولا يقاوم ، هو السيد ومن سواه سوقة (١) .

فابن عربي يحكم بأن محمدا « هـــو من الناس وليس مـــن الناس هو من الناس لانه مخلوق ، وليس من الناس لانه يفيض الوجود عـــلى الناس « هو المهيمن على جميع الخلائق جعله الله عمدا أقام عليه قبـــة الوجود » هو حادث الجسد ولكنه أزلي الروح .

والى هذا المعنى يوجه ابن عربي قول الرسول : « انا سيد الناس ولا فخر » ويرى أن معناه « لا أقصد الافتخار على من بقي من العالم ، فاني

---

(١) اصل الحديث : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر الحديث .. رواه احمد والترمذي وقال حسن صحيح ، وليس معناه ما ذهب اليه ابن عربي ، أي اقول ذلك شكرا لا فخرا كما قال المناوي في الفيض (ف) .

نلت أعلى المظاهر الانسانية فأنا أشد الخلق تحققا بعيني ، فليس الرجل من تحقق بربه ، بل الرجل من تحقق بعينه لما علم أن الله أوجده له لا لنفسه (١) » .

وتحرير هذه القضية أن محمدا أول التعينات الذي تعين به الذات الاحدية قبل كل تعين فظهر به ما لا نهاية له من التعينات ، فهو يشمل جميع التعينات ، فهو واحد فرد في الوجود لا نظير له : اذ لا يتعين من يساويه في المرتبة ، وليس فوقه الا الذات الاحدية المطلقة المنزهة عن كل تعين وصفة واسم ورسم وحد ونعت ، فله الفردية مطلقا ، ومن هذا يعلم ان الاسم الاعظم لا يكون الا له دون غيره من الانبياء ، ومن فرديته يعلم سر قوله : (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) (٢) كونه خاتم النبيين وأول الاولين وآخر الآخرين ، ومن أوليته وجمعيته سمو قوله : (أوتيت جوامع الكلم) وكونه أفضل الانبياء فانهم في التصاعد وسعة الاستعداد والمرتبة ينتهون الى التعين الاول ولا يبلغونه ، والتعين الاول هو محمد الذي ترجع اليه جميع التعينات فهو البرزخ بين الذات الاحدية وبين سائر الموجودات(٣) .

وليتذكر القارىء أننا نؤرخ فكرة صوفية ، فلسنا في الواقع من أنصار هذا الرأي ، ولا نكاد ندرك كيف كان محمد نبيا وآدم بين الماء والطين ، والمرجح أن هذا التصور اقتبسه الصوفية من الفلاسفة القدماء ، والمهم هو أن نفهم ان الصوفية يتصورون ذاتا أحدية لا تتكثر الا بالتعينات ، والتعين الاول هو محمد ، وهو الحكمة الفردية ، وعنه نشأت جميع التعينات حتى الانبياء ، ومن أجل ذلك كان سيد جميع الناس ، وكان خاتم الانبياء .

وقد حام حول هذه النظرية كثير من أقطاب الصوفية ، منهم محمد البكري الذي يقول :

قبضة النور من قديم أرتنا ... في جميع الشؤون قبضا وبسطا
وهي أصل لكل أصل تبدى ... بسطت فضلها على الكون بسطا

---

(١) انظر شرح القاشاني على الفصوص ٢٢٦ و ٢٦٧ .

(٢) هذا الحديث موضوع كما جاء في أسنى المطالب ، ومعناه مخل ، فان الطين يشتمل على الماء . والصحيح : « كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد » أي في علم الله الازلي وليس في معناه غرابة .

(٣) وان شئت قلت هو احتيال للوصول الى القول بوحدة الوجود (زكي مبارك) .

وهي وتر قد اظهرت‌عددالشفع بعلم فجل حصرا وضبطا
ولدت شكلها فأنتج شكلا بشريا اقام للعدل قسطا
وهو عبد قد حررته لديها بيديها وكم أفاد واعطى
حققته بحقها فهو حق جاء بالحق ينظم الخلق سمطا
لنقوش النفوس حقق والرو ح أرته في اللوح شكلا ونقطا
عالم منه آدم علم السر وعلم الاشياء رسما وخطا
هي ناسوت انسنا والهيولا شمس سر الوجودبكرا وشمطا
طلسم حارت العقول عليه كنز بحرقدشط في‌الدرك‌شطا
ان شهدناه في الجمال شهدنا لجميل غدا له الحسن مرطا
او نظرناه في الجلال راينا أسدا فاتكا من الاسد أسطا
تاج فضل له الجحاجح دانت واليه رأس المفاخر وطى
كل شي معناه والكل منه وعليه مبناه ما اختل شرطا

وقد أفصح عن هذه النظرية ابن مشيش في صلاته ، وابن مشيش هذا من اقطاب الشاذلية ، وصلاته معروفة جدا ، يقرؤها الوف الالوف في الصباح والمساء ، وقد قرأتها مع « الاخوان » أكثر من الف مرة ، يوم كنت من المهتدين !! ، وهي تنص على أن محمدا اصل كل موجود ، ولننظر كيف يقول ابن مشيش :

« اللهم صل على من منه انشقت الاسرار ، وانفلقت الانوار ، وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فاعجز الخلائق ، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق ، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة ، وحياض الجبروت بفيض انواره متدفقة ، ولا شيء الا وهو به منوط ، اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط(١) » .

والواسطة هو محمد والموسط الأشياء والناس ... ومن الذين افصحوا عن هذه النظرية مصطفى البكري في « ورد السحر » اذ يقول :

« اللهم صل وسلم وبارك على من تشرفت به جميع الأكوان ، وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي أظهرت به معالم العرفان ، وصل وسلم وبارك على عين الاعيان والسبب في وجود كل انسان(٢) » .

---

(١) هذه الصلاة يسميها الشاذلية « الوظيفة » وقد طبعت عدة طبعات ويمكن الرجوع اليها في أوراد البكري ص ٧٤ وما بعدها .
(٢) مجموع الاوراد صفحة ٦٣ .

وعبارة « عين الاعيان والسبب في وجود كل انسان » هي النظرية التي تجعل محمدا أصل الوجود .

والواقع أنه لا اسناد لهذه النظرية من شرع ولا عقل ، فالشرع يحكم بأن محمدا مخلوق اصطفاه الله لتبليغ رسالته ، والعقل لا يوجب أن يكون تسلسل الموجودات على هذا النظام الذي يقضي بأن الذات الاحدية صدرت عنها الحقيقة المحمدية ، وأن تلك الحقيقة هي الواسطة بين الله وبين جميع ما ظهر من صنوف الموجودات(١) .

لا يهمنا في هذا الفصل أن نستند الى الشرع أو العقل ، وانما يهمنا أن نفهم النظرية الصوفية كما وضعها أصحابها لنعرف كيف نشأ الغلو في المدائح النبوية .

ولا بأس من أن نحاول معرفة كيف نشأ هذا النظام الغريب ، والظاهر أن الصوفية يحرصون كل الحرص على أحدية الذات ، فهم لذلك ينفون عنها كل فعل ، وينقلون الافعال كلها الى الكلمات ، أي الانبياء ، ولما كان الصوفية عندنا مسلمين كان من همهم أن يجعلوا الكلمة المحمدية أصل الكلمات وروح الوجود .

ولا ينتظر القارىء أن نقدم له صورة شافية كافية لهذا النظام ، فالصوفية أنفسهم يدورون حوله في التواء عجيب ، ويكفي أن نقول : ان هذه الاخيلة جعلتهم يحلقون في أجواء شعرية ، ويتمثلون الوجود مربوطا بالحقيقة المحمدية أوثق رباط .

والذي يتسع وقته لقراءة كتاب الفتوحات من الالف الى الياء يرى كيف أمكن أن يكون هذا النظام مجالا للرياضة في ألوف من المحتملات والفروض .

لا يهمنا ، كما قلت ، أن نطمئن الى صحة تلك المذاهب ، وانما يهمنا أن نعرف أن الصوفية يجعلون محمدا أصل الوجود : لانه اول تعين للذات الاحدية . ومن هنا صح وحي الرسول ان يقضوا بأنه لولاه ما كان شمس ولا قمر ، ولا نجم ، ولا أرض ، ولا سماء ، ولا جماد ،

---

(١) وجاء في هذه الوظيفة قول ابن مشيش في دعائه ، مشيرا الى عقيدته في وحدة الوجود : « اللهم انشلني من اوحال التوحيد ، والقني في بحار الوحدة .. » واذكر ان احد مشايخ الشاذلية قرأ هذا الدعاء على بعض أصحابنا فقال له : « انه كفر ودعوة الى وحدة الوجود واحتقار للتوحيد الذي جاء به الانبياء » وبعد قليل من التأمل ادرك هذا الشيخ الحقيقة ، وترك الطريقة الشاذلية بعدما بقي يتلو هذا الدعاء ما يقرب من اربعين سنة. فسبحان الهادي!

ولا حيوان ، ولا انسان ، ولا بحار ، ولا انهار ، ولا جبال .

ومن هنا ايضا صح لهم أن يحكموا بان جميع الانبياء انما هم من نور ذلك الرسول كما قال البوصيري في البردة :

وكل آي أتى الرسل الكرام بها ... فانما اتصلت من نوره بهم

وكما قال في الهمزية :

كيف ترقى رقيك الانبياء ... ياسماء ما طاولتها سماء
لم يساووك في علاك وقد حا ... ل سنى منك دونهم وسناء
انما مثلوا صفاتك للنا ... س كما مثل النجوم الماء

وقول البوصيري في البردة :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فيه انحراف عن هذه النظرية ـ لان ما ادعاه النصارى لعيسى عين ما ادعاه الصوفية لمحمد ـ فعيسى عند النصارى رب ، ولكن له أب هو رب الارباب ، وكذلك محمد هو عند الصوفية رب له أصل هو الذات الاحدية .

ومن العجيب ان نظرية التثليث لا تبدو شيئا خطرا عند الصوفية ، فهم يقولون بها في غير تهيب ولا اشفاق ، وان كان لها عندهم وضع آخر يتمثل في الاوجه المختلفة لشخصية المسيح .

بل هم يذهبون في التسامح الى أبعد من ذلك فيحكمون بأن الديانات كلها حق ، وما اختلفت صور سلوك طريق الحق الا لاختلاف استعدادات الامم ، وفي ذلك يقول القاشاني :

فطريق نزول الحكم الى الانبياء واحد ، والمراد منه هو الهداية الى طريق الحق ، فطريق التوحيد واحد ، ولكن استعدادات الامم اقتضت اختلاف الملل والنحل ، فان اصلاح كل امة يكون بازالة فساد يختص بها ، وهدايتهم انما تكون من مراكزهم ومراتبهم المختلفة بحسب طباعهم ونفوسهم (١) .

الى هنا عرف القارىء كيف نشأ الاغراق في مدح الرسول ، فهو

(١) القاشاني ص ٦ .

قائم على أساس القول بوحدة الوجود ، وقد صح عندي بعد التأمل الذي دام بضع سنين أن الصوفية أرادوا أن ينتهبوا شخصية المسيح ليضفوا ثوبها على نبي الاسلام : فاذا كان المسيح ابن الله كما يزعم النصارى فمحمد ارفع من ذلك ، لان محمدا يقدر على كل شيء ، وهو اصل الوجود ، ولولاه لما ظهر عن الله شيء (١) .

ويقول الحلواني في قصيدته « المستجيرة » يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

انشاك نوراً ساطعاً قبل الورى ... فردا لفرد ، والبرية في العدم
ثم استمد جميع مخلوقاته ... من نورك السامي ، فياعظم الكرم
فلذا اليك الخلق تفزع كلهم ... في هذه الدنيا ، وفي اليوم الاهم
واذا دعتهم كربة فرجتها ... حتى سوى العقلاء في ذاك انتظم
جد لي ، فان خزائن الرحمن في ... يدك اليمنى، وأنت أكرم من قسم (٢)

وقد استعظم هذه الفكرة الشاذة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم البعيدة عن الاسلام حتى المستشرقون فأنكر الاستاذ نيكلسون ان يقرها الاسلام فنقل القصيدتين التاليتين لوصف هذا الغلو – بل قل هذا الكفر – بعد ان ذكر قول أبي العباس القصاب :

« لم يمت محمد ، وانما الذي مات هو استعدادك لان تراه بعين قلبك (٣) » .

ياسيدي يا رسول الله يا أملي ... يا موئلي يا ملاذي يوم يلقاني
هبني بجاهك ما قدمت من زلل ... جودا ورجح بفضل منك ميزاني
واسمع دعائي واكشف ما بساورني ... من الخطوب ونفس كل أحزاني
فأنت أقرب من ترجى عواطفه ... عندي وان بعدت داري وأوطاني
وفيك يا ابن خليل الله يوم غد ... الوذ من سوء زلاتي وعصياني (٤)

* * *

فخذ بيدي وجد بالعفو يا من ... اذا ناديته لبى سريعا

---

(١) من كتاب التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق من ص ٢٦٦ – ٢٨١ . (٢) ص ١٤ وما بعدها من رسالة لاحمد عبد المنعم الحلواني . (٣) راجع كتابه « في التصوف الاسلامي وتاريخه » ترجمة الدكتور ابو العلا عفيفي ص ١٦٥ و ٦٦ (٤) تذكرة الاولياء ٢/ ١٨٥ .

وقل عبد الرحيم غدا رفيقي ... وما يخشى رفيقك أن يضيعا (١)

* * *

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي ... في كل هول من الاهوال القاه
ان كان زارك قوم لم أزر معهم ... فان عبدك عاقته خطاياه
والعفو أوسع عن تقصير من قعدت ... به الذنوب فلم تنهض مطاياه (٢)

* * *

يا صاحب القبر المقيم بيثرب ... يا منتهى أملي وغاية مطلبي
يا من ترجيه لكشف عظيمة ... ولحل عقد ملتو متصعب
يا من يجود على الوجود بأنعم ... خضر تعم عموم صوب الصيب
يا غوث من في الخافقين وغيثهم ... وربيعهم في كل عام مجدب
يا رحمة الدنيا وعصمة أهلها ... وامان كل مشرق ومغرب (٣)

وما احسن ما قاله الاخ القاضي علي الطنطاوي (٤) :

« وقرر الله في القرآن ان الرسول بشر مثلنا ، وان امتاز بالوحي والرسالة علينا ، ليس له من الامر شيء ، وانه لا يعلم الغيب ، واكد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو المبين للقرآن : انه لا يغني عن عمه العباس ، وعن ابنته فاطمة من الله شيئاً ، وهي أقرب الناس اليه ، فكيف بسائر الناس ، ونهانا ان نطريه كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فخالفنا ذلك كله ، ورحنا نتلو في صباحنا ومسائنا امثال هذا البيت الفظيع ، نخاطب به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

عجل باذهاب الذي أشتكي ... فان توقفت فمن اسأل ؟

ولا يزال المنشدون عندنا ينشدون الى الآن في المولد ، وفي الاذاعات، امثال هذه الابيات :

مالي سواك أبا الزهراء ملتجأ ... يرجى لكشف هموم انحلت جسدي
فانظر الي وخلصني بحقك من ... هول القيامة يا غوثي ويا سندي
وامنن علي بأن احيا بحبك عن ... كل الوجود لأحيا مدة الابد(٥)

---

(١) ديوان البرعي : طبعة مصر سنة ١٣٠٥ ص ٢٤ ــ ٢٥ (المعرب) . (٢) ديوان البرعي ص ٣٠ . (٣) ديوان البرعي ص ٢٦ . لم يشر المؤلف الى هذه القطعة الاخيرة ، ولكني اضفتها زيادة في ايضاح المسألة . (٤) نقلا عن كتابة محمد بن عبد الوهاب ٢/٧ ــ ٨ . (٥) الاناشيد الجلية للمدرسة التجارية العلمية طبع دمشق سنة ١٣٥٠ ومثلها :

لا ارجو غيرك ان جارا ... دهري وعدمت الانصار

ومئات مثلها .

الأوليـــــاء

الولي عند الصوفية من توالت طاعته ، وتحقق قربه ، واتصل مدده(١).

قال ابو يزيد البسطامي :

حظوظ الاولياء مع تبيانها من اربعة اسماء . وقيام كل فريق منهم باسم منها وهو الاول والآخر والظاهر والباطن . فمن فني عنها بعد ملابستها فهو التكامل التام . فمن كان حظه من اسمه الظاهر لا حظ عجائب قدرته ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى في السرائر من انواره ومن كان حظه من اسمه الاول كان شغله بما سبق ومن كان حظه من اسمه الاخر كان مرتبطا بما يستقبله . وكل كوشف على قدر طاقته الا من تولاه الحق سبحانه ببره وقام عنه بنفسه (٢) .

وقد راح بعض الصوفية يزعمون ان مرتبة الولي أعلى من مرتبة الرسول ، فقال ابو يزيد : « خضنا بحرا وقف الرسل على ساحله » وقال شاعرهم :

مقام الولاية في برزخ فويق الرسول ودون النبي

قال الامام ابن تيمية في الرد على أمثال هذه السخافات والحماقات :

وقد اتفق سلف الامة وائمتها وسائر اولياء الله تعالى على أن الانبياء أفضل من الاولياء الذين ليسوا بأنبياء ، وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم « اربع مراتب » فقال تعالى : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا) .

وفي العصور المتأخرة بلغ اعتقاد الناس بالاولياء درجة كبيرة جدا . فآمنوا بعصمة الولي وطهارته وعظيم قدرته في حياته وبعد مماته وخافوا الانكار عليه ولو اتى المنكرات واقترف ابشع الفواحش . وقد حذر الشيخ تاج الدين السبكي من انتقاد الاولياء فقال :

ما رأينا احدا مبتليا بالانكار الا وكانت خاتمته خاتمة سوء على ان

---

(١) معراج التشوف ص ٤٨ . (٢) دائرة معارف القرن العشرين ص ٨١٤ مجلد ١٠ نقلا عن القشيرية .

الاولياء الذين ينكرون عليهم ليسوا باصحاب مذاهب في الشريعة كالائمة المجتهدين انما لهم ملاحظ يفهمها عنهم من يأخذ عنهم فرضي الله عنهم وعن المعتقدين فيهم أجمعين (١) .

وحدثنا الشعراني في كتابه الطبقات الكبرى عن افعال الاولياء حديثا عجيبا يدهش له الانسان ويستنكره الفكر . ومن ذلك قوله .

« ان من الاولياء الشيخ ابو علي رضي الله عنه وكان هذا الشيخ من اكمل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى وكان كثير التطورات تدخل عليه بعض الاوقات تجده جنديا ثم تدخل فتجده سبعا ثم تدخل فتجـده فيلا ثم تدخل عليه فتجده صبيا وهكذا (٢) ...

وقال ايضا : بان الشيخ محمد بن شعيب دخل الخلوة على الشيخ محمد الغمري فرآه جالسا في الهواء وله سبع عيون(٣) .

وقال : بانالشيخ علي ابو خوذة كان من ارباب الاحوال ومنالملاقية (٤) وكان رضي الله عنه يتعاطى اسباب الانكار عليه قصدا فاذا انكر عليه احد عطبه ... وكان رضي الله عنه اذا رأى امرأة او امرد راوده عن نفسه وحسَّ على مقعده (٥) ! ! .

ولذلك نرى شدة علماء الشريعةفي الانكار على هذه الاعمال والاخبارات ويبرر المتصوفة افعالهم هذه بقول الجنيد وهو من اكبر ائمتهم .

لا يبلغ الرجل عندنا مبلغ الرجال حتى يشهد فيه الف صديق من علماء الرسوم بانه زنديق وذلك لان احوالهم وراء النقل والعقل (٦) . وسنفرد بحثا خاصا لمناقشة كرامات الاولياء في الفصول القادمة ان شاء الله .

الديــوان البــاطني

للصوفية اسطورة تزعم أن في الوجود ديوانا باطنيا ، يحكم فيه القطب الاكبر بما يشاء ، ويصرف ــ هو ومن معه من أقطــاب صغار ــ أقدار

---

(١) الانوار القدسية على هامش الطبقاتالكبرى ج ١ ص ١١٥ . (٢و٣) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٨٠ و ٨١ . (٤) الملاقية هم الصوفيون الذين يعملون في كتم العبادات واخفاء الاعمال والاحوال . (٥) الطبقات الكبرى ج٢ ص ١٢٢ (٦) الانوار القدسية على هامش **الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٢٢ .**

الوجود ، انه عند الصوفية محكمة عليا يحاكم فيها الاقطاب أقـدار الله(١) وقد وصف الدباغ هذا الديوان ، وفصل مهامه ، فلنترك له الحديث عن هذه الخرافة .

يقول الدباغ : « الديوان يكون بغار حراء ، فيجلس الغوث خارج الغار ، ومكة خلف كتفه الايمن ، والمدينة امام ركبته اليسرى ، واربعة اقطاب عن يمينه ...

والتصرف للاقطاب السبعة على أمر الغوث ، وكل واحد من الاقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته ... ولغة أهل الديوان السريانية (!!) .

واهل الديوان اذا اجتمعوا فيه ، اتفقوا على ما يكون به من ذلك الوقت الى مثله من الغد ، فهم يتكلمون في قضاء الله تعالى في اليوم المستقبل والليلة التي تليه ، ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية ، والعلوية (٢) .

ا ــ الاقطاب وهم ثلاثة انواع .

آ ــ **القطب الواحد** : وهو عند ابن عربي روح محمد عليه الصلاة والسلام ، واكمل مظاهره في قطب الزمان . وهو المد لجميع الانبياء والرسل عليهم السلام والاقطاب من حين النشء الانساني الى يوم القيامة . قيل له صلى الله عليه وآله وسلم متى كنت نبيا فقال كنت نبيا وآدم بين الماء والطين(٣) وكان اسمه مداوي الكلوم فانه بالجراحات خبير ، الذي يجرحها الهوى والراي والدنيا والشيطان والنفس ، وكل لسان نبوي أو رسولي او لسان الولاية . وكان له نظر الى موضع ولادة جسمه بمكة والى الشام ثم صرف الآن نظره الى ارض كثيرة الحر واليبس لايصل اليها احد من بني آدم (٤) .

ب ــ **قطب العالم الانساني** : يقول ابن عربي : والارض لا تخلو من

---

(١) هذه هي الصوفية ص ١٣١ باختصار . (٢) انتهى مختصرا بلفظه من كتاب الابريز للدباغ ٢/ص ٢ ــ ٩ ط ١٢٩٢ هـ . (٣) الحديث موضوع . انظر شرح الجامع الصغير ج ٣ ص ٩١ واسنى المطالب ص ١٦٥ . (٤) الفتوحات المكية ص ١٩٦ .

رسول حتى بجسمه(١) فانه قطب العالم الانساني . ولوكانوا الف رسول لا بد ان يكون الواحد من هؤلاء هو الامام المقصود فابقى الله بعد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من الرسل الاحياء باجسادهم في هذه الدار الدنيا ثلاثة وهم ادريس عليه السلام بقي حيا بجسده واسكنه الله في السماء الرابعة ... وابقى في الارض ايضا الياس وعيسى وكلاهما من المرسلين وهما قائمان بالدين الحنيفي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم .. واما الخضر عليه السلام وهو الرابع .. والواحد من هؤلاء الاربعة الذين هم عيسى والياس وادريس والخضر هو القطب وهو احد أركان بيت الدين وهو ركن الحجر الاسود واثنان منهم هما الامامان واربعتهم هم الاوتاد . فبالواحد يحفظ الله الايمان وبالثاني يحفظ الله الولاية وبالثالث يحفظ الله النبوة وبالرابع يحفظ الله الرسالة وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفي ، فالقطب من هؤلاء لا يموت أبدا أي لا يصعق(٢) .

ج ـ **القطب الغوث :** يقول ابن عربي : لا يكون منه بالزمان الا واحد. فمنهم من يكون ظاهر الحكم ويحوز الخلافة الظاهرة ، كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن ومعاوية بن يزيد وعمر بن عبد العزيز والمتوكل ومنهم من حاز الخلافة الباطنة خاصة ولا حكم له في الظاهر كأحمد بن هرون الرشيد والسبتي وابي يزيد البسطامي واكثر الاقطاب لاحكم لهم في الظاهر (٣) . اما تسمية الغوث فمن حيث اغاثة العوالم بمادته ورتبته الخاصة(٤) .

ويستدل الصوفية على وجود الاقطاب بحديث يروونه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه ما من آية الا ولها ظاهر وباطن وحد ومطلع. ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال ولكل طائفة من هذه الطوائف قطب . وعلى ذلك القطب يدور فلك ذلك الكشف(٥) .

---

(١) بامثال هذا الكلام لابن عربي تستدل الفرقة القاديانية الضالة على مجيء نبيها القادياني، على الرغم من وورود عدة احاديث نبوية صحيحة على انه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم . (٢و٣) الفتوحات المكية ج٢ ص ٧و٨ ـ ٥٢ (٤) معراج التشوف ص ٤٩ . (٥) هذا الحديث رواه ابن عربي في الفتوحات المكية ج ١ ص ٢٤٢ وقال لقد اجمع اصحابنا اهل الكشف على صحته الا اني لم اجده بهذا اللفظ في كتب الحديث مما يدل على وضعه .

٢ ـ **النـواب** : يقول ابن عربي : ولكل واحد من هؤلاء الاربعة عيسى والياس وادريس والخضر ، من هذه الامة في كل زمان شخص علـى قلوبهم مع وجودهم هم ونوابهم. فاكثر الاولياء منعامة اصحابنا لا يعرفون القطب والامامين والوتد لا النواب ، ولا هؤلاء المرسلون الذين ذكرناهم . ولهذا يتطاول كل واحد من الامة لنيل هذه المقامات فاذا حصلوا او خصوا بها عرفوا عند ذلك انهم نواب لذلك القطب ، ونائب الامام يعرف ان الامام غيره وانه نائب عنه وكذلك الوتد فمن كرامة الله لرسوله صلى الله عليـه وآله وسلم ان جعل من امته واتباعه رسلاً وان لم يرسلوا منهم من اهل هذا المقام الذي منه يرسلون (١) .

٣ ـ **الأئمـة** : وهما اثنان . ويكونان بمنزلة الوزيرين . احدهمـا عبد الرب والآخر عبد الملك ويخلفه احدهما القطب عند موته . والواحد منهما مقصور على مشاهدة عالم الملكوت والآخر مع عالم الملك(٢) .

٤ ـ **الاوتـاد** : وهم اربعة في كل زمان يحفظ الله بأحدهم المشرق وبالثاني المغرب وبالثالث الجنوب وبالرابع الشمال والتقسيم من الكعبة(٣).

٥ ـ **الابـدال** : وهم سبعة يحفظ الله بهم الاقاليم السبعة وهـم عارفون بما اودع الله سبحانه وتعالى الكواكب السيارة من امور واسرار في حركاتها ونزولها في المنازل المقدرة . ولهم من الاسماء اسماء الصفات منهم عبد الحي وعبد الشكور وعبد البصير . وسموا ابدالا لكون احدهم اذا فارق موضعا ترك فيه شخصا روحانيا على صورته (٤) وقد اختلف المتصوفة بالابدال فمنهم من قال انهم سبعة مستقلون . ومنهم من قال انهم سبعة منهم اربعـة اوتاد وامامان وقطب ، ومنهم من قال انهـم اربعـون (٥) .

٦ ـ **النقبـاء** : وهم اثنا عشر في كل زمان علىعدد بروجالفلك. كل نقيب عالم بخاصية كل برج وبما اودع الله في مقامه من الاسراروالتأثيرات قد جعل الله لهم علوم الشرائع المنزلة واستخراج خبايا النفوس وغوائلها ومعرفة مكرها وخداعها .

(١و٢و٣و٤و٥) الفتوحات المكية ج ٢ ص ٨ ـ ٥٢ و ص ٢٠٨ .

٧ ـ **النجباء** : وهم ثمانية ومقامهم الكرسي ولهم قدم راسخة بعلم تسيير الكواكب من جهة الكشف والاطلاع .

٨ ـ **الحواريون** : وهم واحد في كل زمان وكان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام .

٩ ـ **الرجبيون** : وهم اربعون ولا يكون لهم هذا المقام الا في شهر رجب ويقع لهم فيه من الكشوف والتجليات والاطلاع على المغيبات .

روى احمد عن عبادة بن الصامت ان الرسول عليه الصلاة والسلام قال : في هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا(١) .

ويذكر ابن خلدون في مقدمته ان القول بالقطب والابدال مأخوذ من قول الشيعة الرافضة بالامام والنقباء . ويذكر ايضا ان كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من الصوفية قد امتلأت بذكر الفاطمي المنتظر « المهدي » وقد سماه المتصوفة فاطمي نسبة الى فاطمة الزهراء . وكأن بعضهم يمليه على بعض . ويلقنه بعضهم عن بعض . وكأنه مبني على اصول وماهية من الفريقين وربما يستدل بعضهم بكلام المنجمين في القرانات ... واكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المتأخرين في شأن الفاطمي ، ابن عربي الحاتمي في كتاب عنقاء مغرب وابن قسي في كتاب خلع النعلين وعبد الحق بن سبعين وابن أبي واصل تلميذه (٢) .

ويذكر الدكتور زكي مبارك ان الاولياء كان يسهل عليهم ان يصلوا الى اسرار البيوت بفضل ما عرف عنهم من التقى والصلاح فهم اشبه بالقسيسين الذين يدخلون المنازل بلا استئذان وتحدثهم النساء عن ازماتهن الوجدانية بلا تحرج ولا استحياء . وهذا لا يزال يقع شيء منه في الريف ، والشعراني نفسه حدثنا ان الله كسر قفص طبعه حتى صار لا يستحي من تعليم النساء الاجانب آداب الجماع فضلا عن الرجال . وحدثنا بعض من ترجموا للشعراني انه كان يحمل الحملات على من يعطف عليهم من المذنبين وحمل الحملات الذي كان يقوم به الشعراني هو نفس

---

(١) جاء في كتاب « تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على السنة الناس من الحديث » حديث الابدال له طرق عن أنس وغيره بألفاظ مختلفة كلها ضعيفة ، ومثله ما جاء في كتاب « أسنى المطالب » وكل ما ورد في الاقطاب والاوتاد و ... فهو باطل موضوع . (٢) مقدمة ابن خلدون ص ٣٢٣ .

الغفران الذي يقوم به القسيس . والصوفية والرهبان يرجعون الى اصل واحد وان اختلفت الصور والاشكال (١) .

ونحن لا ننكر ان لله اولياء مقربين وهم عباده الصالحون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولكننا نأبى ان تختص بالولاية فئة من الناس وتدعي ان لهم مراتب واجناسا ما انزل الله بها من سلطان وتفضل الاولياء على الانبياء واننا نذهب الى ما ذهب اليه الشافعي وابو حنيفة رضي الله عنهما اذ قالا « ان لم يكن اهل الحديث اولياء فليس لله ولي ».

من نوادر ادعياء الولاية المضحكة :

١ ــ ان من نوادر الاولياء قول ابي السعود « اني اعطيت التصرف في العالم منذ خمسة عشرة سنة فتركته وما ظهر علي منه شيء (٢) .

٢ ــ ومن نوادرهم : ان اهل مصر المسلمين كانوا يعتقدون ان الاولياء يكلفون بجر الشمس وكان يصح للصوفي ان يعتذر عن اختلاف الميعاد بان دوره حل في جر الشمس (٣) .

٣ ــ ومن نوادرهم : ما اخبر به ابو البدر التماسكي البغدادي قال :

لما اجتمع محمد بن قائد الاواني وكان من الافراد بابي السعود قال له : يا ابا السعود ان الله قسم المملكة بيني وبينك فلم لا تتصرف فيها كما اتصرف انا فقال له ابو السعود بن الشبل البغدادي : يا ابن قائد وهبتك سهمي نحن تركنا الحق يتصرف لنا (٤) .

٤ ــ ومن ذلك ما روي ان الشيخ ابا عبد الله الغزال بينما كان سائرا بالاحرش بطريق الصمادحيه اذ رأى اعشاب ذلك المرج كلها تخاطبه بمنافعها فتقول له الشجرة او النجم خذني فاني انفع لكذا او ادفع من المضار كذا حتى ذهل وبقي حائرا (٥)

٥ ــ ومن ذلك ما ذكر عن عروج بعض الاقطاب الى السماء وان الله تعالى كان يتلقاه في الطريق وهو نازل الى السماء الدنيا فيتدلى اليه ويضع كتفه عليه(٦) .

(١و٢) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ١ ص ٢٨٠ و ٣٤١ .
(٣و٤و٥و٦) الفتوحات المكية ج ١ ص ٤٣ و ٢٤٣ و ٢٩٧ و ٣١٢ .

المجانين والمجاذيب

يقول ابن عربي : من الناس من يكون وارده اعظم من القـوة التي تكون في نفسه عليها فيحكم الوارد عليه فينقلب عليه الحال ، فيكون بحكمه يصرفه الحال ، ولا تدبير له في نفسه مادام في ذلك الحال . فان استمر عليه الى آخر عمره فذلك المسمى في هذه الطريقة بالمجنون . كأبي عقال المغربي وغيره . ومنهم من يمسك عقله هناك ويبقى عليه عقل حيوانيته فيأكل ويشرب ويتصرف من غير تدبر ولا روية . فهؤلاء يسمون عقلاء المجانين لتناولهم العيش الطبيعي كسائر الحيوانات .

واما مثل ابي عقال فمجنون مأخوذ عنه بالكلية ولهذا ما أكل وما شرب من حين اخذه الى ان مات وذلك في مدة اربع سنين بمكة . فهو مجنون أي مستور مطلق من عالم حسه . ومنهم من لا يدوم له حكم ذلك الوارد فيزول عنه الحال فيرجع الى الناس بعقله فيدبر امره ويعقل ما يقول وما يقال له . ويتصرف عن تدبر وروية مثل كل انسان وذلك هو النبي واصحاب الاحوال من الاولياء . ومنهم من يكون وارده وتجليه مساويا لقوته فلا يرى عليه أثر من ذلك حاكم . لكن يشعر عندما يبصر أن ثم امرا ما طرا عليه شعورا خفيا فانه لا بد لهذا ان يصغي اليه . اي الى ذلك الوارد . حتى يأخذ عنه ما جاء به من عند الحق . فحاله كحال جليسك الذي يكون معك في حديث فيأتي شخص آخر في امر من عند الملك اليه فيترك الحديث معك ويصغي الى ما يقول له ذلك الشخص . فاذا وصل اليه ما عنده رجع اليك فحادثك . فلو لم تبصره عيناك ورايته يصغي الى امر شعرت أن ثم امرا شغله عنك في ذلك الوقت (١) .

المجذوب المجرد : وهو الذي يبادئه الحق بآيات اليقين ويرفع عن قلبه شيئاً من الحجاب ولا يؤخذ في طريق السلوك والمعاملة وهذا لا يؤهل للمشيخة(٢) .

السالك المتدارك بالجذبة : هو الذي كانت بدايته المجاهدة والمكابدة والمعاملة بالاخلاص والوفاء بالشروط ثم اخرج من وهج المكابدة الى روح الحال فوجد العسل بعد العلقم . وتروح بنسمات الفضل وبرز من

---

(١) الفتوحات المكية ج ١ ص ٣٢٤ .

(٢) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٢٢ و ٢٣ .

مضيق المكابدة الى متسع المساهلة وأونس بنفحات القرب وفتح له باب المشادة فوجد دواءه وفاض وعاؤه وصدرت منه كلمات الحكمة ومالت اليه القلوب وتوالى عليه فتوح الغيب . ومثل هذا يؤهل للمشيخة(١) .

المجذوب المتدارك بالسلوك : وهو الذي يبادئه الحق بالكشوف وانوار اليقين ويرفع عن قلبه الحجب ويستنير بانوار المشاهدة وينشرح وينفسح قلبه ويتجافى عن دار الغرور وينيب الى دار الخلود . ويرتوي من بحر الحال ويتخلص من الاغلال والاعلال ويقول معلنا : لا اعبد ربا لم اره . ثم يفيض من باطنه على ظاهره . وتجري عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير عناء ومكابدة بل بلذاذة وهناء ويصير قالبه بصفة قلبه ، لامتلاء قلبه بحب ربه ويلين جلده كما لان قلبه وعلامة لين جلده اجابة قالبه للعمل كاجابة قلبه ... ويصح ان يقول : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا . فعند ذلك يطلق من وثائق الحال ويكون مسيطرا على الحال ... وتصير عبادته مشاكلة لعبادة الملائكة وهذا هو الشيخ المطلق ، والعارف المحقق ، والمحبوب المعتق . نظره دواء وكلامه شفاء (٢) .

وما احسن ما جاء في شرح العقيدة الطحاوية في ابطال دعوى المجاذيب (٣) .

من اعتقد في بعض البله او المولعين ، مع تركه لمتابعة الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله ــ انه من أولياء الله ، ويفضله على متبعي طريقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو ضال مبتدع ، مخطىء في اعتقاده فان ذاك الأبله ، أما ان يكون شيطانا زنديقا ، او زوكاريا (٤) متحيلا ، أو مجنونا معذورا ! فكيف يفضل على من هو من أولياء الله ، المتبعين لرسوله ؟ او يساوى به ؟ ! ولا يقال : يمكن ان يكون هذا متبعا في الباطن وان كان تاركا للاتباع في الظاهر ؟ فان هذا خطأ ايضا ، بل الواجب متابعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ظاهرا وباطنا .

---

(١) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٢٧ . (٢) ٢/ ٢٧ .

(٣) ص ٥١١ ــ ٥١٢ من منشورات المكتب الاسلامي بدمشق لصاحبه الاخ الفاضل الاستاذ زهير الشاويش . (٤) قال الشيخ احمد شاكر : هذه لفظة مولدة . وفي « شرح القاموس » ٣ : ٢٤٠ « الزواكرة : من يتلبس فيظهر النسك والعبادة ، ويبطن الفسق والفساد » . نقله المقري في « نفح الطيب » .

قال يونس بن عبد الاعلى الصدفي : قلت للشافعي : ان صاحبنا الليث كان يقول : اذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا امره على الكتاب والسنة ؟ فقال الشافعي : قصر الليث رحمه الله ، بل اذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ، ويطير في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب .

وأما ما يقوله بعض الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « اطلعت على أهل الجنة فرايت أكثر اهلها البله(١) فهذا لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا ينبغي نسبته اليه ، فان الجنة انما خلقت لاولي الالباب ، الذين ارشدتهم عقولهم والبابهم الى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وقد ذكر الله أهل الجنة بأوصافهم في كتابه ، فلم يذكر في أوصافهم البله ، الذي هو ضعف العقل ، وانما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقراء (٢) » ولم يقل البله ! .

---

(١) قال محدث الديار الشامية الشيخ محمد ناصر الدين الالباني في تحقيقه على الطحاوية ما ملخصه : ضعيف ، رواه ابو بكر الكلاباذي في « مفتاح المعاني » ق ٢٧٥/ وابن عساكر ٢/٣٤٥/١٢ وقال : «قال ابن شاهين تفرد به مصعب بن ماهان» قلت : وهو صدوق كثير الخطا ، كما في « التقريب » قلت : لكن في الطريق اليه احمد بن عيسى الخشاب ، قال ابن عدي : له مناكير ، ثم ساق له هذا الحديث وقال : فهذا باطل بهذا السند » ، ثم رواه ابن عدي ق/٢/١٦٦ وغيره من حديث أنس بن مالك مرفوعا : اكثر أهل الجنة البله » وقال : منكر بهذا الاسناد ، ولم يروه غير سلامة بن روح » قلت : وهو ضعيف لسوء حفظه.

(٢) حديث صحيح كما قال الشيخ محمد ناصر الدين الالباني في كتاب شرح العقيدة الطحاوية من ص ٥١١ – ٥١٢ .

الـكرامـات

يعتقد الصوفية ان الاولياء يقدرون على كافة انواع الخوارق كالسير على الماء والطير في الهواء وابراء المرضى واحياء الموتى وطي المسافات بلمح البصر الى غير ذلك من الخوارق التي ملأت كتب التصوف .

ويهون سهل بن عبد الله التستري من امر الكرامة الى حد انه قال : « من زهد في الدنيا اربعين يوما صادقا مخلصا في ذلك تظهر له الكرامات من الله عز وجل »(١) .

وقد جعل المتصوفة الكرامات مستوحاة من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم لان أمرهم ــ كما يزعمون ــ متأصل من النبوة ! ! قال سهل التستري :

« سألت احمد الطابراني السرخسي فقلت له : هل ظهر لك شيء من الكرامات فقال في وقت ارادتي وابتداء امري ربما كنت اطلب حجرا استنجي به فلم اجد فتناولت شيئا من الهواء فكان جوهرا فاستنجيت به وطرحته (٢) .

وكان رجل يقال له عبد الرحمن بن احمد يصحبه سهل بن عبد الله فقال له يوما ربما اتوضأ للصلاة فيسيل الماء بين يدي قضبان ذهب وفضه (٣) .

وقيل كان صوفي على جبل من جبال منى فقال : لو ان ولياً من اولياء الله تعالى امر هذا الجبل ان يميد لماد ، قال فتحرك الجبل فقال اسكن لم اردك بهذا فسكن الجبل(٤) .

وقال ابو علي الوزباري . سمعت ابا العباس الشرقي يقول كنا مع أبي تراب النخشبي في طريق مكة فعدل عن الطريق الى ناحية فقال له بعض أصحابه انا عطشان . فضرب برجله الارض فاذا عين ماء زلال فقال الفتى أحب أن اشرب في قدح فضرب بيده الى الارض فناوله قدحا من زجاج ابيض أحسن ما رأيت فشرب وسقانا وما زال القدح معنا الى مكة . فقال

(١) اللمع ص ٣١٥ . (٢و٣و٤) الرسالة القشيرية ص ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٦ .

لي ابو تراب يوما ما يقول اصحابك في هذه الامور التي يكرم الله بها عباده فقلت : ما رأيت احدا الا وهو مؤمن بها فقال : من لم يؤمن بها فقد كفر(١).

وقال اوحد الدين حامد بن أبي الفخر الكرماني : كنت اخدم شيخا وانا شاب فمرض الشيخ وكان في محرابه فاخذه البطن فلما وصلنا تكريت قلت له يا سيدي اتركني اطلب لك دواء ممسكا من صاحب بيمارستان سنجار من السبيل فلما رأى احتراقي قال لي : رح اليه . فرحت الى صاحب السبيل وهو في خيمته جالس ورجاله بين يديه قائمون والشمعة بين يديه وكان لا يعرفني ولا اعرفه فرآني واقفا بين الجماعة فقام الي وأخذ بيدي واكرمني وسألني ماحاجتي . فذكرت له حالة الشيخ فاستحضر الدواء واعطاني اياه وخرج معي في خدمتي والخادم بالشمعة بين يديه . فخفت ان يراه الشيخ فيخرج فحلفت عليه ان يرجع فرجع . فجئت الشيخ وأعطيته الدواء وذكرت له كرامة الامير صاحب السبيل بي فتبسم الشيخ وقال لي . ياولدي اني اشفقت عليك لما رأيت من احترامك من أجلي فاذنت لك . فلما مشيت خفت ان يخجلك الامير بعد اقباله عليك فتجردت عن هيكلي هذا ودخلت في هيكل ذلك الامير وقعدت في موضعه . فلما جئت اكرمتك وفعلت معك ما رأيت ثم عدت في هيكلي هذا ولا حاجة لي الى هذا الدواء ولا استعمله (٢) .

ويقول ابن عربي عن أبي عبد الله الشرقي (كان ممن يمشي على الماء وتعاشره الارواح) (٣) ويقول (خرج شيخنا ابو عبد الله الغزال في حال سلوكه من مجلس شيخه ابي العباس بن عريف ... فبينما هو بالاحراش بطريق الصمادحية اذ رأى اعشاب ذلك المرج كلها تخاطبه بمنافعها فتقول له الشجرة والنجم خذني فاني أنفع لكذا وادفع من المضمار كذا) (٤) .

وحدث الشعراني ان استاذه الخواص كان يرسل اصحاب الحوائج الى رجل كان يبيع الفجل على باب الازهر فيقضيها لهم في الحال وان هذا الرجل كان لا يأكل احد فجله وببدنه مرض من جذام او برص او غيرها الا شفي لساعته (٥) .

---

(١) الرسالة القشيرية ص ١٦٧ ـ ١٦٩ .
(٢و٣و٤) الفتوحات المكية ج ١ ص ١٦٥ و ٢٦٨ و ٢٩٧ .
(٥) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ٢ ص ٢٨٢ .

وحدث الشعراني عن الشوفي ان احد الحمارين في قنطرة «الموسكي» كان معروفا بالبركة . فلا تركب حماره مومس الا تابت ولا تعود للزنا ابدا . وان احد باعة الحشيش كان لا يشتري أحد منه قطعة الا تاب عن الحشيش . وحدثنا انه اجتمع بابليس على ساحل النيل وجادله وسمع منه ان الانسان ككفتي الميزان وقلبه كلسان الميزان (١) .

ويقول عبد الرؤوف المناوي بأن الشيخ الكيلاني وضع يده على عظم دجاجة اكلها وقال لها : قومي باذن الله فقامت (٢) .

وحدث الشعراني ايضا عن نفسه فقال انه سمع تسبيح الجمادات والحيوانات وسمع من يتكلم في اطراف مصر بل في سائر اقاليم الارض وسمع تسبيح السمك في البحر المحيط(٣) .

ويحدثنا الشيخ سلامة العزامي في ترجمته لمؤلف كتاب تنوير القلوب عن كرامات شيخه محمد امين الكردي الاربلي فيقول :

« ومن هذا النوع من كراماته رضي الله عنه انه سقط من نافذة في الطبقة الرابعة غلام في السنة الثالثة من عمره لاحد اصحابه الاعزاء من منزله بالقاهرة فظن ظان انه قد مات فاسرع الى الشيخ واخبره بذلك فأطرق برأسه مغمضا عينيه وسكت قليلا . ثم رفع رأسه منشرح الصدر يقول : ما مات . صعدت بروحي عدة سموات لانظر روحه مع الارواح المنتقلة في هذا اليوم فلم أرها وقلت مالك وللسماء ارجع الى الارض فرجعت وذهبت الى منزل والده فاذا هو حي مضطجع في مكان كذا من المنزل وسيعافى ان شاء الله . فحقق الخبر فوجده كما اخبره رضي الله عنه وعوفي الغلام عافية تامة » (٤) .

ووصف الدكتور زكي مبارك اخبارات الشعراني وامثاله بأنها خرافات وشعوذه وقال ايضا بأنها ضرب من صنوف الخيال (٥) .

وقال الشيخ اشرف علي التهانوي من ائمة التصوف الحديث :

---

(١) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ٢ ص ٢٨٢ . (٢) صوفيات ٥٦ .
(٣) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ٢ ص ٢٨٣ نقلا عن لطائف المنن ج ٢ ص ١٧١
(٤) تنوير القلوب ص ٥٩ . (٥) التصوف الاسلامي ج ٢ ص ٢٨٥ .

الولاية لا تفتقر الى خوارق ولم تظهر الخوارق من بعض الصحابة ولو مرة واحدة في حياتهم . والخوارق تظهر في أكثر الاحيان من اليوك (١) وهي من نتائج الرياضة (٢) .

وقال ابو علي الجوزجاني من المتصوفة : كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامـــة (٣) .

وكرامات المتصوفـــة في راي ابن الجـــوزي اما ان تكون شعوذة او شطحات كاذبة او فتنة شيطانية(٤) .

وحكى ابن الجوزي ان الحلاج كان يدفن شيئا من الخبز والشواء والحلوى في موضع من البرية ويطلع بعض اصحابه على ذلك فاذا اصبح قال لاصحابه ان رأيتم ان نخرج على وجه السياحة فيقوم ويمشي والناس معه فاذا جاءوا الى ذلك المكان قال له صاحبه الذي اطلعه على ذلك . نشتهي الآن كذا وكذا فيتركهم الحلاج وينزوي عنهم الى ذلك المكان فيصلي ركعتين ويأتيهم بذلك (٥) .

هذا وان كنا نحن لا ننكر كرامات الاولياء ، لانها ثابتة في القرآن والسنة ، الا اننا نقول ان بعض هذه الامور الخارقة للعادة ، قد لا تكون كرامات ، وهي كثيرا ما تظهر على أيدي كثير من الفساق والكفرة ، واليك بعض أسرار هذه الخوارق :

١ ـ السحر : وقد ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن عند الحديث عن موسى وفرعون وكيف ان السحرة استطاعوا ان يخيلوا للناس ان عصيهم وحبالهم حيات تسعى قال الله تعالى :

(قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انهـا تسعى) (٦) .

٢ ـ الشعوذة : وقد شاهدنا منها الكثير عندما كانت تزور بلادنا فرق من المشعوذين وكانت تقوم باعمال خارقة للعادة كتحطيم احدى ساعات اليد امام الحاضرين ثم اعادتها من جديد . وسحق اواني زجاجية ثم

---

(١) اليوك : فقراء الهنود . (٢) بين التصوف والحياة ص ١٠٨ . (٣) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ١ ص ٢٤١ . (٤و٥) تلبيس ابليس ص ٣٨٠ ـ ٣٨٧ و ٣٨٤ . (٦) طـه ٦٦ .

اعادتها كما كانت وكأن لم يمسسها شيء وصب الماء في عدد من الاقداح فينقلب في كل قدح الى نوع معين من الشراب يذوقه الحاضرون .

٣ ـ الكهانة : ويكون اصحابها متصلين بشياطين الجن يستعينون بهم مقابل كفرهم ، وقد ذكر الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى انواعا من ذلك في كتابه : « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » وفي كتابه : « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » فليراجعهما من أراد تفصيل ذلك . وقد أشارت الآيات القرآنية الى ذلك مثل قوله تعالى : (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم) هل انبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أثيم ، يلقون السمع واكثرهم كاذبون وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما رواه البخاري ان الملائكة تنزل في العنان ، وهو السحاب فتذكر الامر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مئة كذبة من عند انفسهم .

٤ ـ فقراء الهنود من البراهمة والبوذيين : وقد حكي انهم يصلون الى درجة عظيمة من القوة الروحية وتظهر لديهم نتيجة المجاهدة والرياضة بالجوع والسهر . ويقدرون بنتيجتها على كثير من الخوارق كالنوم فوق المسامير والتعلق مدة طويلة بشجرة على ان يكون الرأس الى اسفل . وما يقدم عليه البعض في بلادنا من ضرب بالشيش والمرور فوق النيران . ومن هذا القبيل ما حدث عندما امر عبد الملك بن مروان بقتل الحارث الكذاب الذي ادعى النبوة في زمنه . فجاء رجل فطعنه بحربة فانثنت . فتكلم الناس وقالوا : ما ينبغي لمثل هذا ان يقتل . فأتاه حرسي برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من اضلاعه ثم هزه وانفذه . . قال عبد الملك بن مروان للذي ضربه بالحربة لما انثنت . اذكرت الله حين طعنته قال : نسيت : قال : فاذكر الله ثم اطعنه فذكر ثم طعنه فأنفذها (١) .

وكان الحارث الكذاب قبل ادعائه النبوة من اشد الزاهدين حتى قيل فيه . لو لبس جبة من ذهب لرأيته عليه زهادة (٢) .

ويحكى عنه انه كان يأتي الى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح . وكان يطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء . ويقول اخرجوا حتى اريكم الملائكة فيخرجهم الى دير المران فيريهم رجالا على خيل (٣) .

(١و٢و٣) تلبيس ابليس ص ٣٧٧ و ٣٨٠ و ٣٧٨ .

٥ ـ التنويم المغناطيسي : وقيل انه يؤدي الى نتائج خارقة للعادة كانعدام بعض الحواس واجراء العمليات الجراحية دون تخدير وتصلب العضلات والايحاء للقيام باعمال الاجرام وتقمص شخصيات مختلفة . والعودة بالمنوم الى حالة الطفولة (١) .

وقد تمكن الدكتور طهرا ان يجري تجارب عجيبة امام جمهور كبير من الاطباء والعلماء في روما واثينا وباريس واستطاع في اول حفلة له ان يغيب عن الحياة مدة اربع وعشرين ساعة وهو مدفون في تابوت من البرنز مملوء بالتراب وموضوع في قعر بحيرة صغيرة ، كي يستطيع المتفرجون من حولها ان يشاهدوا التابوت في القاع(٢) .

والدكتور طهرا هذا ماهر في التنويم المغناطيسي وهو يعمل احيانا حسب طريقة فقراء الهنود ويسمي طريقته هذه « الطريقة الفقيرية » .

وكل ذلك يعني ان الخوارق ليست صفة من صفات الولاية يختص بها اناس دون آخرين او المؤمنون دون الكافرين او المتصوفون دون الناس اجمعين ، وانما هي ظواهر يشترك في اتيانها المؤمن والكافر والمتصوف وغير المتصوف .

واذا انكرنا ان تكون هذه الخوارق دالة على الولاية ومعبرة عن القرب من الله سبحانه وتعالى ، واضفناها الى الوهم والشعوذة والقوة الروحية فيما يمكن ان يحدث والى الاخبار الكاذب فيما لا يمكن ان يحدث كاحياء الموتى وصعود الشيخ محمد الكردي الى السماء للتفتيش عن روح الغلام. فان ذلك لا يعني اننا ننكر الكرامة للمؤمنين الصادقين اولياء الله ، والقرآن الكريم ذكر الاولياء فقال : الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون(٣) ثم وصفهم فقال : الذين آمنوا وكانوا يتقون) (٤) وقال الشافعي وابو حنيفة رضي الله عنهما : ان لم يكن الفقهاء اولياء فليس لله من ولي (٥)

---

(١) مجلة العربي عدد ٦٥ سنة ١٩٤٤ ص ٥٧ . (مجلة الاسبوع العربي عدد ٢٤٨ ـ ١٩ آذار سنة ١٩٦٤ س ٣٧ . (٣و٤) يونس ٦٢ و ٦٣ (٥) مصرع التصوف ص ٢٠١ والمقصود بالفقهاء هنا الذين يفتون بالكتاب والسنة لا بأقوال رجال غير معصومين كانوا ـ رحمهم الله تعالى ـ من أول من نهوهم عن تقليدهم . قال الامام احمد بن حنبل : « لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الاوزاعي ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا » الفلاني ص ١١٣ وقال ايضا « من رد حديث رسول الله فهو على شفا هلكة » (ابن الجوزي) ص ٨٢ .

وذكر الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم بعض الكرامات لاوليائه المقربين قال تعالى « وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » (١) وقال : كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال : يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله . ان الله يرزق من يشاء بغير حساب(٢). وقال في أهل الكهف : واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من امركم مرفقا . وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله .. » (٣) كما قصت علينا السنة النبوية بعض الكرامات لصحابة الرسول الاعظم (٤) . فالكرامة الحقة هي التي تظهر على يد المؤمن الصالح المعروف بالتقى والورع دون ان يتقصدها او يكون له سابق عهد في كهانة او تنويم او سحر او رياضة، ومن الافضل عدم التحدث بها مخافة ان يفتتن بها الناس .

غرائب الكرامات : هناك حادثة طريفة نحب ان نختم بها بحث الكرامة وهي ان دلت على شيء فانها تدل على ما يتصف به بعض المتصوفة من سذاجة وكذب .

(فقد حدثوا ان الشيخ حيدر كان يقيم في نشاور من بلاد خراسان. واقام له زاوية في الجبل مكث فيها اكثر م نعشر سنين . ثم طلع ذات يوم وقد اشتد الحر منفردا بنفسه الى الصحراء ثم عاد وقد علا وجهه نشاط وسرور بخلاف ما كان يعهده عليه اصحابه من قبل . وأذن لاصحابه بالدخول عليه. واخذ يحادثهم. فلما رأوه على حال من المؤانسة لم يعهدوها فيه بعد اقامته تلك المدة الطويلة في خلوة وعزلة سألوه عن ذلك فقال : بينما انا في خلوتي اذ خطر ببالي الخروج الى الصحراء منفردا فخرجت فوجدت كل شيء من النباتات ساكنا لا يتحرك لعدم الريح وشدةالقيظ. ومررت بنبات له ورق فرأيته في تلك الحال يميس بلطف ويتحرك من غير عنف كالثمل النشوان فجعلت أقطف منه اوراقا وآكلها فحدث عندي من الارتياح ما شاهدتموه ... وقد هدى اصحابه الى تلك الحشيشة

---

(١) مريم ٢٤ . (٢) آل عمران . (٣) كهف ١٦ ـ ١٧ . (٤) رياض الصالحين ٢٦٤ .

ووصاهم بكتمان سرها عن العوام وقال : ان الله تعالى قد خصكم بسر هذا الورق ليذهب بأكله همومكم الكثيفة ويجلو بفعله افكاركم الشريفة فراقبوه فيما اودعكم وراعوه فيما استرعاكم ... وقد امرهم بزرع هذا الحشيش حول ضريحه بعد ان يموت(١) .

وقد ذكر الادباء تلك الحشيشة وسموها مدامة حيدر وفي ذلك يقول محمد بن علي الدمشقي :

دع الخمر واشرب من مدامة حيدر ... مغبرة خضراء مثل الزبرجد
يعاطيكها ظبي من الترك اغيد ... يميس على غصن من البان أملد
فتحسبها في كفه اذ يديرها ... كرقم عذار فوق خد مورد (٢)

ويقول الدكتور زكي مبارك ان الحشيش شاع في البيئات الصوفية حتى سمي (حشيشة الفقراء) وكان للصوفيين اياد في نشر آفة الحشيش بين الجماهير الفارسية والعراقية والشامية والمصرية(٣) .

وعندما كنا في مصر عام ١٩٥٩ سمعت كثيرا من اهلها ان البعض من خطباء المساجد لا يزالون يتعاطون الحشيش وخاصة اثناء القاء خطبة الجمعة والصلاة عن طريق المضغ بالفم وانهم يعتبرونه كالدخان العادي غير محرم ولم يتيسر لنا التحقق من ذلك . والله أعلم .

ومن نوادر وسخريات بعض المتصوفة انهم راحوا يعدون بعض الموبقات والرذائل كرامات واخذوا يتحدثون عنها باعجاب ويترضون عن اصحابها .

يقص الشعراني في طبقاته كرامات سيده علي وحيش معقبا على ذكر كل كرامة بقوله : رضي الله عنه : « كان الشيخ رضي الله عنه يقيم عندنا في خان بنات الخطا ! !

وكان كل من خرج « اي بعد اقتراف الجريمة الباغية » يقول له : قف حتى اشفع فيك ، قبل ان تخرج ، فيشفع فيه ! ! وكان اذا رأى شيخ بلد ، أو غيره ، ينزله من على الحمارة ، ويقول له : امسك لي راسها حتى افعل فيها ، فان ابى شيخ البلد تسمر في الارض لا يستطيع

(١و٢و٣) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ١ ص ٣٢٢ ج ٣ ص ٢٠٥ و ٣٢٥

يمشي خطوة ، وان سمح حصل له خجل عظيم والناس يمرون (١) عليه»
ومن اولياء الشعراني :

الشيخ ابراهيم العريان ، كان يطلع المنبر ، ويخطبهم عريانا ، فيقول : السلطان ، ودمياط ، وباب اللوق ، بين الصورين ، وجامع طولون ، الحمد لله رب العالمين ، فيحصل للناس بسط عظيم(٢) .

ومما يؤسف له أن كثيرا من العامة ، لهم ولع وايمان في الخوارق التي يظنونها كرامات ، وقد تكون حيلا ، وقد تكون امدادا من الشياطين ليتمادوا في ضلالهم وغيهم كما راينا سابقا ، فاذا وجدوا شيئا منها من متمشيخيهم دهشوا وآمنوا بهم واستسلموا لهم واطاعوا أوامرهم مهما كانت مخالفة للشريعة ومهما كان هؤلاء تاركين للصلاة ومرتكبين للموبقات ... وما أحسن ما قاله الامام الشافعي رحمه الله تعالى :

« اذا رايت أحدا سار على الماء ، او طار في السماء ، فلا تغتر به ، حتى تزن عمله بميزان الكتاب والسنة » .

الجنـة والنـار

يقول عبد الكريم الجيلي في خلق الجنة والنار : ان الله تعالى خلق الصورة المحمدية من نور اسمه البديع القادر ونظر اليها باسمه المنان القاهر ثم تجلى عليها باسمه اللطيف الغافر فعند ذلك تصدعت لهذا التجلي صدعين. فصارت كأنها قسمت نصفين . فخلق الله الجنة من نصفها المقابل لليمين وجعلها دار السعادة للمنعمين ، ثم خلق النار من نصفها المقابل للشمال وجعلها دار الاشقياء اهل الضلال (٣) .

والنار في رأي ابن عربي ليست بعذاب ولا نعيم لذلك فهو يقـول (فالحكم) في النار خلاف الحكم في الجنة فيقرب حكم النار من حكم

(١) الطبقات للشعراني ط صبيح ١٣٥/٢ (٢) الطبقات ١٢٩/٢ ط : شقرون .
(٣) الانسان الكامل ص ١١٦

الدنيا فليس بعذاب خالص ولا نعيم خالص ولهذا قال تعالى : (لا يموت فيها ولا يحيى) (١) .

ويزعم ابن عربي ان عــذاب نار جهنم سيكون عذوبة ومن أقواله في ذلك :

فلم يبق الا صادقالوعد وحده وما بالوعيد الحق عــين تعاين
وان دخلوا دار الشقاء فانهــم عــلى لــذة فيهــا نعيم يباين

والنار في راي الجيلي زائلة آخر الامر لذلك يقول (اعلم انه لما كانت النار غير أصلية فى الوجود زالت آخر الامر .. وان زوالها ذهاب الاحراق عنهــا) (٢) .

ويقول ايضا : ثم ان اهل النار اذا زال عنهم عذاب وتجدد لهم غيره لا تزول عنهم القوى الاولى لانها موهوبة بيد المنة . ولا يسترجع الحق في هبته والعذاب نازل بهم بيد القهر فله ان يرفعه ويجعل غــيره ثم لا يزالون يزدادون دون قوة بقوة كل عذاب حتى ينتهوا الى ان يظهر فيهم اثر تلك القوى قوة الهية . فاذا ظهرت فيهم تلك القوة الالهية جبرتهم الى ان يضع الجبار قدرته في النار . لان صفات الحق لا تظهر في احد فيشقى بعدها (٣) .

وفي رأي ابن عربي ان نهاية اهل النار للنعيم لذلك فهو يقــول : ان الله سبحانه وتعالى يعطي اهل النار بعد انقضاء مدة توازي اعمالهم فيها خياليا مثل ما يراه النائم) (٤) .

واهل النار في راي الجيلي يلتذون لذلك فهو يقول .

ثم اعلم ان لاهل النار لذة فيها تشبه لذة المحاربة والمضاربة عنــد من خلق لذلك . فانا قد رأينا كثيرا من الناس يلتذون بالمحاربة والمضاربة وهم عارفون انهم يتألمون بذلك ، ولكن الربوبية الكامنة . التي هي في النفس تحملهم على خوض ذلك . ثم ان لهم لذة اخرى كشبه لذة من به جرب فيحكه فهو وان كان يقطع من جلد نفسه يتلذذ بذلك الحك فهو بــين عذاب ولذة . ولهم لذة اخرى تشبه لذة الجاهل المستغني برايه(٥) .

---

(١) الفتوحات المكية ج ١ ص ٣٨٤ و ٣٩٥ . (٢و٣) الانسان الكامل ص ١١٦ .
(٤) الفتوحات المكية ج ١ ص ٣٨٤ و ٣٩٥ . (٥) الانسان الكامل ص ١١ .

وهذه عقيدة خطرة جدا على المجتمع والاخلاق والدين وهي مردودة ومنقوضة بصريح الآيات القرآنية . قال تعالى في ذكر الخلود في النار .

(والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)(١)

وقال ايضا (ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا (٢) .

وقال تعالى في وصف النار وشدة عذابها وعظيم ايلامها .

(وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير ، اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور ، تكاد تميز من الغيظ كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير) (٣) .

وقال (يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه ، وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا ثم ينجيه. كلا انها لظى نزاعة للشوى) (٤) .

وقال « ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما) (٥) .

وقال (انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب ، انها ترمي بشرر كالقصر ، كأنه جمالت صفر) (٦) .

وقال (ان جهنم كانت مرصادا ، للطاغين مآبا ، لابثين فيها احقابا ، لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ، الا حميما وغساقا ، جزاء وفاقا (٧) .

وقال تعالى يستهزيء بالكافرين « وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا . فلن يخلف الله عهده . ام تقولون على الله مالا تعلمون بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) (٨) .

اما القول بخلق الجنة والنار من الصورة المحمدية فهو مردود ايضا بقوله تعالى « قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي » (٩) .

فالرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام بشر كسائر البشر لا يتميز عنهم الا بالوحي وحمل رسالة الله واداء امانته .

---

(١) بقرة ٢٩ . (٢) الجن ٢٣ . (٣) ملك ٦ — ٨ (٤) معارج ١١ — ١٦.
(٥) المزمل ١٢ — ١٣ . (٦) المرسلات ٣٠ — ٢٣ . (٧) النبأ ٢١ — ٢٦ .
(٨) بقرة ٨٢ . (٩) كهف ١١١ .

وبعد ان انهارت هذه العقيدة الخطرة بالنصوص القرآنية لا بد لنا من تبيان خطرها الكبير على المجتمع والاخلاق .

فانعدام شعور الناس برهبة العذاب وشدة الآلام وجسامة العذاب يوم القيامة يجعلهم اكثر استهتارا بالاوامر الشرعية والقيود الاخلاقية والاجتماعية فيقدمون على الاجرام واقتراف الفواحش والموبقات وتكثر وتفسد الاخلاق ويتضاعف المجرمون . وتضعف الذمم ويضطرب نظام المجتمع ويفقد الوازع الديني قوته الالزامية .

وفوق ذلك يتساوى عند الله المؤمنون والمجرمون ، تعالى الله ان يعين الظلم ويحيد عن العدل ويكافيء المسيء ويرضى بالفساد . قال جل شأنه :

« افنجعل المسلمين كالمجرمين . ما لكم كيف تحكمون » (١) .

كراهية الصوفية للدنيا

لقد جاءت بعض الآيات والاحاديث تنهى عن التكالب على الدنيا ، فظن الصوفية ان الاسلام يذم الدنيا ذما مطلقا ويأمر بتركها ، فراحوا يستسلمون للدعة والكسل ويأوون الى الخلوات والزوايا ، ولم يكتفوا بذلك بل اخذوا يضعون الاحاديث في التنفير من الدنيا وبغضها نذكر منها ترك الدنيا امر من الصبر ، واشد من حطم السيوف في سبيل الله ، ولا يتركها احد الا اعطاه مثل ما يعطي الشهداء ، وتركها قلة الاكل والشبع ، وبغض الثناء من الناس (٢) .

- ما تزين الابرار في الدنيا بمثل الزهد في الدنيا (٣) .
- حب الدنيا راس كل خطيئة (٤) .

---

(١) قلم ٢٦ — ٢٧ .   (٢) ذكره السيوطي في « ذيل الاحاديث الموضوعة » ، وفيه من الهمه كبار المحدثين بالوضع .   (٣) ذكره الهيثمي في « المجمع » وفيه سليمان الشاذكولي ، وهو متروك .   (٤) وهذه الاحاديث الاربعة ضعفها الامام العراقي في تحقيقه للاحياء . ومثلها الاحاديث الثلاثة التالية .

● وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مزبلة ، فقال : هلموا الى الدنيا ، واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة ، وعظاما قد نخرت، فقال : هذه الدنيا .

● ان الله عز وجل لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا ، وانه منذ خلقها لم ينظر اليها .

● من أصبح ، والدنيا اكبر همه ، فليس من الله في شيء !

ومما يؤسف له ان الغزالي في مقدمة الصوفية قد حشا كتابه الاحياء بالاحاديث والاخبار والحكايات في ذم الدنيا والتنفير منها مما كان من أعظم اسباب اهمال المسلمين لدنياهم الامر الذي سبب ضعفهم واستيلاء الاعداء عليهم .

ولا ادري كيف تذم الدنيا ، وهي مزرعة الاخرة ، والمجال الوحيد للحصول على الجنة والنجاة من النار لمن سار بتوجيه الاسلام ، تلك الجنة التي لا يدخلها الا العاملون الذين ثقلت موازينهم . اما الذين خفت موازينهم ، فجزاؤهم النار .

وما أحسن ما قاله الخليفة المأمون لشاعر امتدحه بقصيدة جاء فيها :

تشاغل الناس بالدنيا وزخرفها وانت بالدين عن دنياك مشغول

ويحك أما زدتني على أن جعلتني عجوزا في محرابها ، ومعه سبحتها ؟ ! هلا قلت كما قال جرير في الخليفة عمر بن عبد العزيز :

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

هذا ولو كانت الدنيا مذمومة كلها لما جاهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصحبه للحصول على مجد عظيم وحياة عريضة قال سبحانه (ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار) .

وقال انس بن مالك : « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه ، حتى يصيب منهما جميعا ، فان الدنيا بلاغ الآخرة ، ولا تكونوا كَلاًّ على الناس » !

ولو كانت الدنيا مذمومة لما أمرنا تعالى بطلبها ، ولقد كانت هذه الآية من أحب الادعية الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الدكتور زكي مبارك في بحث له بعنوان : « الدنيا في أذهان الصوفية » ما ملخصه :

ان فرار الصوفية من الدنيا واهلها يدل على ثلاثة أمور .

الاول : شعورهم بالتبعة (١) الاخلاقية .

الثاني : ضعفهم عن مقاومة الرذائل الاجتماعية .

الثالث : فساد ما نشؤوا فيه من البيئات الدينية والمعاشية .

فان سأل القارىء عن أثر ذلك في الاخلاق ، فانا نجيب بأن كتمان الصوفية لاسباب الهزيمة ، صور فرارهم من الدنيا بصورة العمل المقبول. فاقتدى بهم كثير من الناس وشاع الزهد في الطيبات ، فضاع من العالم الاسلامي جزء كبير من الثروة المعنوية التي يمثلها جمال العمران وتتابع الرزق في عالم الاقتصاد .

قال رجل لابي حازم المدني : اشكو اليك حب الدنيا، وليست لي بدار. فقال : انظر ما آتاكه الله عز وجل منها ، فلا تأخذه الا في حله ، ولا تضعه الا في حقه ، ولا يضرك حب الدنيا .

وهذا جواب حكيم ، ولكن الغزالي يأبى الا التعصيب عليه ، فيقول وانما قال هذا ، لانه لو اخذه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ، ويطلب الخروج منها (٢) .

وهذا التعصيب يعين مذهب الغزالي في الزهد ، وجوهره بدل ما كان عند ابي حازم من حكمة وعقل ، فان الاغنياء الذين يؤدون حقوق الغنى هم ظل الله في الارض (٣) ، وهم أهل الحرث وارباب العمران ، والحكم عليهم بالانحراف عن جادة الحق فيه تيئيس وتثبيط وتعويق ..

لقد أسرف الصوفية في ذم الدنيا واهلها ، واسرفوا في الدعوة الى التحرر منها ، ولو كانوا أصحاء لآثروا الاعتدال (٤) .

ويحمل المتصوفة الوزر الاكبر فيما اهاب المسلمين من ضعف وانحطاط بسبب ما دسوه بين صفوفهم من كراهية الدنيا واهمالها .

---

(١) لعل الصواب عدم شعورهم بالتبعة الاخلاقية . (٢) الاحياء ٣/٢٠٩ .

(٣) ان هذا التعبير غير اسلامي والحديث الوارد في هذا المعنى غير صحيح .

(٤) التصوف الاسلامي ١٣٥ ــ ١٤٠ .

العمل وجمع المـــال

بعض المتصوفة لا يؤمنون بضرورة العمل لكسب الرزق وتأمين العيش. ويفضلون السؤال والاستجداء والطلب من الناس .

فقد حكي عن بعضهم انه خطر له خاطر الاهتمام بالرزق فخرج الى بعض الصحاري فرأى قنبرة عمياء عرجاء ضعيفة فوقف متعجبا منهـا متفكرا فيما تأكل مع عجزها عن الطيران والمشي والرؤية فبينما هـو كذلك ، اذ انشقت الارض وخرجت سكرجتان في احداهما سمسم نقي وفي الاخرى ماء صاف فأكلت من السمسم وشربت من الماء ثم انشقت الارض وغابت السكرجتان قال : فلما رأيت ذا لك سقط عن قلبي الاهتمام بالرزق (١) .

وقال آخر « جعت ذات يوم وكان حالي أن لا أسأل فدخلت بعض المحال ببغداد مجتازا متعرضا لعل الله تعالى يفتح لي على يد بعض عباده شيئا فلم يقدر . فنمت جائعا فأتى آت في منامي فقال لي : اذهب الى موضع كذا وعين الموضع فشم خرقة زرقاء فيها قطيعات اخرجها في مصالحك » (٢) .

وروي ان عبد الله بن عوف المسعودي كان له ثلاثماية وستون صديقا يكون عند كل واحد يوما وآخر كان له ثلاثون صديقا يكون عنـد كل واحد يوما وآخر كان لـه سبعة اخوان يكون كل يوم من الاسبوع عنـد واحـد (٣) .

ورأى بعضهم النوري يسأل الناس قـال : فاستعظمت ذلـك منه واستفظعته فأتيت الجنيد واخبرته فقال لي : لا يعظم هـذا فان النوري لم يسأل الناس الا ليعطيهم سؤلهم في الآخـرة فيؤجرون من حيث لا يضره (٤) .

وبعض المتصوفة يستحلون كل شيء في سبيل جلب الرزق الا العمل والكسب الشريف فقد روي ان الشيخ عبد القادر بعث الى شخص وقال : لفلان طعام وذهب ائتني من ذلك كذا ذهبا وكذا طعاما فقال

(١و٢و٣و٤) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ١٤٤ و ١٣٦ و ١٥٤ و ١٥١.

الرجل : كيف اتصرف في وديعة عندي ولو استفتيتك ما افتيتني في التصرف . فألزمه الشيخ بذلك . فأحسن الظن بالشيخ وجاء اليه بالذي طلبه . فلما وقع التصرف منه جاءه مكتوب من صاحب الوديعة وهو غائب في بعض نواحي العراق ان احمل الى الشيخ عبد القادر كذا وكذا وهو القدر الذي عينه الشيخ عبد القادر (١) .

وذكر الشيخ ابو طالب المكي ان بعض الصوفية اول قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اطيب ما أكلتم من كسبكم ، بأنه المسألة عند الفاقة (٢) .

وروى عن ابي سعيد الخراز انه كان يمد يده عند الفاقة ويقول ثم شيء ونقل عن ابي جعفر الحداد وكان استاذا للجنيد انه كان يخرج بين العشاءين ويسأل من باب او بابين ونقل عن ابراهيم بن ادهم أنه كان يسأل كل ثلاثة ايام عند فطوره(٣) .

ويعتقد المتصوفة ان لله سبحانه وتعالى ابوابا من طريق الحكمة وابوابا من طريق القدرة فان فتح بابا من طريق الحكمة والا فيفتح بابا من طريق القدرة ويأتيه الشيء بخرق العادة كما كان يأتي مريم عليها السلام « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله » (٤) .

وقيل لأبي يزيد ما نراك تشتغل بكسب فمن اين معاشك فقال : مولاي يرزق الكلب والخنزير تراه لا يرزق ابا يزيد (٥) .

قال الامام ابن الجوزي :

كان ابليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم في الزهد فيريهم عيب المال ويخوفهم من شره ، فيتجردون من الاموال ويجلسون على بساط الفقر ، وكانت مقاصدهم صالحة وافعالهم في ذلك خطأ لقلة العلم . فأما الان فقد كفى ابليس هذه المؤنة ، فان أحدهم اذا كان له مال انفقه تبذيرا وضياعا ، والحديث باسناد عن محمد بن الحسين السليمي ، قال : سمعت أبا نصر الطوسي ، قال : سمعت جماعة من

(١و٢و٣و٤و٥) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص١٥٣ و١٤٠ و١٣٨ و١٣٦ و١٥٦

مشايخ الري يقولون : ورث ابو عبد الله المقري من ابيه خمسين الف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن ذلك كله وانفقه على الفقراء .

وقد روى مثل هذا جماعة كثيرة وهذا الفعل لا الوم صاحبه اذا كان يرجع الى كفاية قد ادخرها لنفسه ، أو ان كانت له صناعة يستغنى بها عن الناس ، او كان المال عن شبهة فتصدق به ، فأما اذا اخرج المال الحلال كله ثم احتاج الى ما في أيدي الناس وافقر عياله ، فهو اما أن يتعرض لمنن الاخوان او لصدقاتهم أو ان يأخذ من ارباب الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهى عنه . ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم ، وانما العجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا وأمروا به مع مصادمته للعقل والشرع ، وقد ذكر الحارث المحاسبي في هذا كلاما طويلا ، وشيده أبو حامد الغزالي ونصره والحارث عندي أعذر من أبي حامد لان ابا حامد كان أفقه غير أن دخوله فيالتصوف اوجب عليه نصرة ما دخل فيه .

ثم ساق ابن الجوزي كلاما طويلا للحارث المحاسبي لا يستحق النقل وقال في خاتمته :

فهذا كله كلام الحارث المحاسبي ، ذكره أبو حامد وشيده (١) وقواه بحديث ثعلبه (٢) ، فانه أعطى المال فمنع الزكاة قال ابو حامد : فمن راقب أحوال الانبياء والاولياء وأقوالهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده ، وأن صرف الى الخيرات اذ أقل مافيه اشتغالهم باصلاحه عن ذكر الله عز وجل . فينبغي للمريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى له الا قدر ضرورته فمن بقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو محجوب عن الله عز وجل .

---

(١) زخرفه وحسنه . (٢) حديث ثعلبة بن حاطب الانصاري الذي يقال ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا له — بناء على طلبه — ان يكثر الله ماله ، فلما كثر ماله ترك الجمعة ولم يؤد الزكاة ، وقال ، انها اخت الجزية فنزلت آية « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن » . ولم يقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم زكاته بعد ان ندم وكذلك لم يقبلها ابو بكر وعمر .

هذا الحديث الذي احتج به الغزالي وسكت عنه المصنف قد رواه الطبراني والبيهقي في « الدلائل » و « الشعب » وابن ابي حاتم والطبري وابن مردويه كلهم من طريق علي ابن يزيد الالهاني عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابي امامة . قال الهيثمي في « المجمع » ٣١/٧ : وفيه علي بن يزيد الالهاني وهو متروك ا. هـ. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج احاديث « الكشاف » : اسناده ضعيف جدا .

وهذا كله بخلاف الشرع والعقل وسوء فهم للمراد بالمال !! (١) .

ومما استدل به الحارث المحاسبي عن كراهية جمع المال : « حديث رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا » وكان من كبار أغنياء الصحابة ، فقال الامام ابن الجوزي في الرد عليه ما موجزه : فهذا دليل على انه لا يعرف الحديث ، او كان هذا مناما وليس هو في اليقظة . أعوذ بالله من أن يحبو عبد الرحمن في القيامة .. ثم الحديث يرويه عمارة بن زاذان ، وقال البخاري ربما اضطرب حديثه .. وقال احمد : يروي عن انس احاديث مناكير ، وقال ابو حاتم الرازي : لا يحتج به . وقال الدارقطني ضعيف(٢) .

اما شرف المال فان الله عز وجل عظم قدره وامر بحفظه ، اذ جعله قواما للآدمي ، وما جعل قواما للآدمي الشريف فهو شريف . فقال تعالى : « ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما » (النساء : ٥) ؟ ونهى عز وجل أن يسلم المال الى غير رشيد . فقال : « فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم » (النساء : ٦) .

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى عن اضاعة المال (٣) . وقال لسعد : ان تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس » (٤) . وقال : « ما نفعني مال كمال أبي بكر (٥) » .

وقد ذكر الامام ابن الجوزي الآيات والاحاديث في مدح المال وتحدث عن اغنياء الصحابة فقال : « خلف طلحة ثلاثمئة بهار ، في كل بهار ثلاثة قناطير ، والبهار الحمل . وكان مال الزبير خمسين الف الف ومئتي الف . وخلف ابن مسعود ، تسعين الفا ، وأكثر الصحابة رضي الله عنهم جميعا كسبوا الاموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد (٦) .

والدعوة الى البطالة والكسل وترك العمل وتبديد المال دعوة خطيرة في المجتمع ، فيها تعطيل لاعمار الارض ومخالفة لروح الاسلام وطبيعة الثورة

(١و٢) تلبيس ابليس ص ١٩٨ و ٢٠١ .   (٣) في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة مرفوعا : « ان الله كره لكم ثلاثا : قيل وقال ، واضاعة المال ، وكثرة السؤال » .
(٤) متفق عليه ، ولفظه : « انك أن تذر ورثتك اغنياء » .   (٥) رواه احمد وابن ماجه عن ابي هريرة وصححه المناوي في « فيض القدير » وفي صحيح مسلم « ان من امن الناس على في ماله وصحبته ابو بكر » .   (٦) المصدر السابق ص ١٨٠ .

المحمدية ، فاذا كان الاسلام يتميز في شيء عن الديانة النصرانية سوى العقائد فانه يتميز في تنظيم امور الدنيا وعلاقات الناس وغالبها ينشأ عن الكسب وطلب الرزق . والاسلام دين العمل المنتج والنشاط الدائم ولم يكن في يوم من الايام دين بطالة او كسل وتطفل ورحم الله ابا بكر خرج صباح توليه الخلافة ليكسب قوته بعمل يده في سوق مكة .

والدعوة لترك العمل دعوة الى الفقر ولا يوجد اشـد على النفس والمجتمع من الفقر وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستعيذ من الفقر ويقول : « اللهم اني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة !.. » واسناده جيـد .

والدعوة لترك العمل دعوة للتخلف والضعف فان المال والرزق من اهم اسباب القوة والمنعة والعز . وقد حث الاسلام على العمل ورفع شأن العامل وبارك له في كسبه قال تعالى :

(ليأكلوا من ثمره وما عملته ايديهم افلا يشكرون) (١) .

وقال عليه الصلاة والسلام ان اطيب ما اكلتم من كسبكم ، وان اولادكم من كسبكم (٢) .

والكسب من سنة الانبياء قال عليه الصلاة والسلام : ما اكل احـد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده . وان نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده (٣) .

وقد نهى الرسول عليه السلام عن السؤال مادام المرء قادرا عـلى الكسب فقال : لان يأخذ احدكم حبلا فيحتطب على ظهره فيأكل ويتصدق خير له من ان يأتي رجلا فيسأله اعطاه او منعه (٤) .

وقال عليه الصلاة والسلام « اليد العليا خير من اليد السفلى» (٥)واليد العليا هي اليد المعطاءة والسفلى هي اليد الآخـذة .

يقول الغزالي : لو انحاز المرء الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع في هلاك نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقـام في سفح جبل سبعا وقال لا اسأل احدا شيئا حتى يأتيني ربي برزق .

---

(١) يس ٣٥ (٢) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ، واسناده صحيح .
(٣) رواه البخاري . (٤) رواه البخاري مع اختلاف في اللفظ . (٥) متفق عليه .

فقعد سبعا حتى كاد يموت . ولم يأته رزق . فقال : يا رب ان احييتني فائتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فأوحى الله جل ذكره اليه . وعزتي لارزقنك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس . فدخل المصر وقعد فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب واوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا . أما علمت اني ان ارزق عبدي بأيدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي » (١) .

واخيرا نقول ان القيمة الكبرى للاسلام العظيم هي في كونه دين عمل وحضارة واعمار للارض وان الاحكام الفقهية لقسم المعاملات في الاسلام تحتوي على ثروة كبرى من المفاهيم الحقوقية مما يجعلها عمادا حضاريا مشرفا يفخر به ويعتز . وشهدت العصور الاسلامية فترات مزهرة من الرخاء والغنى ساعدت على تقدم العلوم والفنون وازدهار الآداب ، والعيش بحرية ورفاهية وكرامة ، لله شاكرين ولاءه حامدين . وبذلك استطاع الاسلام ان يحتل مكانه القيادي في ركب الحضارة العالمية قرونا عديدة . وان يكون مثالا للنظام اللائق للرقي والتقدم انتزع اعجاب العلماء الغربيين .

ذكر صاحب شذرات الذهب قال : وذكر الشيخ علاء الدين بن علي ابن الصيرفي في كتابه « زاد السالكين » أن القاضي ابا بكر بن العربي قـال :

« رأيت الغزالي في البرية ، وبيده عكازة ، وعليه مرقعة ، وعلى عاتقه ركوة ، وقد كنت رأيته في بغداد يحضر درسه اربعمئة عمامة من اكابر الناس وأفاضلهم يأخذون عنه العلم . فدنوت منه فسلمت عليه وقلت له : يا امام : أليس تدريس العلم ببغداد خيرا من هذا ؟ !! فنظر الي شزرا وقال : لما طلع بدر السعادة في فلك الارادة (أو قال في سماء الارادة) وجنحت شمس الوصول ، في مغارب الاصول (٢) .

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل ... وعدت الى تصحيح اول منزل
ونادت بي الاشواق : مهلا فهذه ... منازل من تهوى ، رويدك فانزل
غزلت لهم غزلا دقيقا ، فلم أجد ... لغزلي نساجا ، فكسرت مغزلي

---

(١) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٢٢٩ . الاما أكثر تناقض الغزالي ؟ ! فأين كلامه السابق من سلوكه الغريب التالي :

(٢) (٤ : ١٣) .

يقول ول ديورانت : لقد ظل الاسلام خمسة قرون على الاقل من عام ٧٠٠ م الى ١٢٥٠ م يتزعم العالم كله في القوة والنظام ، وبسطة الملك ، وجميل الطباع والاخلاق ، وفي ارتفاع مستوى الحياة . وفي التشريع الانساني الرحيم والتسامح الديني والآداب والبحث العلمي والعلوم والطب والفلسفة .. الخ (١) .

وتقول الدكتورة لورا فيشيا فاغليري وهي تتحدث عن الفتوحات الاسلامية .

ومن الممكن القول في اطمئنان ، ان البلاد المفتوحة عرفت على الرغم من بعض الحالات المحتومة النادرة التي تجاوز فيها الجند حدودهم اثناء الفتح – عهدا من الرخاء والازدهار وشهدت غنى لم تشهده آسيا منذ قرون طويلة ، والى هذا فقد نعمت حياة الشعوب المغلوبة وحقوقها المدنية واموالها بدرجة من الحماية تقارب تلك التي نعم بها المسلمون انفسهم (٢) .

وسيظل الكفاح من اجل رفع مستوى المعيشة وجلب الرزق منهج العاملين في خدمة شعوبهم والمكافحين في سبيل رقيها الحضاري وسيجدون في الاسلام العظيم خير باعث على العمل والنشاط . ولو كره المغرضون .

الجهـــاد

حاول بعض المتصوفة صرف الناس عن القتال وجهاد الاعداء عن طريق تفسيرات غريبة للأيات القرآنية بعيدة عن معناها ومقاصدها . ومن ذلك ما روي عن داود بن صالح انه قال : قال لي ابو سلمة بن عبد الرحمن : يا ابن اخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية « اصبروا وصابروا ورابطوا » قلت : لا قال . يا ابن أخي لم يكن في زمن رسول الله صلى الله

(١) اشتراكية الاسلام ص ٢٧٦ نقلا عن قصة الحضارة ص ٣٨٢ . (٢) اشتراكية الاسلام ص ٢٧٦ نقلا عن دفاع عن الاسلام ص ٢٨ .

عليه وآله وسلم غزو يربط فيه الخيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة ، فالرباط لجهاد النفس والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه (١) .

وقال بعض المتصوفة في قوله تعالى « وجاهدوا في الله حق جهاده » هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد . وهو الجهاد الاكبر على ما روي في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال حين رجع من بعض غزواته . رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر(٢) .

وهذا كذب وافتراء على رسول الاسلام الذي جاء بشريعة الجهاد !

قال شيخ الاسلام الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

واما الحديث الذي يرويه بعضهم ، أنه قال في غزوة تبوك : « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » فلا أصل له ، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي صلى اللهعليه وآله وسلم وأفعاله(٣) ، وجهاد الكفار من اعظم الاعمال ، بل هو أفضل ما تطوع به الانسان . قال الله تعالى : (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما(٤) وقال تعالى : (اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين . الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا. ان الله عنده أجر عظيم (٥) .

وثبت في « صحيح مسلم » وغيره عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال رجل : ما أبالي الا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان أسقي الحاج ، وقال آخر :

---

(١) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٥٥ (٢) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٥٦ قال الحافظ ابن حجر في تسديد القوس عن حديث « رجعنا من الجهاد الاصغر ... » هو مشهور على الالسنة وهو من كلام ابراهيم بن عبلة . وقال العراقي رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر . (٣) قال الحافظ العراقي ، رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر . وقال ابن حجر : هو من كلام ابراهيم بن عبلة .
(٤) سورة النساء ، الآية : ٩٥ . (٥) سورة التوبة ، الايات : ١٩ ـ ٢٢ .

ما ابالي الن اعمل عملا بعد الاسلام ، الا أن أعمر المسجد الحرام ، وقال علي بن ابي طالب : الجهاد في سبيل الله أفضل مما ذكرتما ، فقال عمر : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن اذا قضيت الصلاة سألته ، فسأله فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وفي « الصحيحين » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أي الاعمال أفضل عند الله عز وجل ؟ قال : « الصلاة على وقتها » قلت : ثم أي ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » . قال : حدثني بهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو استزدته لزادني .

وفي « الصحيحين » عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه سئل اي الاعمال افضل ؟ قال : « ايمان بالله ، وجهاد في سبيله » قيل : ثم ماذا قال : حج مبرور (١) .

وقيل ان بعض الصالحين كتب الى اخ له يستدعيه الى الغزو فكتب اليه يا اخي . كل الثغور مجتمعه لي في بيت واحد والباب علي مردود . فكتب اليه اخوه . لو كان الناس كلهم لزموا مالزمته اختلت امور المسلمين وغلب الكفار فلا بد من الغزو والجهاد فكتب اليه يا اخي . لو لزم الناس ما انا عليه وقالوا في زواياهم وعلى سجادتهم الله اكبر انهدم سور القسطنطينية (٢) .

ولم يكتف المتصوفة بتثبيط الهمم وصرف الناس عن الجهاد الى محاربة اهواء النفس وشهواتها بالاقوال . بل نراهم يجهدون انفسهم ويضعفون اجسامهم بالجوع والسهر حتى لا تقوى على قتال او جلاد . فقد تمضي على الصوفي منهم ايام عديدة لا يأكل فيها الطعام واذا اكل كان اكله يسيرا لا يسد الرمق وكان بعضهم يطوي جائعا اربعين يوما دون طعام حتى لا يعود يقوى على خدمة نفسه . فكيف يقوى على الجلاد .

وبعض المتصوفة يجوعون مدة حتى تصفوا ارواحهم وتتطهر قلوبهم على حد زعمهم فاذا سمحوا لانفسهم بالاكل اكلوا كثيرا حتى تتدلى بطونهم وتكثر فيها شحومهم . ولا يستطيعون الحركة ويضعف فيهم النشاط

(١) الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان . (٢) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٥٦ .

وفي ذلك تفريط في حق الجسم واضعاف له فكيف يقوى به على الجلاد .

والمتصوفة يميتون في نفس السالك العزة والشعور بالكرامة كما يميتون فيه الصحة والحيوية فينحني أمام المشايخ ويقبل النعل والقدم . ويتلقى بنفس راضية شتى الاهانات حتى قال احدهم « طريقنا لا يصلح الا لاقوام كنست بارواحهم المزابل » (١) فكيف يفكر من هذه حاله بالقتال والطعان .

والصوفي كما يهمل تغذية جسمه يهمل ايضا غسله ونظافته حتى تغلبه الامراض فيمدها بلاء ولا يداويها الا بالذكر والاوراد المبتدعة فمن كانت هذه حالته فلا مكان له في حرب او جهاد وهو في شغل شاغل عن امور الدنيا . وهذه نظرية غريبة عن الاسلام .

واحسب ان زكي الارسوزي لم يتصور في العالم الاسلامي سوى المتصوفة عندما قال في معرض المقارنة بين العرب في الجاهلية والاسلام : قامت التكايا مقام الاندية ... وقام الناسك مقام البطل الشاعر واستحال ذؤبان العرب الى دراويش يقتاتون من فضلات الموائد (٢) .

وما لنا نذهب بعيدا في اثبات نفور الصوفية من الجهاد ، وهذا بيت المقدس ـ كما يقول الاستاذ عبد الرحمن الوكيل سقط في يد الصليبيين عام ٤٩٢ هـ والغزالي الزعيم الصوفي الكبير على قيد الحياة ، فلم يحرك منه هذا الحادث الجلل شعورا واحدا ، ولم يجر قلمه بشيء ما عنه في كتبه ، لقد عاش الغزالي بعد ذلك ١٣ عاما اذ مات (سنة ٥٠٥ هـ) فما ذرف دمعة واحدة ، ولا استنهض همة مسلم ، ليذود عن الكعبة الاولى ، بينما سواه من الشعراء يقول :

أحل الكفر بالاسلام ضيما ... يطول عليه للدين النحيب
وكم من مسجد ، جعلوه ديرا ... على محرابه نصب الصليب
دم الخنزير فيه لهم خلوف ... وتحريق المصاحف فيه طيب

أهز هذا الصريخ الموجع زعامة الغزالي ؟ كلا . اذ كان عاكفا على كتبه يقرر فيها أن الجمادات تخاطب الاولياء ! ! ويتحدث عن الصحو

---

(١) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ١ ص ٢٦٨ .

(٢) مجلة الجندي العدد ٦٣٤ ـ ٢١ كانون اول سنة ١٩٦٣

والمحو ، دون أن يقاتل ، أو أن يدعو حتى غيره الى قتال ! ! وابن عربي وابن الفارض الزعيمان الصوفيان الكبيران عاشا في عهد الحروب الصليبية، فلم نسمع عن واحد منهما انه شارك في قتال او دعا الى قتال ، أو سجل في شعره أو نثره آهة حسرى على الفواجع التي نزلت بالمسلمين . لقد كانا يقرران للناس ان الله هو عين كل شيء فليدع المسلمون الصليبيين ، فما هم الا الذات الالهية متجسدة في تلك الصور هذا حال اكبر زعماء الصوفية وموقفهم من اعداء الله ! ! فهل كافحوا غاصبا أو طاغيا (١) ؟

وحين أغار الفرنجة على المنصورة قبل منتصف القرن السابع الهجري، اجتمع زعماء الصوفية ! اتدري لماذا ؟ لقراءة رسالة القشيري والمناقشة في كرامات الاولياء (٢) بدلا من ان يجتمعوا لاعداد العدة واعلان كلمة الجهاد . . .

وكيلا يتهم عبد الرحمن الوكيل بالتجني على الغزالي وابن عربي وابن الفارض نسوق شهادة للدكتور عمر فروخ فيقول :

الا يعجب القارىء اذا علم ان (حجة الاسلام) أبا حامد الغزالي شهد القدس تسقط في ايدي الفرنج الصليبيين ، وعاش اثنى عشرة سنة بعد ذلك ولم يشر الى هذا الحادث العظيم . ولو أنه أهاب بسكان العراق وفارس وبلاد الترك لنصرة اخوانهم في الشام ، لنفر مئات الالوف منهم للجهاد في سبيل الله ولوفروا اذن على العرب والاسلام عصورا مملوءة بالكفاح وقرونا زاخرة بالجهل والدمار .

« وما غفلة الغزالي عن ذلك الا لانه كان في ذلك الحين قد انقلب صوفيا او اقتنع على الاقل بأن الصوفية سبيل من سبل الحياة ، بل هي اسدى تلك السبل واسعدها .

« وكذلك عاش عمر بن الفارض ومحيي الدين بن عربي في أبان الحروب الصليبية ولم يرد لتلك الحروب ذكر في آثارهما .

« وبينما كان الافرنج يغيرون على المنصورة في مصر (٦٤٧ هـ = ١٢٥٩ م) تنادى المتصوفة ليقرؤوا رسالة القشيرية ويتجادلوا في

(١و٢) كتاب هذه هي الصوفية ص ١٧٠ - ١٧١ و ١٧١ - ١٧٢ .

كرامات الاولياء (١) ويزعم الصوفية أن لهم كرامات ، ولكنهم لم يظهروا هذه الكرامات للدفاع عن دينهم وأوطانهم .

فاذا كان لهؤلاء القوم مثل هذه الكرامات ـ ومثل هذه الكرامات لم تكن مهم فلقد كان من الجناية على الدين نفسه ان يسكتوا عن الفرنج الصليبيين في بلاد المسلمين ، وعن غيرهم من المغيرين الظالمين(٢) .

« ولكن المتصوفة يعللون سكوتهم ورضاهم بما ينزل بقومهم من المصائب بأن هذه المصائب عقاب من الله للمذنبين من خلقه (كذا) فاذا كان الله قد سلط على قوم ظالما ، فلبس لاحد ان يقاوم ارادة الله ، او ان يتأفف منها (٣) .

ومما يؤسف له ان الغزالي ذكر في كتابه « المنقذ من الضلال » عند بحث طريقة التصوف انه كان ـ خلال الحروب الصليبية مشغولا في خلوته تارة في منارة دمشق وتارة في صخرة القدس يغلق بابهما عليه في مدة تزيد على سنتين ! ! !

وهذه شهادة ثالثة للدكتور زكي المبارك بعد أن تحدث قليلا عن الحروب الصليبية .

اتدري لماذا ذكرت لك هذه الكلمة عن الحروب الصليبية ؟! لتعرف انه بينما كان بطرس الناسك يقضي ليله ونهاره في اعداد الخطب وتحبير الرسائل . يحث اهل اوربا على احتلال اقطار المسلمين كان الغزالي (حجة الاسلام) غارقا في خلوته . منكبا على اوراده (المبتدعة) لا يعرف ما يجب عليه من الدعوة الى الجهاد .

ويكفي ان نذكر ان الافرنج قبضوا على ابي القاسم الرملي الحافظ يوم فتح بيت المقدس . ونادوا عليه ليفتدى ، فلم يفده أحد ثم قتلوه وقتلوا معه من العلماء عددا لا يحصيه الا الله ، كما ذكر السبكي في طبقاته وما ذكرنا هذه المأساة الا لنعد القارىء لفهم حياة الغزالي ! !

فأين هذا الموقف للمتصوفة من موقف العالم الفقيه شيخ الاسلام الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى المشرف من هجوم التتار على دمشق ،

---

(١) الشعراني ١ : ١٤ ـ ١٥ (٢) لقد عدد الدكتور فروخ طائفة منها حسب ادعاء وكذب اصحابها . (٣) التصوف في الاسلام للدكتور عمر فروخ .

فقد سارع لمقابلة ملكهم « قازان » على راس وفد من الشاميين لاقناعه بالعدول عن دخول دمشق ، فجعل يحدث هذا الملك بكل شجاعة مما اثار دهشته .

ولما يئس منه سافر الى مصر وحرض السلطان بن الناصر على الخروج الى الشام والدفاع عنها بعدما تخلى عنها ، فلبى طلبه والتقى الجيشان في مرج الصفر قريبا من دمشق ، ونشبت معركة رهيبة اشترك فيها الامام ابن تيمية ، بعد ان ثبت المسلمين وبشرهم بالنصر ، فامتطى صهوة جواده وخرج الى ميدان يحارب بكل شجاعة ويحرض جماعته على الصبر والقتال . ودامت المعركة اربعة ايام صدق خلالها اهل الشام وجند مصر القتال ، حتى اذا جاء عصر اليوم الرابع ، انتصر جند مصر والشام وهزم جيش التتار شر هزيمة بعدما كان يهدد الشرق والغرب (١) .

ويرجع الفضل في كل هذا النصر المبين بعد الله تعالى الى عالم الشام الذي ترك محراب العلم ودخل غمار الحرب بكل حنكة ورباطة جأش .

الجهاد في الاسلام :

الجهاد في الاسلام فريضة فرضها الله على المسلمين قال تعالى « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون » (٢) وحبب الله الجهاد الى نفس المسلم رغبة بجزيل الثواب وحسن المآب قال تعالى : « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما » (٣) وحذر الله المتقاعسين واعد لهم عذابا اليما .

قال تعالى : فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا في الحر ، قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون » (٤) .

---

(١) راجع البداية لابن كثير ١٤/١٥ وما بعدها وابن تيمية للاستاذ الشيخ محمد أبي زهرة . (٢) بقرة ٢١٦ . (٣) نساء ٧٤ ــ ٧٥ . (٤) توبة ٨٢ ــ ٨٣ .

وفي الاحاديث النبوية ترغيب كثير في الجهاد قال عليه الصلاة والسلام .

« اعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف » (١) .

وقال « من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق » (٢) .

وامر الاسلام بالتهيؤ للقتال والاعداد له العدة الصالحة قال تعالى : واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم (٣) .

والاعداد هو تهيئة الجسم الصحيح وتقويته وتدريبه وتزويد الانسان بأحدث الاسلحة وتأمين الموارد المادية الكافية للانفاق على الجند ، وتأمين احتياطي كاف ، والاستعداد لاستعمال كافة فنون الحرب واساليب القتال . من حرب معنوية واقتصادية وفكرية ومادية .

ووعد الله المؤمنين بعد ذلك النصر ، قال تعالى « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء . والله عليم حكيم » (٤) .

وقال جل شأنه ايضا « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » (٥) .

وفي الواقع العملي كان الرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام امام المجاهدين واشجع المقاتلين انفض عنه اصحابه في غزوة حنين فقاد بغلته باتجاه صفوف الاعداء وهو يصرخ بأعلى صوته انا النبي لاكذب . انا ابن عبد المطلب .

وكان صحابته رضوان الله عليهم اجمعين اسبق الناس للجهاد واشجعهم اذا حمي الوطيس .

وقد نهج على منوالهم المسلمون حتى ارتفعت راية الاسلام على الممالك والامصار ووجدت العقيدة الاسلامية طريقها بحرية الى النفوس . وقد عرف اعداء الاسلام الحاقدون ان الجهاد سر قوة المسلمين ومبعث عزهم وعظمتهم فأخذوا يفكرون بصرفهم عنه اضعافا لامرهم واذلالا لنفوسهم

---

(١) اخرجه الشيخان وابو داود . (٢) رواه مسلم وابو داود .
(٣) انفال ٦٠ . (٤) توبة ١٥ - ١٦ . (٥) محمد ٧ .

وخضدا لشوكتهم ، فأوهموهم ان الجهاد الاكبر هو جهاد النفس وهو مقدم على مجاهدة العدو . فتقاعس عنه المسلمون حتى غلبوا على امرهم وتطاول عليهم المستعمرون .

وصدق علي رضي الله عنه اذ قال في الجهاد : فوالله ما تركه قوم الا ذلوا .

اكتساب العلم

يرى المتصوفة ان اكتساب العلم بالتعلم والطلب طريق طويل وعلمه مهما بلغ ناقص وقاصر !

أما العلم الكامل – بزعمهم – فهو الذي يكتسبه الانسان عن طريق القلب بوساطة الالهام والكشف . !

قال ابو يزيد : ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا ، وانما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس . وهذا هو العلم الرباني (١) !

وقال السهروردي : الزاهدون ومشايخ الصوفية والمقربون حيث اكرموا بواجب حق الاستقامة . رزقوا سائر العلوم التي اشار اليها المتقدمون . (٢) .

وقال ابو حامد الغزالي : للقلب بابان . باب مفتوح الى عالم الملكوت . وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة . وباب مفتوح الى عوالم الحواس الخمسة المتمسكة بعالم الملك والشهادة .

وعالم الشهادة والملك يحاكي ايضا عالم الملكوت نوعا من المحاكاة . واما انفتاح القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك . واما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينا بالتأمل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون

---

(١) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٢١ .

(٢) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٣ ص ٢٤٣ .

في المستقبل او كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى (١) .

ثم يقول : وهذا هو الفرق بين علوم الاولياء والانبياء وبين علوم العلماء والحكماء . وهو ان علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المفتوح الى عالم الملكوت وعلم الحكمة يأتي من ابواب الحواس المفتوحة الى عالم الملك (٢) .

هل بعد هذا الكلام للغزالي ، شك للقارىء ، بأنه هو أول من فتح للمتصوفة باب ترك العلم والانغماس في الجهل بما رسمه لهم من طريق لم يتيسر حتى للانبياء الموحى اليهم ، فهاموا في الخلوات ولجؤوا الى ظلمات بعضها فوق بعض فازدادوا ضلالا الى ضلالهم ، وخرجوا على العالم الاسلامي بوساوس واوهام كانت من أسباب ذله وضعفه وانحطاطه، واستيلاء الاعداء عليه ! .

والدعوة لترك العلم دعوة خطيرة على المجتمع ، مقوضة لبنيانه ، هادمة لاركانه ، والمجتمع العربي لم يبلغ ما بلغ من شأو عال في الرقي والتقدم والحضارة الا باهتمامه بالعلم والعلماء . ووالله ما تركت أمة العلم الا ذلت وتأخرت وتحكمت فيها الامم .

والدعوة لترك العلم ــ دعوة للاستكانة وقصور الهمة .

ــ دعوة للجمود الفكري والركود الذهني .

ــ دعوة للضعف والرضا بالتأخر .

ــ دعوة لان نكون مقطورين بالركب لارادوا للشعوب .

وقد بلغ الغرب شأوا كبيرا في مضمار العلم فاستطاع ان يركب الهواء ويغوص بعيدا تحت الماء ، ويستخدم الذرة والكهرباء ويطوف حول الارض ساعات ، ويغزو الكواكب والافلاك ، وينقل الصور المختلفة عبر القارات ويقضي على كثير من الامراض . كل ذلك نتيجة العلم عن طريق الحواس . باعمال الفكر واعتماد التجارب .

واذا نظرنا الى واقعنا المرير ووضعنا المتخلف الا يحق لنا ان نتساءل ماذا اتانا ممن زعموا انهم قرأوا اللوح المحفوظ وفهموا اسرار الكائنات وعرفوا كنه المادة وطاروا في الهواء وساروا على وجه الماء وكلموا الاحجار

(١) احياء علوم الدين ج ٣ ص ١٨ .   (٢) المصدر السابق ج ٣ ص ١٨ .

والنباتات والاسماك في قعر البحار بزعمهم ، ماذا اتونا بغير هذه الخرافات ، وهل استفاد منهم المجتمع سوى العودة الى الوراء الى الجاهلية الجهلاء عندما كان عقل العربي :

اسيرا للاوهام .

- عبدا للاساطير والخرافات .

- مغلولا بالتقاليد والاعراف .

- مقيدا بأقوال المنجمين والكهان .

والاسلام لم يأت الا ليحرر العقل من ربقة الاوهام ويطلق عقال الفكر ليسبح في آفاق واسعة لا تحدها حدود ، لان حدودها الكون بعالميه . عالم الاحساس وما وراء الاحساس ، وبذلك كرم الاسلام الانسان .

وقد بين الله تعالى ان طريق العلم لغير الانبياء هو طريق الحواس والبحث والتفكير فقال :

« افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الارض كيف سطحت ... »(١)

فالنظر وسيلته الطبيعية هي العين والنظر وسيلة للتفكر .

وقال تعالى : وهل اتاك حديث موسى . اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى » (٢) .

وسماع الحديث وسيلته الطبيعية هي الاذن ، والسماع وسيلة ايضا للتفكير والاعتبار .

وقال تعالى « صم ، بكم ، عمي ، فهم لا يرجعون » (٣) قال البيضاوي أي لا يرجعون الى الهدى (٤) .

فدل الله سبحانه وتعالى على ان الصم والبكم والعمى مؤداهم الى عدم الهداية والفهم . كما انه يفهم عن طريق المفهوم المخالف ان السمع والبصر والكلام وسيلة للعلم والهدى والفهم مصداقا لقوله تعالى : انا خلقنا

---

(١) الغاشية ١٧ - ٢٠ (٢) طه ٠ - ١٠

(٣) بقرة ١٨ (٤) تفسير البيضاوي ص ١٤ .

الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصير(١) وبعد ان جعل الله الانسان سميعا بصيرا يقول :

ان هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا (٢) .

وفي ذلك دلالة ظاهرة لا تقبل النقض او الشك على ان الحواس هي السبيل الطبيعي للعلم والفهم بالنسبة للناس اجمعين سوى الانبياء والمرسلين .

الا ان صفاء الذهن وسرعة الفهم وقوة الذاكرة وسعة الحافظة ودرجة النسيان وكلها اشياء تتحكم في درجة اكتساب العلم . ترجع الى ما اودعه الله في كل نفس بشرية من استعداد . وما يطرأ عليها خلال الزمن من زيادة او نقصان تؤثر تأثيرا كبيرا على استيعاب العلماء للعلوم ولذلك قال تعالى .

« يؤتي الحكمة من يشاء ... » (٣) .

ولعل من المستحسن بعد ان بينا راي الاسلام بطريقة اكتساب العلم ان نذكر قول ابن الجوزي في هذا المقام :

« وكان من تلبيسه يعني ابليس على المتصوفة » ان صدهم عن العلم واراهم ان المقصود العمل . فلما اطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في « الظلمات » (٤) .

وما احسن أن نختتم هذا البحث بعبارة لطيفة للامام ابن الجوزي رحمه الله تعالى :

ليس في الوجود شيء أشرف من العلم ، كيف لا وهو الدليل ، فاذا عدم وقع الضلال . وان من خفي مكائد الشيطان أن يزين في نفس الانسان التعبد ليشغله عن أفضل التعبد : وهو العلم . حتى أنه زين لجماعة من القدماء انهم دفنوا كتبهم ورموها في البحر ، وهذا قد ورد عن جماعة ، واحسن ظني بهم أن أقول : كان فيها شيء من رأيهم وكلامهم فما أحبوا انتشاره ، والا فمتى كان فيها علم مفيد صحيح لا يخاف عواقبه ، كان رميها اضاعة للمال لا يحل .

(١و٢) انسان ٢و٣ . (٣) البقرة ٢٦٨ . (٤) تلبيس ابليس ص ١٦٣ .

وقد دنت حيلة ابليس الى جماعة من المتصوفة حتى منعوا من حمل المحابر لتلاميذهم ، حتى قال جعفر الخالدي لو تركني الصوفية جئتكم بأستاذ الدنيا . كنت جالسا عند أبي العباس الدردري ، فلقيني بعض الصوفية ، فقال : دع علم الورق ، وعليك بعلم الخرق . ورئيت محبرة مع بعض الصوفية ، فقال له صوفي : استر عورتك . وقد انشدوا للشبلي :

اذا طالبوني بعلم الورق　　برزت لهم بعلم الخرق

وهذا من خفي حيل ابليس ، ولقد صدق عليهم ابليس ظنه ، وانما فعله وزينه عندهم لسببين : أحدهما : انه ارادهم يمشون في الظلمة ، والثاني : ان تصفح العلم كل يوم يزيد في العلم ، ويكشف له ما كان خفي عنه ، ويقوي ايمانه ومعرفته ، ويريه عيب كثير من مسالكه ، اذا تصفح منهاج الرسول والصحابة ، فأراد ابليس سد تلك الطرق بأخفى حيلة ، فأظهر ان المقصود العمل لا العلم لنفسه ، وخفي على المخدوع ان العلم عمل وأي عمل !

فاحذر من هذه الخديعة الخفية ، فان العلم هو الاصل الاعظم ، والنور الاكبر ، وربما كان تقليب الاوراق أفضل من الصوم والصلاة والحج والغزو ، وكم من معرض عن العلم يخوض في عذاب من الهوى في تعبده، ويضيع كثيرا من الفرض بالنفل ، ويشتغل بما يزعمه الافضل عن الواجب، ولو كانت عنده شعلة من نور العلم لاهتدى ، فتأمل ما ذكرت لك ترشد ان شاء الله تعالى (١) .

ولا شك ان هؤلاء الصوفية الذين زهدوا الناس في العلم ، يحملون أعظم الوزر في تأخر المسلمين وانحطاطهم واستيلاء الاعداء عليهم بسبب تخديرهم لهم ، ومنعهم اياهم من طلب العلم ، فتقدم ركب الحضارة ونشط الغرب في ميادين العلم والاختراع التي جعلت منه ماردا يصول ويجول فأخذ يهدد العالم الاسلامي بضرباته القوية ويستولى على خيراته ويسخره كيف شاء !

ذلك العالم الذي فتح عينيه على الوجود الذي واجهه من جديد

---

(١) صيد الخاطر للامام ابن الجوزي بتحقيق الصديقين الاستاذين علي وناجي الطنطاوي وطبعة دار الفكر ١/١٤٤ – ١٤٦ .

بعد نومته العميقة ، ونظر الى الدنيا التي كان أعرض عنها ، ــ بتأثير من المتصوفة ــ وذهل من مراقبتها ، برهة قصيرة فيما يحسب ، فاذا هي غير الدنيا التي كان عرفها قبل اعراضه وذهوله ، واذا هو كالرجل الذي أماته الله مئة عام ثم بعثه قـال كم لبثت ؟ قال : لبثت يوما أو بعض يـوم (١) ...

الــزواج

يعتبر اكثر المتصوفة الزواج غلا من الاغلال يشغلهم عن عبادة الله سبحانه وتعالى . ويصفونه بأنه ملذات دنيوية تناقض ما هم عليه من محاربة الهوى ونبذ اللذات والشهوات . وقد كان ابراهيم بن ادهم يقول « من تعود افخاذ النسـاء لا يفلح » (٢) .

وقال ابو سليمان الدراني : من تزوج فقد ركن الى الدنيا (٣) .

وقال الجنيد ــ وهو سيد طائفة التصوف ــ كما يسمونه :

« أحب للمبتدىء الا يشغل قلبه بهذه الثلاث ، والا تغير حاله » : ١ ــ التكسب ٢ ــ وطلب الحديث (كذا !) ٣ ــ والتزوج . وواجب الصوفي الا يقرأ ولا يكتب ، لانه أجمع لهمه (٤) .

وقيل لبشر بن الحرث ان الناس يتكلمون فيك فقال : ماذا يقولون . قيل : يقولون انه تارك للسنة يعني النكاح . فقال : قولوا لهم . انا مشغول بالفرض عن السنة (٥) .

وقيل لبعض الفقراء تزوج فقال : انا الى ان اطلق نفسي احوج مني الى التزوج(٦) .

ويحتج الصوفية على ترك الزواج بحديث يروونه عن رسول الله

---

(١) « التفسير ورجاله » للشيخ محمد الفاضل بن عاشور ص ١٤٢ .
(٢) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ١٦٩ .
(٣) احياء علوم الدين ٣ ج ص ٨٧ . (٤) قوت القلوب ١٣٠/٣ .
(٥و٦) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ١٦٧ .

صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : خيركم بعد المئتين خفيف الحاذ قيل : يا رسول الله وما خفيف الحاذ . قال : الذي لا أهل له ولا ولد (١) !

ويحتجون أيضا بحديث آخر يروونه : خير أمتي أولها المتزوجون ، وآخرها : العزاب ، واني احللت لامتي الترهب اذا مضت احدى وثمانون ومئة سنة (٢) .

ويحتجون كذلك بحديث : قلة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقرين (٣) .

ولم يكتف بعض المتصوفة بترك الزواج ، بل « حمل الجهل أقواما منهم – كما قال الامام ابن الجوزي – فجبوا (٤) انفسهم ، وزعموا انهم فعلوا ذلك حياء من الله تعالى ! وهذه غاية الحماقة ، لان الله تعالى : شرف الذكر على الانثى بهذه الآلة ! وخلقها لتكون سببا للتناسل ، بل الذي يجب نفسه يقول بلسان الحال : الصواب ضد هذا . ثم قطعهم الآلة لا يزيل شهوة النكاح من النفس ، فما حصل لهم مقصودهم (٥) .

وقد ترك بعض الصوفيةالزواج بالنساء ، فعاشروا المردان من الصبية، ومن اطرف مصطلحات الصوفية تكنيتهم للغلام بقولهم « شاهد » ويعني ذلك انه لحسن صورته شهيد بقدرة الله عز وجل . ويحكى ان اصحاب أبي علي الثقفي تحاموا لفظة « شاهد » بين يديه هيبة منه ، فتواضعوا فيما بينهم أن يقولوا للغلام الصبيح « حجة » فاتفق انهم صحبوه فيبعض الطريق ، فتراءى لهم من بعيد غلام ، فقال احدهم : « حجة » وهو يظن أن أبا علي لا يفطن . فلما قرب الغلام منهم كان غيرمليح ، فالتفت ابو علي اليهم وقال . « داحضة » (٦) .

قال الدكتور زكي مبارك :

.. حدثوا ان أحد تلامذة ابن جابر الاشبيلي قال لغلام جميل

---

(١) ذكره السهروردي في العوارف ١٦٧/٢ قال صاحب اسنى المطالب في سنده داود بن الجراح خطأه الحافظون وضعفوه . (٢) قال الشوكاني : قال في الذيل : في اسناده البلوي : كذاب . (٣) قال في المقاصد : هو في احياء علوم الدين للغزالي او الشطر الاول للقضاعي ، والديلمي بسندين ضعيفين . (٤) خصوا انفسهم . (٥) تلبيس ابليس ص ٣٣٢ – ٣٣٣ . (٦) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ٢٤١/٢ عن كتابات ص ٢٠ الثعالبي .

الوجـــه : بالله أعطني قبلة تمسك رمقي ، فشكاه الغلام الى الشيخ وقال له : يا سيدي ، قال لي هذا كذا ، فقال له الشيخ : واعطيته ما طلب ؟ فقال : لا . فقال : فما هذه الثقالة ؟ ما كفاك أن حرمته حتى تشتكي عليه أيضا (١) ؟ !

ولم يكتف المتصوفة بذلك ، بل راح بعضهم يضع الاحـــاديث على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مدح الوجه الحسن ، فمن ذلك قولهم : « ثلاث يجلين البصر : النظر الى الخضرة ، والى الماء ، والى الوجه الحسن » (٢) .

قال الدكتور زكي مبارك يتساءل : من أين جاء هذا التبتل ؟ جاء من النصرانية اولا ، ومن الصابئة ثانيا .

أما التبتل في النصرانية فمعروف ، واما الصابئون فان العابد منهم ربما خصى نفسه ..

وجملة القول ان الصوفية ينظرون الى الزواج كأنه غل من الاغلال التي تشل حركة الروح ، وقليل منه من يفطن الى ما في الزواج والذرية من المعاني الروحية ، فالرجل المتأهل الذي يعاني مشاق العيش تتفتح أمامه أبواب من الجهاد لاتخلو من شرف ونبل ، وفي رعاية لاهل ميدان لخبرة الخلق والروح ، وأخشى ان يكون الميل الى العزوبة جبنا وهلعا من تكاليف الحياة ، ولعله لا يكون الا كذلك ، ولا عبرة بدعوى الانقطاع الى الله ، فالسعي في بر الاهل والذرية هو ايضا انقطاع الى الله للصوفية ان يفروا من الزواج ، ولكن عليهم ان يتذكروا أنهم يفرون من الجهاد ، وأي جهاد أقسى من السعي للاهل والاطفال ؟ ان التقوى كل التقوى ان تواجه مكاره العيش اعتمادا على رعاية الله اما ايثار العزوبة حبا في السلامة ، او في رغبة في الانقطاع الى الله ، فهو من أعمال الجبناء والغافلين .

حدث ان بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأباه برهة من دهره ، فانتبه من نومه ذات يوم ، فقال : زوجوني !

فسئل عن سبب ذلك فقال : رأيت في نومي كأن القيامة قد قامت

---

(١) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ص ٢٢٩ نقلا عن نفح الطيب ٣٢٢/٢ .

(٢) جاء في « اسنى المطالب » في سنده عبد الله الخوارزمي وفي حديثه نكاره ، وله طريق فيه أبو البحتري القاضي رمي بالوضع .

وكنت في جملة الخلائق في الموقف ، وبي من العطش ما يكاد يقطع عنقي : وكذلك الخلائق في شدة العطش من الحر والشمس والكرب . قال فبينا نحن كذلك اذ الولدان يتخللون الجمع ، عليهم مناديل من نور ، وبأيديهم أباريق من فضة ، واكواب من ذهب ، وهم يسقون الواحد بعد الواحد ، ويتخللون الجمع ويجاوزون أكثر الناس .

قال : فمددت يدي الى احدهم فقلت : أسقني شربة ، فقد أجهدني العطش ! فقال : ليس لك فينا ولد ، انما نسقي آباءنا . فقلت : ومن انتم ؟ فقالوا : نحن من مات من اطفال المسلمين .

على ان الصوفية في زواجهم وعزوبتهم ينتهون الى غاية واحدة هي الفناء ، والرجل الجائع الخمول يعسر عليه أن يأتي بنسل متين ، وما نظن الرسول صلى الله عليه وسلم يكاثر بالابناء الضعفاء ، انما يكاثر بالذرية القوية التي تحفظ الثغور وتقيم الحصون (١) . .

والزواج نظام طبيعي اقتضته الحكمة الالهية للحفاظ على النوع واكثار النسل . قال تعالى : يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ، ان الله كان عليكم رقيبا (٢) .

وقال تعالى « ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخذان . . » (٣) .

وكل دعوة للعزوبة هي دعوة لافساد حكمة الله سبحانه وتعالى التي ارتضاها لعباده وهي دعوة نصرانية حاربها الاسلام وجعل من الزواج سكنا للنفس وسبيلا الى الرحمة والمودة . قال تعالى : ومن آياته ان خلق لكم منأنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٤) .

وقال تعالى : (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) (٥) .

---

(١) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ٢/٢٠٧ – ٢١١ باختصار .

(٢و٣) النساء : ١ ، ٢٤ .　　(٤) الروم : ٢١ .　　(٥) البقرة : ١٨٧ .

وقد جاءت الاحاديث العديدة تحض على الزواج نذكر بعضها :

« اذا تزوج العبد ، فقد استكمل نصف دينه ! فليتق الله في النصف الباقي » (١) .

« الدنيا متاع ، وخير متاعها المراة الصالحة » (٢) .

« تزوجوا الودود الولود ، فاني مكاثر بكم الامم » (٣) .

وكان ابن مسعود يقول : لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام اموت في آخرها لاحببت ان اتزوج ، ولا القى الله عز وجل وانا عزب !

ولا يخفى ما في ترك الزواج من خطر على المجتمع وما يؤدي اليه من كبت الغرائز ، فيشبق الناس ، ويعم الفساد ، ويقل النسل وتضعف الامة وتضطرب العواطف البشرية .

تفسير القرآن

راي المتصوفة في آي القرآن الكريم مخالفة لمفاهيم ومعارضة لآرائهم ومسالكهم فلجأوا الى التفسير والتأويل معتمدين على الخواطر والاحلام والكشف « وليس في ذلك شيء مضبوط وما يدركه هذا قد يجهله ذاك » (٤) .

فانبثق من هذه التفاسير افسد العقائد على اهداف الدين الاسلامي ومقاصده ، وفتح الباب امام الجهلة والاميين للتقول في كتاب الله ما ليس لهم به علم . فصنف لهم ابو عبد الرحمن السلمي كتاب السنن وجمع لهم فيه ما زعمه لهم انه حقائق التفسير فذكر لهم فيه العجب في تفسير القرآن بما يقع لهم من غير اسناد ذلك الى اصل من اصول العلم ، وانما حملوه على مذاهبهم ، والعجب من روعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن » (٥) .

---

(١) حسن لطرقه . (٢) رواه مسلم . (٣) رواه ابو داود والنسائي بسند صحيح . (٤) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ٢ ص ١٩ . (٥) تلبيس ابليس ص ١٦٤ .

ووضع لهم عبد العزيز الدباغ تفسيرا للقرآن لا يقل غرابة عن تفسير السلمي ، مع ان الدباغ امي لا يعرف الكتابة او القراءة !

وقد دافع الغزالي عن تأويل الصوفية للقرآن فقال : ان اقوال المفسرين من اهل الظاهر لا تغني عن معاني اهل الباطن . وضرب على ذلك العديد من الامثلة منها تفسيره لقول الله تعالى « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » .

قال الغزالي : فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه وتعالى هو المعذب وان كان الله تعالى هو المعذب بتحريك ايديهم فما معنى امرهم بالقتال . فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير ، وهو ان يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة . ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل . حتى يتكشف بعد ايضاح امور كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (١) ولعل العمر لو انفق في استكشاف اسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقضى العمر قبل استيفاء جميع لواحقه (٢) .

امثلة من تفسير الصوفية للقرآن :

قالوا في قوله تعالى : « فما بكت عليهم السماء والارض » تنبيه على فضيلة اهل الله تعالى من اهل طاعته لان الارض تبكي عليهم ولا تبكي على من ركن الى الدنيا واتبع الهوى ، فسكان الرباط هم الرجال لانهم ربطوا نفوسهم على طاعة الله تعالى وانقطعوا الى الله فأقام الله لهم الدنيا خادمة » (٣) .

وقالوا في قوله تعالى « وان يأتوكم اسارى » قال ابو عثمان اي غرقى في الذنوب » (٤) .

وقال أبو سلمه عن عبد الرحمن في معنى قوله تعالى « اصبروا وصابروا ورابطوا » لم يكن في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم غزو يربط فيه الخيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة . فالرباط لجهاد النفس والمقيم

(١) راجع تفسير هذه الاية واسباب نزولها فيما بعد ، فقد فهم منها بعضهم الجبر وهو باطل عقلا شرعا . (٢) احياء علوم الدين ج ١ ص ٢٦٣ . (٣) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٥٢ . (٤) تلبيس ابليس ص ٣٢٢ .

في الرباط مرابط مجاهد نفسه » (١) .

وقال ابن عربي في قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » الحقيقة المحمدية الموصوفة بالاستواء على العرش الرحمني الالهي »(٢).

وقال بعضهم في قوله تعالى « وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده » هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر » (٣) .

وقال النوري في قوله تعالى « ومن دخله كان آمنا » أي آمنا من هواجس نفسه ووساوس الشيطان (٤) .

وقالوا في قوله تعالى : انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها » انزل من السماء ماء انواع الكرامات فأخذ كل قلب بحظه ونصيبه . فسالت أودية قلوب العلماء واودية قلوب الصوفية » (٥) .

وقال الغزالي في معنى قوله تعالى « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبهة ويرزقه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة (٦) .

وقال ابن عربي في تفسير قوله تعالى « بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم » اي جعل الريح اشارة الى ما فيها من الراحة فان بهذه الريح اراحتهم من هذه الهياكل المظلمة والمسالك الوعرة والسدف المدلهمة ، وفي هذه الريح عذاب اي امر يستعذبونه اذا ذاقوه الا انه يوجعهم لفرقة المألوف » (٧) .

اقوال المفسرين في معنى بعض هذه الآيات :

لقد راينا ان نبين للقارىء الكريم اقوال المفسرين في معاني هذه الآيات حتى يلاحظ الفرق الكبير بين معاني المفسرين المعتمدة على اصول لغوية وشرعية وبين معاني المتصوفة المعتمدة على الوساوس والاهواء وما يسمونه الكشف والالهام . وغاية اكثرهم نسف القرآن وتحريفه ...

---

(١) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٥٢ (٢) الفتوحات المكية ج ١ ص ١٥٢ (٣) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٥٦ . وقد ناقشت هذا القول في غير هذا الموضع من هذا الكتاب . (٤) تلبيس ابليس ص ٣٢٢ . (٥) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ١ ص ٢٠٠ (٦) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٠ . (٧) مصرع التصوف ص ٩٥ نقلا عن فصوص الحكم ص ١٠٩ .

قال البيضاوي في قوله تعالى : فما بكت عليهم السماء والارض . مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء والارض وكسفت لمهلكهم الشمس في نقيض ذلك ... وقيل تقديره فما بكت عليهم أهل السماء والارض (١) .

وقال البيضاوي في قوله تعالى « وان يأتوكم اسارى » روى ان نقيض قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه . وقيل معناه ان يأتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدوا لانقاذهم بالارشاد والوعظ (٢) وهذا القول الثاني هو قول الصوفية .

وقال البيضاوي في قوله تعالى « اصبروا وصابروا ورابطوا » اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد . وصابروا أي غالبوا اعداء الله بالصبر على شدائد الحرب ورابطوا أبدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو(٤) .

واجمع المفسرون ان الرحمن في قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » هو الله سبحانه وتعالى والله سبحانه استوى على العرش استواء يليق بعظمته من غير تشبه ولا تعطيل ، فهو سبحانه بائن عن خلقه ، ومن فسر الاستواء في الآية بالاستيلاء ، فقد أول وحرف كلام الله سبحانه وزعم انه لم يكن مستوليا على العرش ثم استولى عليه !

وقال ابن كثير في ذلك : ان المسلك الاسلم طريقة السلف حسب ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل (٤) .

وقال البيضاوي في قوله تعالى « وجاهدوا في الله حق جهاده » أي لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ (٥) .

وقال ابو حنيفة في معنى قوله تعالى « ومن دخله كان آمنا » من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما والتجأ الى الحرم لم يتعرض له ولكن الجىء الى الخروج (٦) .

(١و٢و٣) تفسير البيضاوي ص ٦٨٦ و ٣٨ و ١٢٦ . (٤) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ١٤٢ . (٥و٦) تفسير البيضاوي ص ٤٨٧ و ١٠٧ .

وقال ابن كثير في قوله تعالى « انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها » اي انزل من السماء مطرا فأخذ كل واد بحسبه فهذا كبير وسع كثيرا من الماء وهذا صغير فوسع بقدره (١) .

وقال البيضاوي في معنى قوله تعالى « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل اقامتها بان يجعل الله مخرجا مما في شأن الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لما يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون.

وقال البيضاوي في معنى قوله تعالى « بل هو ما استعجلتم به . ريح فيها عذاب اليم » أي قال هود عليه الصلاة والسلام بل هو ما استعجلتم به من العذاب « ريح » هي ريح ويجوز ان يكون بدل ما « فيها عذاب اليم » صفتها ، وكذا قوله « تدمر » تهلك « كل شيء » من نفوسهم واموالهم ... وروي ان هودا عليه السلام لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فأمات الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم فقذفتهم في البحر (٢) .

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) قال تعالى في شأن القبضة من التراب التي حصب بها وجوه الكافرين يوم بدر حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكانته ، فرماهم بها وقال : « شاهت الوجوه » ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الحملة اثرها ففعلوا ، وأوصل الله تلك الحصاء الى اعين المشركين فلم يتق واحد منهم الا ناله منها ما شغله عن حاله .

ولهذا قال تعالى : (وما رميت اذا رميت ولكن الله رمى) أي هو الذي بلغ ذاك اليهم وكبتهم بها لا أنت ! !

حكم الشرع في تفسير القرآن :

قال تعالى : هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٥٠٨ .

(٢) تفسير البيضاوي ص ٦٩٧ — ٦٩٨ .

الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب(١) .

وقال سبحانه : (افتطعمون ان يؤمنوا لكم ؟ ! وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ، وهم يعلمون (٢) .

وسئل ابو بكر رضي الله عنه عن معنى اي من القرآن الكريم فقال : اي ارض تقلني وأي سماء تظلني اذا قلت في القرآن برأيي (٢) وفي رواية اخرى سئل عن معنى قوله تعالى « وفاكهة وابا » فقال : أي ارض تقلني وأي سماء تظلني اذا قلت في كتاب الله مالا اعلم .

واذا كان من يكذب على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم متعمدا يتبوأ مقعده من النار ، فما مصير من يكذب على الله في تأويل آياته وتعطيلها وتفسدها بالهوى ؟ ! ..

وقال ابن عربي في فص حكمة علية في كلمة اسماعيلية في تفسير (وكان عند ربه مرضيا) : « والعبد من كان عند ربه مرضيا ، وما ثم الا من هو مرضي عند ربه (٤) لان الذي يبقي عليه ربوبيته ، فهو عنده مرضي ، فهو سعيد .

وقال ابن عربي ايضا في فص حكمة احدية في كلمة هودية في تفسير (ما من دابة في الارض الا هو آخذ بناصيتها ، ان ربي على صراط مستقيم) فكل ماش فعلى صراط الرب المستقيم (!) فهو غير مرغوب مغضوب عليهم من هذا الوجه ، ولا ضالون ، فكما كان الضلال عارضا ، فكذلك الغضب الالهي عارض ، والمآل الى الرحمة التي وسعت كل شيء (٥) ! !

ثم قال في الفص الهودي ايضا في تفسير : (ونسوق المجرمين الى جهنم وردا) : « فنسوق المجرمين ، وهم الذين استحقوا المقام الذي ساقهم اليه بريح الدبور التي اهلكهم عن نفوسهم بها فهو يأخذ بنواصيهم، والريح تسوقهم – وهي عين الاهواء التي كانوا عليها – الى جهنم – وهي البعد الذي كانوا يتوهمونه ، فلما ساقهم الى ذلك الموطن حصلوا في عين

---

(١) آل عمران ٧ . (٢) البقرة : ٧٦ . (٣) احياء علوم الدين ج ١ ص ٢٦١ .
(٤) ص ٩٢ – ٩٣ من الفصوص . (٥) ص ١٠٦ من الفصوص .

القرب ، فزال البعد ، فزال مسمى جهنم في حقهم ، ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق ، لانهم مجرمون ، فما اعطاهم هذا المقام الذوقي اللذيذ من جهة المنة ، وانما اخذوه بما استحقته حقائقهم من اعمالهم التي كانوا عليها ، وكانوا في السعي في اعمالهم على صراط الرب المستقيم (١) .

وقد زعم ابن عربي بايمان فرعون ونجاته فقال في تفسير : (قرة عين لي ولك) : « فيه قرت عينها بالكمال الذي حصل لها ، وقرة عين لفرعون بالايمان الذي اعطاه الله عند الغرق ، فقبض طاهرا مطهرا ليس فيه شيء من الخبث » (٢) .

ويقول عن فرعون ايضا : « فنجاه الله من عذاب الآخرة في نفسه ، ونجى بدنه ، فقد عمته النجاة حسا ومعنى » (٣) .

وراجع « الفص الموسوي » من كتابه الفصوص تجد بحثا رهيبا في المقارنة بين موسى وفرعون !

اتباع الشيخ

والشيخ عند الصوفية هو من وصل رتبة المشيخة واذن له مرشده بالتوجيه والارشاد ورتبة المشيخة اعلى المراتب عند الصوفية ونيابة النبوة في الدعاء الى الله . لان الشيخ يحبب الله الى عباده ويحبب عباد الله الى الله » (٤) .

والصوفية طريقهم طويل والسير فيه صعب عسير ، وهو مملوء بالصعاب والعقبات والاودية والمفازات . ولا بد لسالكه بزعمهم من اتباع رائد او دليل وهو الشيخ من العارفين . قال ابو على الدقاق : الشجرة اذا نبتت من غير غارس فانها تورق ولا تثمر وهي كما قال قد يجوز انها تثمر كالاشجار في الاودية والجبال ولكن لا يكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين (٥) .

(١) الفصوص ١٠٨ (٢و٣) الفصوص بتحقيق الدكتور عفيفي ٢٠١/١ و ٢١٢/١ .

(٤و٥) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ١٢ و ٣٧ .

ويقول شهاب الدين السهروردي : يصير المريد جزء الشيخ كما ان الولد جزء الوالد في الولادة الطبيعية . وتصير هذه الولادة آنفا ولادة معنوية كما ورد عن عيسى صلوات الله عليه لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين . فبالولادة الاولى يصير له ارتباط بعالم الملك . وبهذه الولادة يصير له ارتباط بالملكوت ... وبهذه الولادة يستحق ميراث الانبياء ومن لم يصله ميراث الانبياء ما ولد وان كان على كمال من الفطنة والذكاء (١) .

وقد ذكر شهاب الدين السهروردي للمريد اوان ارتضاع واوان فطام تشبيها بالوليد ولادة طبيعية فقال : فأوان الارتضاع اوان لزوم الصحبة والشيخ يعلم وقت ذلك فلا ينبغي للمريد المفارقة الا بعد علمه بانه آن له اوان الفطام . وانه يقدر ان يستقل بنفسه ... ومتى فارق اوان الفطام يناله من الاغلال في الطريق بالرجوع الى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال المفطوم لغير اوانه في الولادة الطبيعية » (٢) .

ولاتباع الشيخ والتزود منه اهمية كبرى عند الصوفية وشرط من شروط الطريق للواصلين حتى ان ابا يزيد البسطامي كان يقول : من لم يكن له شيخ فامامه الشيطان (٣) ومن الالفاظ الدائرة عند الصوفية من لم ير مفلحا لا يفلح (٤) .

والشيخ بعد ان يأتيه المريد يأخذ بيده ويدله على الطريق ويعلمه التوبة والزهد ويلقنه الاوراد والاذكار والدعوات والصلوات الخاصة بهم وقد تكون غالبا من غير المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد يكون فيها الشرك ايضا كما رأينا ذلك واضحا حين الكلام على المدائح النبوية

(١و٢) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ١٦ و ٤٤ .

(٣و٤) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٣٧ و ٣٨ .

كثيرا ما يردد الصوفية هذا القول ليقنعوا الناس بالالتجاء اليهم والتسليم لهم كيلا يكون امامهم وشيخهم الشيطان بزعمهم !

والمتعلم ينبغي الا يكون له شيخ واحد ـ ونقصد بالشيخ هنا المعلم ـ فيحصر نفسه فيه ، بل ينبغي ان يكون له عدة شيوخ ومعلمين يستفيد من كل منهم فى حدود اختصاصه ، ويصحح بذلك ما قد يكون قد تلقاه من خطأ من أحدهم . شأنه فى ذلك كشأنه في اختيار الاطباء الاختصاصيين !

وهذا الترتيب من أبغض الامور الى الشيخ الصوفي الذي يحتم على المريد ألا يتعلم من غيره ولا يجالس سواه ، حتى راح الصوفية يبالغون فى ذلك ويرهبون أتباعهم من تعدد الشيوخ حتى قالوا : « المريد بين الشيخين كالمرأة بين الرجلين » .

وغيرها .. ويلبسه الخرقة ويأخذ عليه العهد او البيعة تشبها ببيعة الرضوان التي قال فيها الله تعالى : ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما (١) ويعلمه الرياضة والمجاهدة والمكابدة ويعينه على قطع العقبات والترقي في الاحوال والمقامات ويفسر له الخواطر والاحلام ويرشده الى مطعمه ولباسه وكلامه ومسلكه . ويحظر عليه الاعتراض والانتقاد لان الشيخ كما يعتقد الصوفية له باب مفتوح الى قلب المريد وباب آخر الى العالم العلوي ! ! والمريد يقوم بتنفيذ اوامر الشيخ وتعاليمه بدقة بالغة ويتولى خدمته ويطلعه على اسراره ويلازمه ملازمة تامة فلا يفارقه واذا جلس في حضرته جلس ساكتا منكس الرأس واذا تكلم معه كان خافض الصوت .

ويعتقد المتصوفة ايضا ان المريد الصادق اذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه يسري من باطن المريد كسراج يقتبس من سراج الشيخ (٢) .

ثم يقول ولا يزال المريد مع الشيخ كذلك متأدبا بترك الاختيار حتى يرتقي من ترك الاختيار مع الشيخ الى ترك الاختيار مع الله تعالى . ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ (٣) .

ويعتقد المتصوفة ايضا ان الشيخ واسطة بين الله ومريديه وانه امين الالهام كما ان جبريل عليه السلام كان امينا للوحي يقول السهروردي : فالشيخ ينقي بذر الكلام عن ثوب الهوى ويسلمه الى الله ويسأل الله المعونة والسداد . ثم يقول فيكون كلامه بالحق من الحق فالشيخ للمريدين امين الالهام . كما ان جبريل امين الوحي . فكما لا يخون جبريل في الوحي لا يخون الشيخ في الالهام . وكما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى فالشيخ مقتد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظاهرا وباطنا لا يتكلم بهوى النفس (٤) .

وكل ذلك مجانب الصواب ، فان الانبياء معصومون ومن زعم ان الشيوخ معصومون مثلهم ، فقد افترى بهتانا واثما مبينا وتشبه بالرافضة الذين يقولون بعصمة أئمتهم !

---

(١) الفتح ١٠ (٢و٣و٤) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٣٨ و ٣٩ و ج ٤ ص ٧٣ .

آداب المريد مع شيخه

وهي كثيرة جدا واقتصرنا على بعض المهمات اعظمها : ان يوقر المريد شيخه ويعظمه ظاهرا وباطنا معتقدا انه لا يحصل مقصوده الا على يده واذا تشتت نظره الى شيخ آخر حرمه من شيخه وانسد عليه الفيض (ومنها) ان يكون مستسلما منقادا راضيا بتصرفات الشيخ يخدمه بالمال والبدن لان جوهر الارادة والمحبة لا يتبين الا بهذا الطريق ووزن الصدق والاخلاص لا يعلم الا بهذا الميزان (ومنها) ان لا يعترض عليه فيما فعله ولو كان ظاهره حراما ولا يقول لم فعلت كذا لان من قال لشيخه لم لا يفلح ابدا فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن كما وقع للخضر (١) مع موسى عليهما السلام ، وفي هذا المعنى قال بعضهم :

وكن عنده كالميت عند مفسل — يقلبه ما شاء وهو مطاوع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره — عليه فان الاعتراض تنازع
وسلم له فيما تراه ولو يكن — على غير مشروع فثم مخادع
وفي قصة الخضر الكريم كفاية — بقتل غلام والكليم يدافع
فلما أبان الصبح عن ليل سره — وسل حسام للمحاجج قاطع
أقام له العذر الكليم وانه — كذلك علم القوم فيه بدائع

(ومنها) ان لا يكون مراده باجتماعه على شيخه شيئا غير التقرب الى الله عز وجل (ومنها) ان يسلب اختيار نفسه باختيار شيخه في جميع الامور كلية كانت او جزئية عبادة او عادة . ومن علامة المريد الصادق انه لو قال له شيخه : ادخل التنور دخل (ومنها) أن لا يتجسس على أحوال الشيخ مطلقا فربما كان في ذلك هلاكه كما وقع لكثير ، وأن يحسن به الظن في كل حال (ومنها) ان يحفظ شيخه في غيبته كحفظه في حضوره ، وان يلاحظه بقلبه في جميع اموره سفرا وحضرا ليحوز بركته (ومنها) أن لا يكتم على شيخه شيئا من الاحوال والخواطر والواقعات والكشوفات والكرامات مما وهبه الله تعالى على يده (ومنها) عدم التطلع الى تعبير الوقائع والمنامات والمكاشفات وان ظهر فلا يعتمد

---

(١) راجع مقالنا عن الخضر تقف على بطلان هذا الكلام .

عليه وبعد عرض الحال على الشيخ يكون منتظرا لجوابه من غير طلب وان سأل أحد الشيخ عن مسألة فاياك والمبادرة بالجواب في حضرته (ومنها) ان لا يفشي لشيخه سرا ولو تشر بالمناشير (ومنها) أن لا يتزوج قط امرأة راى شيخه مائلا الى التزوج بها ولا يتزوج قط امرأة طلقها شيخه أو مات عنها (ومنهـا) ان لا يشير قط على شيخه برأي اذا استشاره في فعل شيء أو تركه بل يرد الامر الى شيخه اعتقادا منه انه أعلم منه بالامور .

وغني عن استشارتـه وانما استشاره تجنبا له ما لم تقم القرائن الواضحة على خلاف ذلك والا فلينصح له مع رعاية كمال الادبِ معـه (ومنها) أن يتفقد عيال شيخه اذا غاب بالاحسان اليهم بالخدمة وغيرها فان ذلك مما يميل قلب شيخه اليه ومثل الشيخ في ذلك الاخوان (ومنها) أنه اذا وجد المريد في نفسه عجبا بأعماله واستحسانا لحاله فليذكره لشيخه ليدله على دوائه فان كتمه ينبت الرياء والنفاق في قلبه (ومنها) أن يعظم ما أعطاه له شيخه ولا يبيعه لاحد ولو أعطاه ما أعطاه فربمـا يكون طوى له فيه سرا من اسرار الفقراء فيما يعنيه في الدارين ويقربه الى حضرته الله عز وجل (ومنها) وهو أهم أحواله كلها ان يجعل راس ماله الصدق في الجد في طلب الشيخ فان الشيوخ كلهم اجمعوا على ان المريد ـ لو صح له كمال الانقياد مع شيخه ربما وصل الى ذوقه حلاوة معرفة الله في مجلس واحد من اول اجتماعه به . « ومنها » ان لا ينقص اعتقاده في شيخه اذا رآه نقص عن مقامه بكثرة نومه في الاسحار مثلا أو قلة ورعه أو غير ذلك فقد يوقع الله من الولي ذلك التقصير في حـال غفلة أو سهو ثم يوجد له اليقظة من تلك الغفلة فيتنبه لما وقع منه زمن غفلته فيتدارك ذلك ما ينبغي تداركه بما يسد ذلك الخلل كل ذلك من الله تعالى ارشاد لمريديه ليصيروا باطلاعهم على ما فرط من استاذهم وعلى ما تداركه به عارفين كيف يخلصون من ورطات زلاتهم اذا وقع لهم ما وقع لاستاذهم وقد يطلع الله الولي بما يوقعه فيه من النقص على كثرة صدقه في مقام الرضا بقضاء الله تعالى وقدره أو قلته فيعرف الله تعالى اولياءه بتغير الاحوال صدقهم معه أو كذبهم ليشكروه تعالى أو يستغفروه اذا انتبهوا فمن الواجب ان يـدوم المريد على اعتقاده في شيخه فقـد قالوا زلات المقربين رفعة لمقاماتهم واستدلوا على ذلك بالاكل من الشجرة ثم

كان بعده الاجتباء والاصطفاء (ومنها) ان لا يكثر الكلام في حضرته ولو باسطه بالكلام وان يعرف اوقات الكلام معه فلا يكلمه الا في البسط بالادب والخشوع والخضوع من غير زيادة على الضرورة بقدر مرتبته ودرجته وحاله مصغيا بتوجه تام الى جواب الشيخ والاحرم من الفتوح وما حرم منه لا يعود اليه مرة أخرى الا نادرا (ومنها) خفض الصوت في مجلس الشيخ لان رفع الصوت عند الاكابر سوء أدب (ومنها) أن لا يجلس متربعا ولا على سجادة امام الشيخ بل ينبغي له في مجلسه التواضع والتصاغر والاشتغال بالخدمة قال بعضهم الخدمة عند القوم من أفضل العمل الصالح (ومنها) ان يبادر باتيان ما أمره به بلا توقف ولا اهمال من استراحة ولا سكون قبل تمام ذلك الامر (ومنها) الفرار من مكاره الشيخ وكراهة ما يكره طبعا وعدم ارتكابها اغترارا بحسن خلقه (ومنها) ان لا يجالس من كان يكره شيخه ويحب من يحبه (ومنها) أن يصبر على جفوته واعراضه عنه ولا يقول لم فعل لفلان كذا ولم يفعل لي كذا ؟ (ومنها) ان لا يجلس في المكان المعد له ولا يلح عليه في أمر ولا يسافر ولا يتزوج ولا يفعل فعلا من الامور المهمة الا باذنه ، واعلم ان الشيخ العارف ربما باسط تلامذته فاذا شم منهم رائحة الصدق والاجتهاد شدد عليهم وأعرض عنهم وأظهر لهم الجفوة لتموت أنفسهم عن الشهوات وتفنى في حب الله وربما اختبرهم هل يصدقون أو لا (ومنها) أن لا ينقل من كلام الشيخ عند الناس الا بقدر أفهامهم وعقولهم (١) .

ومن آداب المريد عند ذي النون المصري قوله : « طاعة المريد لشيخه فوق طاعته لربه » (٢) .

وان اتباع المرشدين وملازمة الصالحين يساعد على اكتساب العلم وخاصة للمبتدئين الذين لا يستطيعون الاعتماد على انفسهم في طلب العلم . وذلك شريطة اختيار المربي الصالح والمرشد الصادق الناصح وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير المعلمين وامام الهادين باذن الله والمرشدين . الا انه هناك محاذير من الشيخ ومن المريد .

فالمحذور بالنسبة للمريد ان يعتقد في شيخه مالا يقره الاسلام

(١) من كتاب تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب من ص ٥٢٨ الى ٥٣١ .
(٢) في التصوف الاسلامي وتاريخه للدكتور عفيفي ص ٧٨ نقلا عن تذكرة الاولياء .

كمعرفة الغيب والاتصال بالله في السماء والعصمة من الخطأ وان يتصوره في الصلاة والذكر وان يحمل صورته الشخصية في جيبه وكلما وقع عليها صعق . وقد رأينا ذلك بانفسنا عندما كنا في ضيافة احد الشيوخ مما هو شرك ووثنية !

اما المحذور بالنسبة للشيخ ان يصيبه التكبر والغرور من اقبال الناس عليه وكثرة المريدين فاذا سار في الطريق سار وراءه منهم الكثيرون . واذا دخل مكانا احتاطوه واحاطوه بهالات التكبير والتعظيم . واذا فرغ من صلاة او دعاء تسابقوا حبوا لتقبيل يديه في ذلة وخضوع(١) والنفوس مجبولة على محبة الشهرة والتعظيم والمدح وما دخل الغرور رأسا الا أفسده ! علاوة على أكل الشيخ أموال الناس بالباطل ، وخاصة الفقراء منهم ، مع العلم بأن الاسلام يحرم أخذ الاجرة على العلم ، اذا كان العالم مكتفيا وليس بحاجة الى مال فكيف الحال اذا أصبح من كبار الموسرين من مال الفقراء والعمال ؟ ! عن طريق ادعاء تعليمهم وقد رأينا في غير هذا الموضع مبلغ بعد ما يلقنه لطلابه عن الاسلام ولا أدري كيف لا تتدخل الدول الاسلامية الفرعية لحماية شعوبها من مثل هذا الاستغلال والغش والتزييف ! !

والمريد في شغل شاغل طوال وقته عن امور الدنيا من اكل وشرب ونظافة قال الشيخ سديد الدين ابو الفخر الهمداني (كنت ببغداد عند ابي بكر الشروطي فخرج الينا فقير من زاويته عليه ثوب وسخ فقال له بعض الفقراء : لم لا تغسل ثوبك . فقال : يا اخي ما اتفرغ (٢) .

ومما لا ريب فيه ان ذلك غاية الكلف والمشقة وقد قال الله سبحانه وتعالى : لا يكلف الله نفسا الا وسعها (٣) .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « خذوا من الاعمال ما تطيقون فان الله تعالى لا يمل حتى تملوا » (٤) .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا (٥) .

---

(١) لم يرد في الشريعة نص على تحريم تقبيل اليد كما انه لم يرد نص في الحث عليه وقد اختلف العلماء في جوازها والاكثر على انها جائزة بشرط ان لا تترك سنة المصافحة التي حض عليها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا ينحني المقبل لمن يقبل يده ، كأنه يركع له ويسجد !

والمنهي عنه في الاسلام هو الذلة والخنوع لقول الله تعالى : ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولم يعرف عن احد من كبار الصحابة انه كان يقبل يد الرسول . (٢) قوت القلوب ١ ص ٧ — ٣٤ (٣) البقرة ٢٨٢ (٤) رواه البخاري. (٥) متفق عليه .

وعن انس رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط الى بيوت ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسألون عن عبادته فلما اخبروا كأنهم تقالوها . قالوا : اين نحن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنب وما تأخر ؟ وقال احدهم : اما انا فأصلي الليل ابدا وقال الآخر : وانا اصوم الدهر ولا افطر . وقال آخر : وانا اعتزل النساء ولا اتزوج ابدا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال انتم الذين قلتم كذا وكذا اما والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له ولكني اصوم وافطر واصلي وارقد واتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني (١) .

وبهذا الهدي القويم استطاع الاسلام ان يكون دين الحياة ويكون نظاما صالحا للمجتمعات مهما اختلفت الشعوب وتغيرت الأزمان . ورحم الله عمر بن الخطاب فقد كان يكره لامته التنطع في الدين . فقد روي ان جماعة من الصحابة انقطعوا للعبادة ، فخشي ان يقلدهم الناس فتثبط حركة العمران . ويختل النظام الاجتماعي . فجعل ينهى الناس عن التنطع وحذرهم الابتداع في الدين(٢) واخبر عمر رضي الله عنه برجل يصوم الدهر فجعل يضربه بمخفقته وهو يقول كل يا دهر كل يا دهر .

وعن انس وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن الوصال ـ أي صوم الدهر ـ وقال : انما يفعل ذلك النصارى (٣)

ورأى عمر بحضرته يوما شابا منكسا رأسه تخشعا فقال له : ياهذا ارفع رأسك فان الخشوع لا يجوز ان يزيد على مافي القلب منه . فمن اظهر للناس خشوعا فوق مافي قلبه فانما اظهر للناس نفاقا على نفاقه وفي رواية انه خفقه بالدرة وقال له : لا تمت علينا ديننا اماتك الله !

فسلام على عمر في الخلفاء الراشدين فقد استطاع ان يحافظ على علو مجد الاسلام كما جاء به صاحب الرسالة العظيم محمد عليه افضل الصلاة والتسليم .

ولا بد قبل ختام هذا البحث من ارسال صيحة رثاء وأسف على ما سموه « آداب المريد مع شيخه » وقد ذكرنا بعضها سابقا ، وأغلبها

(١) اخرجه الشيخان والنسائي . (٢) اخرجه ابو داود . (٣) رواه البخاري ومسلم .

مما لا يقره عقل ولا شرع ، ويتنافى مع التربية الاسلامية التي تدعو الى العزة : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) . وقد استعاذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الذلة في حديث متفق عليه .

ولا شك ان الغاية من هذه الآداب القضاء على الجيل المسلم بحيث يصبح ميتا بين الاحياء ، يقلبه شيخه كما يقلب الغاسل موتاه ، لتخديره وابتزاز امواله ، وتسخيره لخدمته مما كان له اعظم الاثر في هدم المجد الاسلامي مما يدعو الدول الواعية للتدخل ومحاكمة هؤلاء السفاكين كمجرمي حرب !

الفقـر

للفقر عند الصوفية معنيان .

١ ـ فقر عام وهو حاجة كل مخلوق الى خالقه سبحانه وتعالى .

٢ ـ فقر خاص وهو حاجة الانسان للمال الذي يعتبر وسيلة لتأمين العيش وتدارك الحاجات .

والفقر في المعنى الثاني هو موضوع بحثنا الآن .

قال ابو بكر المصري « الفقير الذي لا يملك ولا يملك »(١) .

وقال ابو حامد الغزالي « كل فاقد للمال فانا نسميه فقيرا» (٢) .

والفقر من اسس التصوف وشروطه لان المال بزعمهم يشغل السالك عن الله ويدعوه لتلبية حاجة النفس من اللذات والشهوات ولذلك سمي المتصوفة في بلاد الشام فقراء .

يقول رويم « التصوف مبني على ثلاث خصال ، التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك الفرض والاختيار » (٣) .

لا ادري كيف يتحقق البذل والايثار مع الكسل والتواكل والتمسك

(١و٢و٣) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ١ ص ٢٨٢ و ج ٤ ص ١٦٤ و ج ١ ص ٢٨١ .

بالفقر ؟ والقول بترك الاختيار من اول الاجرام والجهل بفهم الدين الذي اعلن عن حرية الاسلام واختياره ومسؤوليته والآيات الدالة على ذلك كثيرة: (لمن شاء منكم ان يستقيم !) (لكل امرىء بما كسب رهين) . (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) .

وفي الحديث الصحيح : « .. احرص على ما ينفعك ولا تعجز !! » .

والتمسك بالفقر تحريم لما أحل الله وتجهيل للصحابة الذين كان كثير منهم من الاغنياء !

وقيل « نهاية الفقر مع شرفه هو بداية التصوف » (١) .

ويستعيض الصوفي عن المال بالافتقار الى الله قال الواسطي « الافتقار الى الله اعلى درجة المريدين والاستغناء بالله اعلى درجة الصديقين » (٢) .

ثم لا يضير الصوفي بعد ان يصبح فقيرا ان يكون عالة على الناس ! فقد روي أن عوف بن عبد الله المسعودي كان له ثلثمائة وستون صديقا يكون عند كل واحد منهم يوما وآخر كان له ثلاثون صديقا يكون عند كل واحد يوما وآخر كان له سبعة اخوان يكون عند كل واحد يوما من ايام الاسبوع » (٣) !!

ولا يضير الصوفي ايضا ان يسأل الناس قال السهروردي : فمن لم يرزق حال الفتوح فله حال السؤال والكسب بشرط العلم . فأما السائل مستكثرا فوق الحاجة لا في وقت الضرورة فليس من الصوفية بشيء » (٤) .

وقال الصنعاني « وقال قوم من المتصوفة اليد الآخذة افضل من المعطية مطلقا . وقال ابن قتيبة : ما أرى هؤلاء الا قوما استطابوا السؤال فهم يحتجون للدناءة» (٥) ! !

والاسلام دين لم يشجع على الفقر وانما مسح بيد كريمه رحيمة على قلوب الفقراء الذين بقوا على فقرهم رغم جهدهم ، وعجزوا عن الجهاد لفاقتهم عزاء لهم وتطييبا لانفسهم فقد جعل الله ــ سبحانه ــ

(١و٢و٣و٤) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ١ ص ٢٨٤ و ج ٢ ص ١٥١ و ١٥٤ و ١٦٠ (٥) سبل السلام ج ٢ ص ٢٣٣

الناس درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، فان المساواة المطلقة تجعل نظام المجتمع مختلا لا يستقيم بحال من الاحوال . وقد اثنى تعالى على الفقراء العاملين الصابرين فقال : (وللفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا . وما تنفقوا من خير فان الله به عليم » (١) .

ان الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم عرف مافي الفقر من شر على المجتمع والحضارة والعمران واضعاف لشأن الامة وخطر على النفوس . فكان يرفع يديه الى السماء ويقول اللهم اني اعوذ بك من الفقر(٢) وكان يقول « نعم المال الصالح للرجل الصالح (٣) .

والله سبحانه وتعالى لم يشأ للمؤمنين ان يكونوا فقراء تعساء متخلفين، وانما اراد لهم ان يكونوا اغنياء شاكرين قال تعالى ممتنا على عباده « ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل اكم انهارا » (٤) .

وقد سمى الله سبحانه وتعالى المال خيرا في مواطن كثيرة من القرآن الكريم فقال : كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين (٥) .

وقال : يسألونك ماذا ينفقون . قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم(٦) .

وقد حث الاسلام على العمل لأنه وسيلة للغنى وكسب العيش وحذر من السؤال لان صاحبه يعرض نفسه للذل ويقنع بالفقر مع قدرته على العمل قال عليه الصلاة والسلام : لان يأخذ احدكم حبله فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من ان يسأل الناس اعطوه او منعوه » (٧) .

وقال ايضا « لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس

---

(١) بقرة ٢٧٢ (٢) الحديث اخرجه ابو داود والنسائي وقال محدث الديار الشامية محمد ناصر الدين الالباني في المشكاة : اسناده جيد . (٣) رواه احمد واسناده حسن كما جاء في تحقيق مشاكاة المصابيح . (٤) نوح ١٢ (٥) بقرة ١٨٠ (٦) بقرة ٢١٥ . (٧) رواه البخاري ــ سبل السلام ج ٢ ص ٢٣٨ .

في وجهه مزعة لحم » (١) .

وقال « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله » (٢) وقد قال المفسرون ان اليد العليا هي يد المعطي واليد السفلى يد الآخذ او السائل وذلك على خلاف بعض المتصوفة » (٣) .

ويروي الصوفية في معرض الفقر قصة ابراهيم بن ادهم وانه كان من ابناء الملوك فخرج يوما متصيدا فأثار ارنبا وبينما هو في طلبه هتف به هاتف يا ابراهيم الهذا خلقت ام بهذا امرت ثم هتف به هاتف من قربوس سرجه . والله ما لهذا خلقت ولا بهذا امرت فنزل عن دابته وصادف راعيا لابيه فأخذ جبته وكانت من صوف فلبسها ثم دخل البادية (٤) .

وقد اعدنا رواية هذه القصة الطريفة لأن فيها شبها كبيرا بقصة بوذا ولذلك نرجح بانها مقتبسة عن البوذية .

فقد كان بوذا « سدهارتا » من ابناء الملوك فهجر ملكه وماله وجاهه وزوجته وطفله وارتضى لنفسه حياة الزهد والفقر . فخرج هائما على وجهه يصحبه خادمه « تشنا » وكان اول عمل قام به لما بزغ الصباح أن خلع عنه ثيابه الملكية وحز بسيفه شعر رأسه ثم اعاد حصانه وخصلة شعره مع خادمه « تشنا » وارتدى رداء اصفر الالوان « الخرقة شعار البوذيين » وغدا من تلك اللحظة ناسكا جوالا لا يملك من حطام الدنيا سوى طاس وموسى وزنار واناء ماء » (٥) .

وقد كثر المتصوفة في كتبهم من ذكر الاحاديث الموضوعة او الضعيفة التي تشجع على الفقر وتحث على ترك المال . وقد تخيرنا بعضها مما رواه الغزالي في الاحياء وخرجها العراقي وهي :

١ ــ قوله عليه الصلاة والسلام لبلال : الق الله فقيرا ولا تلقاه غنيا(٦) .

قال العراقي : رواه الحاكم في كتاب علامات اهل التحقيق من حديث

---

(١) متفق عليه . (٢) متفق عليه واللفظ للبخاري . (٣) سبل السلام ج ٢ ص ٢٣٣ . (٤) الرسالة القشيرية ص ٨ . (٥) الحكماء الثلاثة ص ٧٥ .
(٦) احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٦٧ .

بلال ورواه الطبراني من حديث ابي سعيد بلفظ مت فقيرا ولا تمت غنيا وكلاهما ضعيف (١) .

٣ ـ حديث خير الامة فقراؤها واسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها(٢)

قال العراقي : لم اجد له اصلا (٣) .

٣ ـ حديث ان لي حرفتين اثنتين فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد أبغضني الفقر والجهاد (٤) قال العراقي : لم اجد له اصلا(٥) .

٤ ـ حديث الفقر ازين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس(٦) .

قال العراقي رواه الطبراني من حديث شداد بن اوس بسند ضعيف والمعروف انه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن انعم : رواه ابن عدي في الكامل هكذا (٧) .

٥ ـ حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رجل فقير فلم ير له شيئا فقال : لو قسم نور هذا على اهل الارض لوسعهم (٨) .

قال العراقي : لم اجده (٩) .

والواقع ان الفقر تدعو له النصرانية اكثر مما يدعو اليه الاسلام ، فقد جعلت النصرانية الفقر من شروط الايمان الصحيح وذلك ليس من الاسلام في شيء ، فقد جاء في انجيل متى : لا يستطيع احد ان يعبد ربين ... لا تقدرون ان تعبدوا الله والمال . فلهذا اقول لكم لا تهتموا لانفسكم بما تأكلون ولا لأجسادكم بما تلبسون . انظروا الى طيور السماء فانها لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في هراء وابوكم السماوي يقوتها افلستم انتم افضل منها » (١٠) .

وجاء في انجيل لوقا : طوبى لكم أيها المساكين فان لكم ملكوت الله . طوبى لكم ايها الجياع الآن فانكم ستشبعون . طوبى لكم ايها الباكون الآن فانكم ستضحكون ، لكن الويل لكم أيها الاغنياء فانكم قد نلتم عزاءكم ، والويل لكم أيها المشبعون فانكم ستجوعون ، الويل لكم أيها الضاحكون

---

(١) المغني ج ٤ ص ١٦٧ (٢) احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٦٨ (٣) المغني ج ٤ ص ١٦٨ . (٤) احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٦٨ . (٥) المغني ج ٤ ص ١٦٨ . (٦) احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٦٩ (٧) المغني ج ٤ ص ١٦٩ (٧) احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٧١ (٩) المغني ج ٤ ص ١٧١ (١٠) التصوف عند العرب ص ٥١ .

الآن فانكم ستنوحون وتبكون » (١) .

والديانة البوذية هي بحق ديانة الفقر والفقراء . فالراهب البوذي عليه ان يخرج من بيته الى حيث لا مأوى ولا بيت لان الملكية قيد واستعباد (٢) .

وكان بوذا يقول : ان الذي عنده اولاد ينصرف الى اولاده . والذي يملك أبقارا ينصرف الى أبقاره ، كل ما نملكه يسبب لنا الهموم . ولكن الذي لا يملك شيئا ليس لديه هم (٢) .

وقد حمل الدكتور زكي مبارك حملة شديدة على الفقر عند المتصوفة وعده من الضعف في اخلاقهم فقال : ان جانب الضعف في الاخلاق الصوفية انها تجعل الفقر مما يجب ان يرغب فيه جميع الناس ولو عقل الصوفية لعرفوا ان الفقر خلقة بشعة لا يطمع في التعرف اليها رجل كريم ! الفقر هو البلية العظمى والنكبة الكبرى والبلاء الماحق والشر الملعون . الفقر هو العورة التي يفتضح بها الرجال الفقر هو المقتل الذي يصرع به الابطال ، الفقر هو اقبح الصفات التي تنزه عنها الله ذو الجلال الفقر فضيلة سخيفة لا يدعو اليها الا رجل سخيف . فالدعوة الى الفقر تنافي الخلق وتنافي الادب وتنافي الايمان ، الدعوة الى الفقر هي السوس الذي قضى على عظام المسلمين وجعلهم من اذل الشعوب بعد ان كانوا من اقوى الاعزاء . الدعوة الى القناعة رذيلة انسانية لا يجترمها الا غافل او مخبول . وكيف نقنع وقد هدانا الله الى اسرار الوجود فعرفنا ان الخير لا نهاية له وان النعيم اعظم واكبر من ان تقام له حدود .. الصوفية قوم كسالى وادعون ذهب بهم الجوع الى اودية الموت (٤) .

---

(١) التصوف عند العرب ص ٥٠ (٢) الحكماء الثلاثة ص ٨٦ (٣) التصوف عند العرب ص ٦٤ (٤) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ٢ ص ١٨٠ .

الخرقــة

الخرقة عند الصوفية عبارة عن قميص يلبسه الشيخ للمريد .

وقد جرت عادة الصوفية ان يلبسوا اتباعهم الخرقة وهي مـن علائمهم وشاراتهم يلبسها الشيخ بيده للمريد في مقدمة الطريق .

يقول شهاب الدين السهروردي : ان الخرقة خرقتان . خرقة الارادة وخرقة التبرك . فخرقة الارادة هي للمريد الحقيقي وخرقة التبرك هي للمتشبه ومن تشبه بقوم فهو منهم . وسر الخرقة ان الطالب الصادق اذا دخل في صحبة الشيخ وسلم نفسه صار كالولد الصغير مع الوالد يربيه الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى بصدق الافتقار وحسن الاستقامة... ويكون القميص الذي يلبسه المريد خرقة تبشر المريد بحسن عناية الشيخ فيعمل عند المريد عمل قميص يوسف عند يعقوب عليه السلام (١) .

وقد قيل : لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المريد وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه وقيل ايضا : لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم ودخوله في حكم الشيخ دخوله في حكم الله ورسوله ، واحياء لسنة المبايعة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .. ففي الخرقة معنى المبايعة . والخرقة عتبة الدخول في الصحبة (٢) .

وقيل ايضا : المريد الصادق اذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه يسري من باطن الشيخ حال الى باطن المريد . كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقن باطن المريد . ويكون باطن الشيخ مستودع نفائس الحال وينتقل الحال من الشيخ الى المريد بواسطة الصحبةوسماع المقال ... والخرقة مقدمة ذلك (٣) .

ويرجع الصوفية لبس الخرقة الى ابراهيم عليه السلام ويقولون ان ابراهيم الخليل عندما القي في النار جرد من ثيابه وقذف في النار . عريانا فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه . فلما مات ابراهيم ورثه اسحق . فلما مات ورثه يعقوب . فجعل يعقوب هذا القميص في تعويذة وجعله في عنق يوسف فكان لا يفارقه ، فلما

---

(١) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٤٨ .

(٢و٣) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٣٦ و ٣٨

القي في البئر عريانا جاءه جبريل والبسه اياه . ويعتقد الصوفية ان القميص كان فيه ريح من الجنة وبذلك تكون الخرقة عند المريدالصادق(١) وكل ذلك لا أساس له من الصحة .

ويعتقد ابن عربي ان الخرقة كان الخضر يلبسها الى اولياء الله بيـده. قال : فقد كنت لبست خرقة الخضر من يد صاحبنا تقي الدين عبدالرحمن ابن علي بن ميمون بن آب النورزي ولبسها هو من يد صدر الدين شيخ الشيوخ بالديار المصرية وهو محمد بن حموية وكان جده قد لبسها من يد الخضر عليه السلام ومن ذلك الوقت قلت بلبس الخرقة والبستها الناس لما رايت الخضر قد اعتبرها (٢) .

والصوفية يعتقدون بوجـود الخضر حيـا بهيئته التي كان عليهـا وجسده . وهو عندهم من الاقطاب الذين لا يموتون . وقد اكثر اشياخ الصوفية من ذكر لقاآتهم بـه . وذلك من جملة الاوهام التي يتصورونها ويتكلمون بها .

قال صاحب كتاب اسنى المطالب ، ليس في السنة ما يدل على حياة الخضر ولا على موته(٣) ولم يصح فيحياته شيء ولا اجتماعه بالياس كل عام. ويلزم عليه ان يكون الياس حيا ولم يقل هذا احد من اهلالاسلام(٤)

وارجع بعض المتصوفة لبس الخرقة الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقالوا : بانه البسها الحسن البصري واخذ عليه العهد بالتزام الطريقة واتصل ذلك عنهم بالجنيد من شيوخهم (٥) .

وكل ذلك كذب واختلاق .

ويفضل المتصوفة الخرقة الزرقاء الا انهم يتركون الحرية للشيخ في الباس المريد ما شاء من الوان .

ومن عادة الصوفية اذا تحرك أحدهم في السماع فوقعت منه خرقة او نازلة وجد ورمى عمامته الى الحادي ان يوافقه الحاضرون في كشف الرأس . واذا مزق الواجد الصادق الخرقة عن غلبة سلبت اختيـاره

---

(١) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٤٨ . (٢) الفتوحات المكية ج١ ص ٢٤٢ . (٣) بل السنة تشير الى موته راجع مبحث الخضر في هذا الكتاب. (٤) اسنى المطالب ص ١١١ (٥) مقدمة ابن خلدون ص ٣٢٣ .

تقاسموها بينهم ويقولون في ذلك :

بما ان تمزيق الخرقة اثر من آثار الوجد . والوجد أثر من آثار فضل الحق فصارت الخرقة متأثرة بأثر رباني من حقها ان تفتدى بالنفوس . وتترك على الرؤوس اكراما واعزازا (٢) ويرد المتصوفة عادة تمزيق الخرقة الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، كما يرده بعضهم الى الرسول ويقولون بأنه مزق رداءه على اصحابه اربعمائة قطعة (٢) .

وكل ذلك كذب واختلاق وزور وبهتان .

ويروي السهروردي ان الفقهاء والصوفية بنيسابور اجتمعوا في دعوة فوقعت الخرقة وكان شيخ الفقهاء الشيخ ابو محمد الجويني وشيخ الصوفية الشيخ ابو القاسم القشيري فقسمت الخرقة على عاداتهم فالتفت الشيخ ابو محمد الى بعض الفقهاء وقال سرا : هذا سرف واضاعة للمال . فسمع ابو القاسم القشيري ولم يقل شيئا حتى فرغت القسمة ثم استدعى الخادم وقال : انظر في الجمع من معه سجادة خرق ائتني بها فجاءه بسجادة ثم أحضر رجلا من أهل الخبرة فقال هذه السجادة بكم تشترى في المزاد . قال : بدينار . قال : لو كانت قطعة واحدة كم تساوي . قال نصف دينار . ثم التفت الى الشيخ ابي محمد وقال : هذا لا يسمى اضاعة مال (٣) .

بهذه الاساليب السخيفة المتناقضة يثبتون شعوذاتهم واضاليلهم .

ولبس الخرقة لم يكن زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وليس له اصول في الشريعة الاسلامية وانما هي عادة صوفية نقلوها مع ما نقلوه من عادات وافكار الديانات السالفة كالبوذية والنصرانية ! !

يقول صاحب كتاب أسنى المطالب رحمه الله :

حديث لبس الخرقة عن الصوفية وكون الحسن البصري لبسها من علي . قال ابن دحية وابن الصلاح انه باطل وقال ابن حجر ليس في شيء من طرقها ما يثبت ولم يرد عنه أنه ألبس الخرقة على الصورة المعهودة لا في صحيح ولا ضعيف ولم يصح اجتماع الحسن بعلي

(١و٢و٣) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٢٤٨ و ٢٥٥ و ٢٥٠

ولا اخذه عنه باتفاق اهل الحديث . ومن لبسها والبسها منهم فانما اعتمد سندها عن طريق الصوفية تبركا لديهم لا من طريق اهل الحديث (١) .

وقد قرروا أن هذه المرقعة لا تلبس الا من يد شيخ . وجعلوا لها اسنادا متصلا كله كذب ومحال . وقد ذكر محمد بن طاهر في كتابه ، فقال : باب السنة في لبس الخرقة من يد الشيخ فجعل هذا من السنة ، واحتج بحديث أم خالد ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أتى بثياب فيها خميصة سوداء ، فقال : من ترون أكسو هذه ؟ فسكت القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ائتوني بأم خالد ، قالت : فأتى بي فألبستها بيده . وقال : أبلى وأخلقى (٢) .

وانما ألبسها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكونهـا صبية . وكان أبوها خالد بن سعيد بن العاص ، وأمها همينة بنت خلف قد هاجروا الى ارض الحبشة فولدت لهما هناك أم خالد ، واسمها أمة ثم قدموا فأكرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم لصغر سنها ، وكما اتفق فلا يصير هذا سنة . وما كان من عادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الباس الناس ولا فعل هذا أحد من أصحابه ولا تابعيهم .

ثم ليس من السنة عند الصوفية أن يلبس الصغير دون الكبير ولا أن تكون الخرقة سوداء بل مرقعة أو فوطة ، فهلا جعلوا السنة لبس الخرق السود كما جاء في حديث أم خالد . وذكر محمد بن طاهر في كتابه فقال: باب السنة فيما شرط الشيخ على المريد في لبس المرقعة ، واحتج بحديث عبادة « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الواجب الطاعة على البيعة الاسلامية اللازمة (٣) .

وفي أعتقادي أن لبس الخرقة مأخوذ عن الديانة البوذيـة لما ذكر صاحب كتاب التصوف عند العرب من ان من شروط الانخراط في سلك الجماعات البوذية الزهد بالدنيا وحياة الفقر وحلق الرأس ولبس الخرقة الصفراء (٤) .

---

(١) اسنى المطالب ص ١٦٨ . (٢) رواه البخاري في كتاب اللباس من صحيحه باب « الخميصة السوداء » . (٣) تلبيس ابليس ص ٢١٤ (٤) التصوف عند العرب ص ٧٢ .

الـذكـر

لقد جاءت الآيات الكثيرة في الحث على الذكر .

وقد وردت الاحاديث الكثيرة ايضا في الحض عليه ، وحددت كيفيته وصيغه للمسلم وبينت الغاية منه في القرآن ، فلا يجوز للمسلم اختراع اذكار من عنده ، واتخاذ أوضاع للذكر مخالفة للسنة وعمل الصحابة .

وكل ذلك لم يتقيد به أكثر المتصوفة ، فمنهم من جعله ذكرا قلبيا اعتمادا على حديث « خير الذكر الخفي ، وخير الرزق ما يكفي » وهو حديث غير صحيح كما جاء في أسنى المطالب .

ومنهم من جعله صياحا وقد نهى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك ، فعن أبي موسى قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر ، فجعل الناس يجهرون بالتكبير ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، انكم ليس تدعون أصم ولا غائبا ، انكم تدعون سميعا قريبا ، وهو معكم .. » الحديث رواه مسلم .

ومنهم من جعله مقرونا بالرقص والصراخ مستدلين بقوله تعالى : (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) مما لم يقل به مفسر من المفسرين ولا عالم من العلماء وراح بعضهم يفتري كذبا على أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، بأنه رقص لما بلغه أن الله راض عنه فهل هو راض عنه مما لا أصل له من الحقيقة .

الحقيقة أن اكثر المتصوفة ادخلوا على الذكر امورا ابتعدت به عن جوهره وفوائده وآدابه منها مزج الذكر باللهو والموسيقى كالدف والشبابه . والذكر بأصوات بلهاء مثل « هـا » و « هي » (١) ومرافقة الذكر بشدة الحركة والرقص .

وقد قال الشيخ يوسف الدجوي وهو من علماء الازهر في ذلك .

ان الذين يعملون هذه الاعمال المنكرة داخلون فيمن قال الله فيهم « وما كانت صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » ومن الذين اتخذوا آيات الله هزوا وسيقال لهم : « ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون »(٢) .

(١و٢) مجلة نور الاسلام مجلد ٥ ص ٣٧٥ و ٣٧٦ .

وسئل الامام ابو بكر الطرطوشي رحمه الله : ما يقول سيدي الفقيه في مذهب الصوفية الذين يجتمع منهم جماعة فيكثرون من ذكر الله وذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم انهم يوقعون بالقضيب على شيء من الاديم . ويقوم بعضهم ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه ويحضرون شيئا يأكلونه . هل الحضور معهم جائز ام لا افتونا يرحمكم الله . فقال في الجواب :

هذه الاشياء كلها بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسول الله واما الرقص والتواجد فأول من احدثه اصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار فقاموا يرقصون حواليه ويتواجدون . فهو دين الكفار وعباد العجل ، واما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله ، وانما كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع اصحابه كأن على رؤوسهم الطير من الوقار (١) .

وقال الامام ابن قدامه جوابا عن مثل هذا السؤال : ان فاعل هذا مخطىء ساقط المروءة . والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة في الشرع غير مقبول القول ، فان هذا معصية ولعب ذمه الله تعالى ورسوله وكرهه أهل العلم وسموه بدعة ، ونهوا عن فعله . ولا يتقرب الى الله سبحانه وتعالى بمعاصيه ولا يطاع بارتكاب مناهيه ، ومن جعل وسيلته الى الله سبحانه معصيته كان حظه الطرد والابعاد ، ومن اتخذ اللهو واللعب دينا كان كمن سعى في الارض بالفساد ومن طلب الوصول الى الله سبحانه من غير طريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسنته فهو بعيد من الوصول الى المراد » (٢) .

وقد حدثني من اثق به من رجالات حماه ان الجنرال الفرنسي « سراي » عندما زار حماه اراد التعرف على معالمها فرافقه احد الوجهاء المثقفين ، وعندما وصلا الى احدى الزوايا شاهدا فيها احدى حلقات الذكر والذاكرون وقوفا يتمايلون ويرقصون فتعجب الجنرال وسأل المرافق . هل هذا من الدين الاسلامي فأجابه المرافق النبيه بسرعة : لا أبدا انه ملهى « تياترو » تحت ستار الاسلام البريء من هذه الخرافات والمساخر !

(١و٢) نور الاسلام مجلد ٥ ص ٣٧٨ .

ويقول الدكتور زكي المبارك : الرقص والتواجد في حلقات الاذكار لايمكن رجعه الى اصول اسلامية صحيحة وانما هو اسلوب قديم عرفه الناس في الديانات القديمة وكانت له صور شائعة في عهود الوثنية ، فبعض الآلهة كانوا ظرفاء ويحبون لاتباعهم ان يتقربوا اليهم بالرقص والغناء والمجـون » (١) .

والاسلام يعتبر قراءة القرآن من الذكر لقوله تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (٢) ومن آداب سماع القرآن الاستماع والانصات لقوله تعالى : واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون(٣) .

وقد امر الله سبحانه وتعالى المؤمنين ان يتدبروا آياته ويفكروا في معانيه قال تعالى « افلا يتدبرون القرآن » (٤) والقراء زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا هم علماء الشريعة وفقهاءها وكانوا اذا جلسوا الى رسول الله يتعلمون كأن على رؤوسهم الطير ، وكانوا اذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن حتى يعرفوا معانيهن والعمل بهن (٥) .

وافضل الذكر كما ورد كلمة « لا اله الا الله » واذا تفكرنا فيهـا وجدناها تنطوي على فيض زاخر من المعاني الروحية ، يحسن بالذاكر ان يستعرضها عند التلفظ بها . منها ان الله سبحـانه وتعـالى منفـرد بالربوبية وحده لا شريك له وهو المعبود وكل من دونه فان متهافت وزائل متحول ، وان الله سبحانه عادل ومنتقم وموفق ومعين وناصر ورحيم وقادر . فلا يصح توجيه شيء من العبادات كالحلف والنـذر والدعاء والاستغاثة الا له وحده .

فاذا فكر في هذه المعاني تصاغرت في عينه الدنيا وتهافت الجـاه والمال والسلطان . واحدثت هذه المعاني انقلابا جذريا في نفسه واخلاقه ، فيرق طبعه وتلين نفسه وتسمو اخلاقه ويرتاح ضميره ويصبح مسلما حقا يراقب الله في كل حركة من حركاته وسكناته ولا يتم عمل الفـكر عند الغالبية من الناس الا اثناء السكون والهدوء . وقد روي عن عبد الله ابن عروة بن الزبير انه قال : قلت لجدتي اسماء بنة ابي بكر الصديق

---

(١) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ١ ص ٣٨٤ .
(٢) حجر ٩ (٣) اعراف ٢٠٤ (٤) محمد ٢٤ ــ نساء ٨٢ .
(٥) المدخل الفقهي العام ص ٦٤ نقلا عن مقدمة تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣ .

رضي الله عنهما . كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعلون اذا قرىء عليهم القرآن ، قالت : كانوا كما وصفهم الله تعالى تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قال : قلت : ان اناسا اليوم اذا قرىء عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه . قالت : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم (١) .

وروي ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مر برجل من اهل العراق يتساقط قال : ما لهذا قالوا : انه لما قرىء عليه القرآن وسمع ذكر الله تعالى سقط . فقال ابن عمر رضي الله عنهما : انا لنخشى الله وما نسقط ، ان الشيطان يدخل في جوف احدهم . ما كان يصنع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك (٢) .

ومن عجيب أمر المتصوفة أنهم يذكرون بالاسم المفرد : الله ، الله ، الله ، ويتركون الذكر : بلا اله الا الله لحجج واهية منها ما ذكر عن الشبلي أن شابا سأله : يا أبا بكر لم تقول : الله ، ولا تقول لا اله الا الله ؟ ! فقال الشبلي : استحي ان اوجه اثباتا بعد نفي . فقال الشاب : أريد حجة أقوى من هذه . فقال : أخشى اني أوخذ في كلمة الجحود ولا أصل الى كلمة الاقرار (٣) .

فقال الامام ابن الجوزي رحمه الله معلقا على هذا الكلام السخيف : انظروا الى هذا العلم الدقيق ! ! فان رسول الله صلى الله عليه

(١و٢) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٢١٨

(٣) ومن جهل الشبلي بالتوحيد قوله نخاطب الله سبحانه :

ذكرتك لا اني نسيتك لمحة وأيسر ما في الذكر ذكر لساني
وكدت بلا وجد اموت من الهوى وهام علي القلب بالخفقان
فلما أراني الوجد انك حاضري شهدتك موجودا بكل مكان

ان القول بان الله تعالى موجود في كل مكان كما يقول اكثر المسلمين ـ ويالالاسف ـ كلام مخالف للايمان وقد يؤدي ذلك الى القول بوحدة الوجود !

زد على ذلك ان المكان محدث وانه محدود ، والله تعالى غير محدث وغير محدود ، وهو بكل شيء محيط ، والقول بأنه في كل مكان يجعله محاطا : تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . وقد انتبه الشيخ محمد الحامد الى خطورة القول بأن الله في كل مكان فقال : « ... وعلى هذا فالقول بان الله حال في كل مكان ، قول باطل عاطل لا يقول به الا أهل الحلول الكافرون ، وهو والقول بوحدة الوجود من باب واحد ، فكلاهما كفر وزندقة ، والعلماء براء منهما جميعا . راجع حاشية « الرد على الزنادقة والجهمية للامام احمد » بتحقيق المؤلف ص ٧٧ .

وآله وسلم كان يأمر بقول : لا اله الا الله ويحث عليها ، وفي الصحيحين، عنه انه كان يقول دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وكان يقول اذا قام من الليل : لا اله الا انت ، وذكر الثواب العظيم لمن يقول : لا اله الا الله ، فانظروا الى هذا التعاطي على الشريعة واختيار ما لم يختره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١) .

هذا ـ وان الذكر بالاسم المفرد ، ذكر مبتدع ، لم يرد في اذكار السنة الصحيحة التي تولت شرح كيفية الذكر كما تولت كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالصلوات الابراهيمية فقط .

ويحتج الصوفية على صحة الذكر بالاسم المفرد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تقوم الساعة على احد يقول : الله (٢) » .

وقد جهلوا ان معنى الله هنا : توحيد الله كما في رواية لاحمد : « لا تقوم الساعة على احد يقول : « لا اله الا الله » .

والايمان بوجود الله سبحانه لا يكفي ، فقد كان العرب في الجاهلية يعتقدون ذلك كما جاء في القرآن على لسانهم : (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ؟ ليقولن **الله**) بل لا بد من الايمان بالتوحيد والعبودية لله وحده وهذا معنى قوله : (**لا** اله الا الله) .

وكل هذه الادلة لا تقنع الصوفية ، ويستدلون على ذكرهم بالاسم المفرد بكلام محيي الدين بن عربي المبنى على الاوهام والوساوس .

« اشتغل بذكر الله بأي نوع شئت من الاذكار ، وليكن ذكرك الاسم المفرد الجامع الذي هو الله . الله وان شئت : هو هو لا تتعدى هذا الذكر (٣) » .

وقد اساء الصوفية الى سمعة الاسلام اساءة كبرى مما سبب نفور الغربيين منه لما شاهدوا من سلوكهم المنحرف وذكرهم الممسوخ بلفظ الله ، الله ، فظنوه هو الاسلام ونفروا منه مما حدا بأحدهم وهو باحث مستشرق فرنسي يدعى « كيمون » للقول في كتابه : (باتولوجيا الاسلام) ما ملخصه .

« ان الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس واخذ يفتك فيهم

---

(١) تلبيس ابليس ص ٣٨٠   (٢) رواه مسلم .
(٣) الحدائق الوردية ص ٢٩١ .

فتكا ذريعا ، بل هو مرض وشلل عام ، وجنون ذهولي يبعث الانسان على الخمول والكسل .

وما قبر محمد الا عمود كهربائي يبعث على الجنون في رؤوس المسلمين ، ويلجئهم الى الاتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي وتكرار لفظة : « الله » الى ما لا نهاية ... (١) » .

وبمناسبة الكلام على الذكر لا بد لنا من الحديث عن الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فانها من أفضل الاذكار وقد جاء في الحديث الصحيح : « من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرا وجاء ايضا : « البخيل من ذكرت عنده ولم يصل عليَّ » .

ومما يؤسف له ان بعض المسلمين اساؤوا فهم طريقة هذه الصلاة فجعلوا لها « مجالس » يتداعون لها ويجتمعون فيها رافعين أصواتهم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومستخدمين الحصا او السبحات ثم يهبون للتراقص ، زاعمين انه ذكر . وكل ذلك لم يكن معروفا في ايام السلف ، وقد كانوا أحب منا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد كانوا يصلون عليه منفردين ودون الجهر بالصلاة .

وليت هذه المجالس تكون لدراسة العلم وللمداولة بشؤون المسلمين .

جاء في سنن الدارمي بسند صحيح .

قال عمارة بن أبي حسن المازني ، سمعت أبي يحدث عن أبيه قال : كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة ، فاذا خرج مشينا معه الى المسجد ، فجاءنا ابو موسى الاشعري فقال : أخرج اليكم ابو عبد الرحمن بعدُ ؟

قلنا : لا فجلس معنا حتى خرج . فلما خرج قمنا اليه جميعا ، فقال له ابو موسى :

يا أبا عبد الرحمن اني رأيت في المسجد آنفا امرا أنكرته ! ولم أر والحمد لله الا خيرا . قال فما هو ؟ فقال : ان عشت فستراه !

قال : رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة ، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصا ! ! ،فيقول : كبروا مئة .. فيكبرون مئة .

---

(١) تاريخ الامام محمد عبده ٢/٤٠٩ .

فيقول هللوا مئة ! فيهللون مئة ! ويقول : سبحوا مئة ، فيسبحون مئة .

قال فماذا قلت لهم ؟

قال ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك او انتظار أمرك !

قال : أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم ؟ ! وضمنت لهم الا يضيع من حسناتهم ! ثم مضى ومضينا معه ، حتى أتى حلقة من تلك الحلق ، فوقف عليهم فقال : ما هذا الذي أراكم تصنعون ؟ ! قالوا يا أبا عبد الله حصى نعد بها التكبير والتهليل والتسبيح !

قال فعدوا سيئاتكم ، فأنا ضامن الا يضيع من حسناتكم شيء ! ويحكم يا أمة محمد ! ما أسرع هلكتكم ! هؤلاء صحابة نبيكم متوافرون . وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر والذي نفسي بيده انكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد ؟ ! أو مفتتحو باب ضلالة ؟ ! قالوا : والله — يا ابا عبد الرحمن — ما أردنا الا الخير ! قال : وكم من مريد للخير لـن يصبه ؟ !

ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حدثنا ان قـوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم . واسم الله لا أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم ! ! فقال عمر بن سلمة : رأيت عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يـوم النهروان مع الخوارج (١) !

وفي الصحيح ان ابن مسعود مر برجل يسبح بالحصا فضربه برجله! ثم قال : لقد سبقتم ! ركبتم بدعة ظلما .

وذكر الله تعالى بالحصا او السبحة علاوة على أنه بدعة ، فانه أبطل سنة الذكر بأصابع اليد اليمنى التي تشهد للذاكر بهن يوم القيـامة . قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « وانعقدن بالانامل ، فانهن مسؤولات ومستنطقات »(٢)

هذا — وان الاحاديث الوارد فيها العد بالحصا غير صحيحة !

ونتحدى من يستطيع أن يثبت صحة ذلك ، كما نتحدى من يستطيع أن يثبت ان الرقص في الذكر له أصل في القرآن والسنة ، ولم يفسر احد من المفسرين قوله تعالى (الذين يذكـرون الله قياما وقعودا وعـلى جنوبهـم) بالرقص في الـذكر ! وهو ما يفعل في كثير من حلقات الذكر .

---

(١) اسناده صحيح رجاله كلهم ثقات رجال البخاري في صحيحه غير عمارة وهـوثقة.

(٢) صححه الحاكم والذهبي وحسنه النووي والعسقلاني .

« من استباح الرقص في الذكر فهو كافر ، وقيل فاسق ! : حاشية ابن عابدين ج ٣ ص ٤٧٥ » ولا يعرف في القرآن او السنة ان هناك ذكرا بصوت عال أو بلفظ : الله الله فضلا عن تحريف اسم الله بلفظ : آه ، أوه .

أدعيـــة صوفية

من الواضح جليا انه لا نافع ولا ضار الا الله ، وان الله وحده هــو الذي يدبر الامر في السماء والارض ، وانه ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في السماء الا باذنه ، وان الخوف والرجاء يجب ان يتعلق به وحده دون خلقه ...

وكما ان الهيبـــة توجب تعظيم المهاب . والخوف يوجب خشية صاحب البأس ، والرجاء يورث تعلق القلوب بصاحب النعمة . فـــان العبودية الخالصة لله توجب القلب اليه عند الرغبة ، وعند الرهبة ، وساعة العسرة ، وعند الكرب بالدعاء الصادق ، والصلوات الخاشعة .

ودعوة الله هي أوثق عرى الايمـــان ، والدعـــاء مـــخ العبادة (١) ، وجوهر اليقين . وهو شعار المرسلين : (كانوا يسارعون في الخيرات ، ويدعوننا رغبا ورهبا . وكانوا لنا خاشعين) (٢) . (ولقد نادانا نـــوح فلنعم المجيبون) (٣) .

وما من نبي الا كانت له دعوات صادقة ، وابتهالات خاشعة ، ذرف فيها الدموع ، وأطال فيها السجـــود ، وهو يستنزل بها رحمـــة الله ، ويستنصر به على قوى الشر وسلطان الباطل .

هذا ـ ولما كانت اجابة الدعوات من أخص خصائص الالوهية التي تفرد بها الله ، فانه يجب علينا ان نؤمن ايمانا قويا راسخا ، انه لا مستجيب للدعوات الا الله .

هو الذي ندعوه عند الكرب فيستجيب ، وندعوه رغبا ورهبا فـــلا

---

(١) اسناده ضعيف ، فيه ابن لهيفة ، وهو سيىء الحفظ ، والصحيح : « الدعاء هو العبادة » قال الترمذي : حسن صحيح ، (٢) الانبياء : ٩٠ (٣) الصافات : ٥ ـ ٧.

يبخل . (وقال ربكم ادعوني استجب لكم . ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (١) وكل ما عداه عجزة ! (له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ، ليبلغ فاه ، وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرن الا في ضلال)(٢).

فاذا رايت الرجل يدعو غير الله ، ويستغيث بغيره ، ويستنصر بغيره ، ويلجأ في الشدائد والملمات الى غيره لتفريج الكرب ، وتيسير الامر ، فاعلم انه مشرك بالله ، وان صلى وصام وطاف بالبيت واستلم الركن .

وقد كثرت آيات الكتاب في ذم أولئك المشركين الذين يدعون مع الله الهة اخرى : (ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم) فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين !) (٣) .

لقد حض الاسلام على الدعاء وشجع على المأثور منه ونهى عن الاعتداء فيه ، والصوفية لم يتقيدوا بكل ذلك فراحوا يبتدعون ادعية من عندهم ، فيها كثير من الغلو والشرك والحلول ، فيها دعاء غير الله ، وقد راينا طائفة منها في بحث « المدائح النبوية » وفيما يلي امثلة اخرى .

« الهي استهلك كليتي في كليتك ، وامد اوليتي بأوليتك ، حتى اشهد اوليتك في أوليتي ، وآخريتك في آخريتي ، وظاهريتك في ظاهريتي ، وباطنيتك في باطنيتي ، وقابليتك في قابليتي ، وانت في امنيتي ، وهويتك في « .هويتي » (٤) .

اللهم صل وسلم وبارك على طلعة الذات المطلسم ، والغيث المطمطم ، لا هوت الجمال ، وناسوت الوصال(٥) . وطلعة الحق ، هوية انسان الازل ، في نشر من لم يزل ، من اقمت به نواسيت الفرق الى طريق الحق ، فصل اللهم به منه فيه (٦) .

اللهم صل على محمد الذي تجسد فيه الله ، اللهم صل على نفسك التي ظهرت ، وتظهر في صور الكائنات .

---

(١) غافر : ٦٠ (٢) الرعد : ١٤ (٣) الاعراف : ١٩٤ نقلا عن رسالة « لا اله الا الله » لعطية محمد سعيد باختصار ص ٣٦ — ٤٠ . (٤) ص ١٥ مجموعة الاحزاب ط استانبولي سنة ١٢٩٨ هـ (٥) أي الانسان الذي وصل بين الالوهية والانسانية في ذاته ، فباطنه اللاهوت ، وظاهره ناسوت . (٦) المصدر السابق ص ١٤ .
(٧) هذه الصلاة لابن عربي نقلا عن « هذه هي الصوفية » ص ١٥٩ .

اللهم واسألك بجميع ما تعلم لنفسك من لا يعلمه منك غيرك ان تنفعني ياذا الجلال والاكرام في شهود تجليات ذاتك بالعين التي لا تحجب عنها شيء في الارض ولا في السماء ، وافض على جميع ذاتي لذة الشهود حتى اكون كلي لذة ذاتية الهية ، سارية في نفسي .

وتجل لي يا الهي بمقام الاستواء الجامع للمراتب الخفية الالهية (٢) .

الخــلوة

الخلوة عند الصوفية هي الوحدة والانفراد والعزلة عن مخالطة الخلق.
قال الشبلي : الزم الوحدة وامح اسمك من القوم واستقبل الجدار حتى تموت » (٣) .

وقال أبو طالب المكي : الخلوة تفرغ القلب من الخلق وتجمع الهمم بامر الخالق وتقوي العزم على الثبات » (٢) .

وقال ابو تميم المغربي : من اختار الخلوة على الصحبة فينبغي ان يكون خاليا من جميع الافكار الا ذكر ربه عز وجل وخاليا من جميع المرادات الا مراد ربه خاليا من مطالبة النفس من جميع الاسباب فان لم يكن بهذه الصفة فان خلوته توقعه في فتنة أو بلية (٤) .

وقال ذو النون المصري : لم ار شيئا ابعث على الخلاص من الخلوة من احب الخلوة فقد استمسك بعمود الاخلاص » (٥) .

وعند الصوفية ان اساس عمل المريد اربعة اشياء الجوع والسهر والصمت والخلوة (٦) .

ويعتقد الصوفية ان الخلوة تنتج تنوير القلب وصفاء النفس وصدق الفراسة وكشف الحجاب ورؤية الله وحدوث الكرامات ويكثر القائم بالخلوة من الصلاة والصيام وقراءة القرآن وذكر الله .

---

(١) المجموعة الشريفة من جوامع الكلم الالهية وينابيع الحكم الالهية . (٢) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٢٦٦ . (٣) قوت القلوب ج ١ ص ١٤٤ . (٤و٥) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٢٧٢ و ٢٦٦ . (٦) قوت القلوب ج ١ ص ١٤١ .

يقول ابن عربي : فان المتأهب اذا لزم الخلوة والذكر وفرغ المحل من الفكر وقعد فقيرا لا شيء له عند باب ربه . حينئذ يمنحه الله تعالى ويعطيه من العلوم والاسرار الالهية والمعارف الربانية التي اثنى بها سبحانه على عبده الخضر عليه السلام فقال تعالى « عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما » وقال تعالى « واتقوا الله ، ويعلمكم الله »(١) وقيل للجنيد رضي الله عنه . بم نلت ما نلت فقال : بجلوسي تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة » (٢) .

وقال سهل بن عبد الله التستري « ما صار الابدال ابدالا الا بأربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس « (٣) .

والخلوة كما يقول الغزالي لا تكون الا في بيت مظلم فان لم يكن له مكان مظلم فيلف راسه في جيبه او يتدثر بكساء او ازار . ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية »(٤) .

والخلوة ترجع الى اصول نصرانية لما روي عن ابراهيم بن ادهم انه قال : تعلمت المعرفة من راهب يقا ل‌له سمعان . دخلت عليه في صومعته . فقلت ياسمعان : منذ كم انت في صومعتك قال : منذ سبعين سنة قلت : فما طعامك قال : ياحنيفي وما دعاك الى هذا قات : احببت ان اعلم . قال : في كل ليلة حمصة قلت : فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة . قال ترى الدير الذي بحذائك قلت : نعم . قال انهم يأتوني في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظمونني فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فأنا احتمل جهد سنة لعز ساعة . فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد . فوقر في قلبي المعرفة فقال : حسبك او ازيدك ؟ قلت : بلى . قال : انزل الى الصومعة فنزلت فأدلى لي ركوة فيها عشرون حمصة . فقال لي : ادخل الدير فقد رأوا ما ادليت اليك ، فلما دخلت الدير اجتمع علي النصارى . فقالوا ياحنيفي : ما الذي ادلى اليك الشيخ : قلت من قوته

---

(١) ان الاستدلال بهـذه الاية على الكشف نتيجة التقوى ، استدلال خاطىء ، فالاية واردة في معرض الدين ، ولو كانت كما تقول الصوفة لما كان لحرف (الواو) محل ، وقد جهلوا وتجاهلوا ، ان من اول شروط التقوى طلب العلم من مصدريه : القرآن والسنة ، وهم بعيدون عنه بعد الارض عن السماء !

(٢) الفتوحات المكية ج ١ ص ٣٧ . (٣و٤) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٦٥و٦٦ .

قالوا : فما تصنع به ونحن احق به ثم قالوا ساوم . فقلت : عشرين دينارا. فأعطوني عشرين دينارا . فرجعت الى الراهب فقال يا حنيفي : ما الذي صنعت ؟ قلت : بعته منهم قال : بكم ؟ قلت : بعشرين دينارا قال : اخطأت لو ساومتهم بعشرين الف دينار لاعطوك . هذا عز من لا تعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده ياحنيفي : اقبل على ربك ودع الذهاب والجيئة (١) .

الاربعينية :

خلوة محدودة بالزمن وهو اربعون يوما ، وهي لمن شغلته نفسه واولاده عن ان يجعل عمره كله خلوة . وقيل ان سهل بن عبد الله كان يأكل في جميع أيام هذه الخلوة ــ اي اربعين يوما ــ اكلة واحدة (٢) . ويرجع الصوفية فكرة الاربعينية الى داود عليه السلام . ويقولون انه لما ابتلى بالخطيئة خرّ لله ساجدا اربعين يوما وليلة حتى اتاه من ربه الغفران) (٣) ويستدلون على شرعيتها بحديث يروونه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : من أخلص لله العبادة أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه (٤) ..

والخلوة والاربعينية ليس لهما اصل في كتاب أو سنة . وان ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الاعتكاف قالت عائشة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف ازواجه من بعده (٥) وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدخل معتكفه بعد صلاة الفجر وما كان يدخل بيته الا لحاجة ، ولا اعتكاف الا بصوم ولا اعتكاف الا بمسجد جامع تقام فيه الصلوات (٦) .

قال ابن الجوزي : كان خيارالسلف يؤثرون الوحدة والعزلةعن الناس

---

(١) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٨٨ . (٢و٣) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٢٩٣ وكل ذلك لا اصل له .

(٤) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٣١٠ قال صاحب كتاباسنى المطالب في هذا الحديث : رواه ابو نعيم وسنده ضعيف فيه حجاج مجروح ويزيد بن يزيد الواسطي كثير الخطا ومحمد بن اسماعيل مجهول ومكحول التابعي لم يصح سماعه من ابي ايوب وحكم ابن الجوزي بوضعه واقروه عليه اسنى المطالب ص ١٩٧ .

(٥) متفق عليه . (٦) سبل السلام ج ٢ ص ٢٨٩ .

اشتغالا بالعلم والتعبد ، الا ان عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق . وانما هي عزلة عن الشر واهله ومخالطة البطالين (١) ، وقد لبس ابليس على جماعة من المتصوفة ، فمنهم من اعتزل في جبل كالرهبان يبيت وحده ويصبح وحده ، ففاتته الجمعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهل العلم . وعمومهم في الاربطة ففاتهم السعي الى المساجد وتوطنوا (٢) على فراش الراحة وتركوا الكسب ، وقد قال ابو حامد الغزالي في كتاب « الاحياء » : مقصود الرياضة تفريغ القلب وليس ذلك الا بالخلوة في مكان مظلم . وقال : فان لم يكن مكان مظلم فيلف رأسه في جبته او يتدثر بكساء ، أو ازار . ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية .

قلت : انظر الى هذه الترتيبات ، والعجب كيف تصدر من فقيه عالم ، ومن اين له ان الذي يسمعه نداء الحق وان الذي يشاهده جلال الربوبية وما يؤمنه ان يكون ما يجده من الوساوس والخيالات الفاسدة ، وهذا الظاهر ممن يستعمل التقلل في المطعم ، فانه يغلب عليه الماليخوليا (٣) . وقد يسلم الانسان في مثل هذه الحالة من الوساوس الا انه اذا تغشى بثوبه وغمض عينيه تخايل هذه الاشياء ، لان في الدماغ ثلاث قوى : قوة يكون بها التخيل ، وقوة يكون بها الفكرة ، وقوة يكون بها الذكر ، وموضع التخيل البطنان المقدمان من بطون الدماغ ، وموضع التفكر البطن الاوسط من بطون الدماغ ، وموضع الحفظ الموضع المؤخر ، فان اطرق الانسان وغمض عينيه جال الفكر والتخيل ، فيرى خيالات فيظنها ما ذكر من حضرة جلال الربوبية الى غير ذلك ، نعوذ بالله من هذه الوساوس والخيالات الفاسدة .

اخبرنا محمد ابن ابي القاسم ، نا رزق الله بن عبد الله ، نا ابو عبد الرحمن السلمي ، قال : سمعت ابا بكر البجلي يقول : سمعت ابا عثمان ابن الادمى ، قال : كان ابو عبيد التستري اذا كان اول يوم من شهر رمضان يدخل البيت ويقول لامرأته : طيني باب البيت والقي الي كل

(١) اي المتعطلين . (٢) توطن البلد : اتخذه وطنا . ووطن المكان : اقام به .
(٣) اي مرض السوداء ، وهو من امراض النفس .

ليلة من الكوة رغيفا فاذا كان يوم العيد دخلت فوجدت ثلاثين رغيفا في الزاوية ولا اكل ولا شرب ولا يتهيأ لصلاة ، ويبقى على طهر واحد الى آخر الشهر .

هذه الحكاية عندي بعيدة عن الصحة من وجهين : احدها بقاء الادمي شهرا لا يحدث بنوم ولا بول ولا غائط ولا ريح . والثاني ترك المسلم صلاة الجمعة والجماعة وهي واجبة لا يحل تركها ، فان صحت هذه الحكاية فما ابقى ابليس لهذا في التلبيس بقية (١) .

اما ما يحتج به بعض الصوفية على مشروعية الخلوة من تحنث الرسول عليه الصلاة والسلام في غار حراء فان ذلك كان قبل البعثة ولم يرد ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم داوم على تلك الخلوة بعد البعثة الا ما كان من اعتكافه على نحو ما بينه الفقهاء ، وهو بعيد كل البعد عن طريقة الصوفية في الخلوة .

وفي رأينا ان العزلة والخلوة عند الصوفية ترجع الى اصول نصرانية اكثر منها الى اصول اسلامية . فنظام الجوع الشديد والصيام المديد الذي يتبعه المتصوفة أثناء خلواتهم مأخوذ عن أصحاب الديانتين البوذية والنصرانية لما روي ان زهادهم يطوون مددا طويلة دون طعام واحيانا دون شراب . وفي ذلك اضعاف للجسم اي اضعاف والرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام يقول : المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير(٢) واقصى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه سمح بصوم يوم وافطار يوم (٣) .

الرياضة

الرياضة عند الصوفية هي اضعاف الجسم بالجوع والسهر وكثرة العبادة . وغايتها تقوية الروح – بزعمهم – حتى تتصل بعالم الملكوت وينفتح للصوفي باب من طريق الحكمة والقدرة ويأتيه الشيء بخرق العادة

(١) تلبيس ابليس (٢) رواه مسلم . (٣) تيسير الوصول ج ١ ص ٢٩ .

كما كان يأتي مريم عليها السلام كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا . قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله (١) .

والجوع هو عماد الرياضة واول طرقها ويتم بالتدرج حتى يصل الصوفي الى درجة الاكتفاء بالزهيد من الطعام .

قال سهل التستري : ان الله استعبد الخلق بثلاث . بالحياة والعقل والقوة ، فان خاف العبد على اثنين منها وهي الحياة والعقل اكل وافطر وان كان صائما ، وتكلف الطلب ان كان فقيرا . وان لم يخف عليهما بل على القوة فينبغي ان لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا . وان صلاته قاعدا مع ضعف الجوع افضل من صلاته قائما مع كثرة الاكل(٢) .

وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به فقال (كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم ، كنت اخذ بدرهم دبسا وبدرهم دقيق الارز وبدرهم سمنا واخلط الجميع ، واسوي منه ثلاثمائة وستين اكرة ، آخذ في كل ليلة اكرة وافطر عليها . فقيل له فالساعة كيف تأكل قال : بغير حد ولا توقيت(٣) .

يقول الغزالي : يحكى عن الرهابين انهم يردون انفسهم الى مقدار درهم من الطعام (٤) .

وقال يحيى بن معاذ : اذا ابتلي المريد بكثرة الاكل بكت عليه الملائكة رحمة له ومن ابتلي بحرص الاكل فقد احرق بنار الشهوة وفي نفس ابن آدم الف عضو من الشر كلها في كف الشيطان . فاذا جوع بطنه وراض نفسه يبس كل عضو او احترق بنار الجوع وفر الشيطان من ظله . واذا اتبع بطنه وترك حلقه في لذائذ الشهوات فقد رطبت اعضاؤه وامكن الشيطان منه (٥) .

وقال ايضا (الشبع نهر في النفس ترده الشياطين والجوع نهر في الروح ترده الملائكة وينهزم الشيطان من جائع نائم فكيف اذا كان قائما) (٦)
وقال الدكتور زكي المبارك (وكان من الصوفية من يحرص على خبز

---

(١) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ١٣٦ (٢) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٧٧ انظر الى هذا الجهل ما اقبحه ! (٣و٤) احياء علوم الدين ص ٧٧ .
(٥و٦) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ٢٢٢ .

الشعير ويتجنب ترف الاستحمام) (١) والجوع بهذا الشكل قتل للجسم واضعاف له وجعله مستعدا لتقبل الامراض وهو بمثابة الانتحار وما سمعنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلك هذا الطريق وانما كان عليه الصلاة والسلام يأكل اذا وجد الاكل ويطوي اذا لم يجد ما يأكله. وكان يقول : المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير (٢) والله تعالى قال : قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون (٣) وقال جل شأنه : يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم (٤) أما هذه الرياضات فهي ليست من الاسلام وانما ترجع بأصولها الى الهندوكية والنصرانية يقول الاستاذ سليمان الندوي في الرسالة المحمدية .

ما من دين خلا من العبادة لله ، لكن العقائد القديمة الباطلة حثت أتباعها على ان الدين يطالبهم بايذاء أجسامهم وتعذيبها وان الفرض من العبادة ، ادخال الالم على الجوارح وان الجسم اذا ازدادت آلامه كان في ذلك طهارة للروح ونزاهة للنفس ، وعن هذه العقيدة نشأ التبتل عند الهنادك والرهبانية عند النصارى ، وابتدعوا من رياضات الجسم انواعا عجيبة أشدها على الجسم أفضلها عندهم واقربها الى الله في زعمهم . فمنهم من آلى على نفسه الا يغتسل طول حياته ، ومنهم من لا يلبس الا المسوح والثياب الخشنة . وبعضهم آلى على نفسه ان يعيش عريانا الا من خرقة يستتر بها ماضيا على ذلك مهما اثرت فيه حمارة القيظ او زمهرير الشتاء ، ومنهم من لزم كهفا فلا يبرحه ابدا . وبعضهم أختار لنفسه ان يبقى واقفا في حر الشمس طول حياته . ومنهم من يحلف ألا يقتات الا بورق الشجر ومنهم من بقي عزبا لا يتزوج ، وفيهم من يرفع احدى يديه في الهواء ويبقى كذلك طول عمره حتى تيبس يده وتجف وكان بعضهم يحبس نفسه ما استطاع وهو يحسب أن ذلك من العبادة ، ولا يزال في الهند من يتعلق بشجرة منكسا رأسه الى تحت . وهذا كله وامثاله مما كان عليه أتباع الاديان قبل بعث محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ظانين ان اعمالهم هذه من اقرب الوسائل الى الله .

---

(١) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ٢ ص ١٩٤ . (٢) رواه مسلم .
(٣) اعراف ٣١ ـ ٣٢ ، (٤) مائدة ٨٧ .

ومن افضل ما تزكى به النفوس وتطهر به الارواح . فأنقذ الله عز وجل الانسانية من هذا العذاب الاليم والاذى الشديد بالرسالة المحمدية الكاملة وارشدهم الى ان ما يحسبونه عبادة من هذا السخف والشر انما هو من الملاهي التي يتعلل بها من زاغ بصره والتوى عليه الرأي فظن في الله غير الحق . وقد اعلن الاسلام للناس هذه الحقيقة وجعل الرهبانية بدعة من عند الناس لا من عند الله (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) وانكر على الذين حرموا على انفسهم طيبات الدنيا قال عز وجل (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) .

والرسالة المحمدية علمت الناس لاول مرة ان حكمة العبادة اقرار لربه . ومن غريب أمر المتصوفة انهم وضعوا للمسلمين أحاديث في الترغيب في الجوع ، من اجل افنائهم لا أساس لها من الصحة !

المجاهدة

المجاهدة عند الصوفية هي مخالفة الهوى ومحاربة الشهوات وهي غير الرياضة . لان المجاهدة تهدف الى تربية النفس وترويض الغرائز والرياضة تهدف الى اضعاف الجسم فتتقوى على حسابه الروح . قال الغزالي « اذا حاسب المرء نفسه فرآها قد فارقت معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات التي مضت . وان رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل او ورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات منه وتداركا لما فرط (١) » .

والمجاهدة عند الصوفية نوعان . الاول مجاهدة في العبادات وتكون بالاكثار من الصلاة والصيام والاوراد والاذكار حتى تستغرق كل وقت المريد .

والثاني مجاهدة الشهوات وعلى راسها شهوة الفرج ولو كان زواجا عن طريق الحلال .

---

(١) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٤٨ .

ويستعين الصوفي على طرد خواطر النكاح بادامة الصوم يقول السهروردي « ان للصوم اثرا ظاهرا في قمع النفس وقهرها » (١) **وقال :** ان من حسن ادب المريد في عزوبته الا يمكن خواطر النساء من باطنه . وكلما خطر له خاطر النساء والشهوة يفر الى الله تعالى بحسن الانابة فيتداركه الله تعالى حينئذ بقوة العزيمة ويؤيده بمراغمة النفس بل ينعكس على نفسه نور قلبه ثوابا لحسن انابته فتسكن النفس عن المطالبة ثم يعرض على نفسه ما يدخل عليه بالنكاح من الدخول في المداخل المذمومة المؤدية الى الذل والهوان وأخذ الشيء من غير وجهه وما يتوقع من القواطع بسبب التفات الخاطر الى ضبط المرأة وحراستها والكلف التي لا تنحصر (٢) .

وكل هذه المجاهدات منحرفة وليس لها أصل في الاسلام انما هي من آثار المجوس ... الغاية منها أضعاف الكيان الاسلامي ليصبح أتباعه ضعفاء وهزيلين يسقطون في معركة الحياة ومعركة الاعداء !

الغناء والوجد

يزعم الصوفية أنهم قوم مرهفو الاحساس عاطفيون ، يزيدهم السماع شوقا ولوعة واضطرابا فيتواجدون . يروى ان ابا الفتح الصوفي سمع هذا البيت .

وجهك المؤمول حجتنا ... يوم يأتي الناس بالحجج

فتواجد وصاح ودق صدره الى ان اغمي عليه وسقط فلما انفض المجلس حركوه فوجدوه ميتا فغسلوه ودفنوه وهذا البيت الذي قتل صوفيا هو من قطعة لرجل فاجر هو عبد الصمد بن المعذل الذي يقول :

ان بيتا انت ساكنه ... غير محتاج الى السرج

يا بديع الدل والغنج ... لك سلطان على المهج

(١و٢) عوارف المعارف على هامش الاحياء ج ٢ ص ١٦٨ و ١٦٩ .

وجهك المؤمـول حجتنـا   يوم يأتي الناس بالحجج(١)

قال ابن ابي حجلة : « والصوفية اذا قالوا : وجهك المامـول حجتنا ، نقلوه الى مالهم في ذلك من المعاني .

اقول : كيف ينقلون معنى هذا البيت يا بديع الدل والغنج .. ؟ ! !

ونقل الانطاكي قول البها زهير في هجر الدلال :

عتب الحبيب فـلم اجـد   سببا لذاك العتب حـادث

ما كنت اعـلم انـه   ممن تغـيره الحوادث(٢)

ثم قال : وفي هذا الاصل كلام للعارفين ، وكل يأخذ ما يناسبه من الاشارات (٣) ...

قلت : ترى هل يستطيع الصوفية ان يحدثونا عن الاشارات التي يأخذونها من هذين البيتين ؟ !

وروي ايضا ان ابن الفارض كان ماشيا في سوق بالقاهرة فمر على جماعة من الحرسية يضربون بالناقوس ويغنون فلما سمع صرخ صرخـة عظيمة ورقص رقصا كثيرا في وسط السوق ورقص جماعة كثيرة من المارين وتواجد الناس الى ان سقط اكثرهم الى الارض ثم خلع الشيخ ثيابه ورمى بها اليهم وحمل بين الناس الى الجامع الازهر وهو عريـان مكشوف اراس وفـوق وسطه لباسه واقـام في هـذه السكره مسجى كالميت (٤) .

وهذا لا يفعله عاقل فضلا عن ولي !

قال الامام ابن الجوزي في كتابة تلبيس ابليس بعد ان ساق امثلة عن تواجد المتصوفة !

اعلم وفقك الله ان قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب ، وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع .

وهذا حديث العرباض بن سارية : « وعظنا رسول الله صلى الله عليه

---

(١) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ٤ ص ٢٣١ .

(٢) ديوان الصبابه ٢/٧٠ على هامش تزيين الاسواق طبع سنة ١٢٩١ هـ .

(٣) تزيين الاسواق ٢/٦٦ .   (٤) امراء الشعر في العصر العباسي ص ٣٧٣ .

وآله وسلم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب » . قال أبو بكر الآجري : ولم يقل : صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان .

قال حصين بن عبد الرحمن ، قلت لاسماء بنت ابي بكر : كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند قراءة القرآن قالت : كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم عز وجل تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم ، فقلت لها : ان ها هنا رجالا اذا قرىء على احدهم القرآن غشي عليه ، فقالت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (١) .

والصوفية يجدون لذة كبيرة في الغناء لانه يحرك فيهم الاشجان ويبعث لديهم الاشواق ولذلك يزينون به مجالس الذكر وندوات الهيام والانس ، ويزعم الصوفية أنهم لا ينظرون للمعنى الحرفي للالفاظ وانما يحملون الالفاظ الى ما لهم من معان خاصة في ذلك .

واعتاد بعض الصوفية استعذاب الصوت الحسن ولهم فيه معان ومعان . حتى رآه ذو النون المصري مخاطبات واشارات الى الحق اودعها كل طيب وطيبة ورآه يحيى بن معاذ روحة من الله لقلب فيه حب الله (٢) .

وقد اكثر الصوفية في أغانيهم من ذكر الغلمان والخمور والكؤوس وزعموا انهم عنوا بها معاني مجازية وأثنوا على الاوتار والمعازف مما لا يقرهم عليه شرع قال عبد الغني النابلسي (٣) :

تجلى وجه محبوبي ... وهذا كل مطلوبي
فيانار العدا ذوبي ... بعيد عنك مشروبي

جمال الاهيف الزاهي ... وحسن الاغيد الباهي
به صبري هو الواهي ... وموتي فيه مرغوبي

ومن اقواله :

علينا الخمر قد دارت ... بها البابنا حارت
وأطيار الهوى طارت ... بترتيب واسلوب

---

(١) تلبيس ابليس طبعة دار الوعي ص ٢٨٠ — ٢٨١ باختصار .
(٢) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ٢ ص ٢٦٥ . (٣) راجع ديوانه .

مليــح الــكون وافــانــا   وزاد الحــسن احســـانا
وحيــا يوســف الآنـــا   فقــرت عــين يعقــوب

وانشـد الشاعر الصوفي محمد البكري .

حدث عن الوتــر أيهــا الوتر   من فاتــه الخــير ســره الخير
يــا وتــرا حــركتــه غــانيــة   لا وأبي (!) ليس ذاك يا وتر
قــد أودع الوتر فيــك حكمته   لا وأبي منــك تطــرب الفطر(١)

وقد اجازت الطريقة الميلوية عند الانشاد العزف على الآلات الموسيقية على اختلاف انواعها في مجلس الذكر مما هو مخالف لابسط مبادىء الشريعة . وكان لهذه الطريقة اشياع في الاقطار الفارسية والتركية . وكان لهم في مصر تكية في حي السيوفية بالقاهرة . وكانت لهم حضرة اسبوعية يتشوف اليها المولعون بالموسيقا والغنـــاء . وقد اغلقت الحكومة المصرية تلك التكية واعترض على ذلك جماعة من أهــل المجــون لحرمـــان الموسيقا من براعة اولئك القوم(٢) .

وفي هذه الحضرة يرقص المردان ، وهم يلبسون الفوط (كالخراطات) النسائية ويثنون ويتمايلون على أنغام الآلات الموسيقية مما يثير الشهوات ويحرض على الفاحشة .

وكان للطريقة الليثية في القاهرة مذهب خاص في طريقة التغــني نشره الاستاذ التفتازاني في جريدة المعرفة عدد يونيه ١٩٣١ قال فيه : ان الصوفية درجوا منذ القديم على ان يبدأوا مجالس الذكر ب « لا اله الا الله » وتعرف عندهم بالارضية . ويأخذ « الرسيم » الذي هو رئيس المجلس في التــدرج بالذاكــرين اثناءهــا من الراست الى الدوكــه الى السيكاه الى الجهركاه « الجركاه » الى الحجاز ثم الرهاوي فالكردي فالبياتي فالصبا وهنا تبدو مقدرة الرئيس في نقل الذاكرين من نغمــة الى نغمة اخرى كما تبدو مقدرة المنشدين في متابعتهم للانغام والانشاد والغالب في الانشاد على الارضية أن يكون من كلام الصوفية . كقولهم :

الهي توسلنا بجــاه محمــد   نبيك وهــو السيد المتواضع
انلنا معالاحباب رؤيتكالتي   اليها قــلوب الاولياء تسارع

(١و٢) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ٢ ٢٧٨ و ٢٦١ .

الى آخر القصيدة . ثم ينفرد رئيس المنشدين بعد الوصول الى نغمة الرصد او النغمة التي ينتهي عندها انشاد القصيدة بالاستغاثة . اغثنا ادركنا يا رسول الله ، ثم يقول الموال من نفس النغمة ايضا ينشدها على الارض مقطعة . وعند قيام الذاكرين يكرر الابيات بالطريقة المألوفة ثم ينفرد بعد ذلك بالمقطعات والقصائد والرقائق وما اليها من كلام الصوفية . وقد يستبيح بعضهم ان ينشد الادوار الموسيقية بمذاهبها وردودها المعروفة عند مجلس الذكر (١) .

ولا يخفى ان الاستغاثة عبادة ، وهي لا تجوز الا بالله ، ومن استغاث بأحد من الموتى ، فقد كفر اذا أصر بعد تعليمه .

أما التوسل بالموتى فهو حرام ، ولكنه اقل خطرا من الاستغاثة . قال الامام ابو حنيفة : « وأكره ان يسأل الله الا بالله » كما في الدر المختار وغيره من كتب الحنفية ، والكراهة هنا للتحريم ! ، وفي التتار خانيةقال ابو حنيفة : « لا ينبغي لاحد ان يدعو الله الا به ! » .

ويقول الدكتور زكي مبارك بأنه لاحظ في القاهرة ان مجالس الصوفية كانت تنقلب احيانا الى مجالس فنية ، فهي مجالس تعقد ظاهرا لذكر الله ولكن الغرض منها الغناء ، فقد كان في حي الحسين منزل تقام فيه حضرة كل ليلة ثلاثاء . وكان ذكر الله في الصورة الشكلية يتولاه طائفة من العجزة عجزة الدراويش . اما نظام المجلس فيقوم على فن الشيخ حسن الحويجي وكان منشدا حلو الصوت ، عذب الاداء ، خفيف الروح وكان ينشد في الحضرة ابياتا من شعر ابن الفارض مثل :

ما بين معترك الاحداق والمهج — انا القتيل بلا اثم ولا حرج

ثم يندفع فيغني « أنست يا نور الوجود ، شرفت ياروح المهجة ، بعد البعاد انا قلبي عليك » او « الكمال في الملاح صدف » الى آخر الاغاني الطريفة التي كانت تغني في الليالي الملاح . وكنت الاحظ ان اهل ذلك المنزل يجعلون ليلة الحضرة ليلة قصف فيجمعون خلانهم حول الموائد ويتندرون بأطايب الاحاديث وكان المستمعون يقترحون الادوار على نحو ماكانوا يفعلون في حفلات الطرب والانس وقد اقترح بعضهم دور « حود

---

(١) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ٢ ص ٢٦٧ .

من هنا وتعالى عندنا » فغضب الشيخ الحويجي وقال (نحن لسنا في الازبكية) اما انا فكنت افهم من شواهد الحال ان الازبكية ليست منهم ببعيد » (١) .

ويقول الدكتور مبارك أيضا : كانت مجالس الذكر مدرسة لتخريج المغنيين ! ففيها ظهرت تباشير النبوغ لعبده الحامولي ومحمد عثمان وسلامه الحجازي ويوسف المنلاوي وسيد درويش . وفي القرى المصرية مئات من قراء الموالد في الاصل من اتباع الصوفية(٢) .

وقال الدكتور المبارك ايضا : حدثني هبة الدين الشهرستاني ان ملا محسن الفيض القاشاني كانت له جارية تغنيه وهو يصلي . وهذا يشهد بان ذلك الصوفي كان يرى الغناء عند الصلاة يعطرها بانفاس الروحانية والصفاء (٣) .

قال الغزالي في الاحياء : يثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويثمر الوجد تحريك الاطراف اما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب واما موزونة فتسمى التصفيق والرقص » (٤) وقال ايضا « فاعلم ان الغناء أشد تهيجا للوجد من القرآن (٦) » ! !

وذكر الغزالي حكم الغناء في الشرع فقال : انه حكى القاضي ابوالطيب الطبري عن الشافعي ومالك وابي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا يستدل بها على انهم رأوا تحريمه وقال الشافعي رحمه الله في كتاب آداب القضاء : ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته (٥) .

ويباح الغناء على الندرة اذا كان خاليا من المعازف ولم يكن فيه فحش ، والا فهو حرام كثيره وقليله . لما صح عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة : مزمار عند نعمة، ورنة عند مصيبة(٧) » وفي رواية : « .. نهيت عن صوتين أحمقين، فاجرين : صوت عند نعمة ، وصوت عند مصيبة » .

قال الامام ابن الجوزي رحمه الله تعالى : اعلم ان سماع الغناء يجمع شيئين احدهما : انه يلهي القلب عن التفكر في عظمة الله سبحانه والقيام

(١و٢) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ٢ ص ٢٦٨ و٢٧٠
(٣) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ١ ص ٢٣٨ (٤و٥و٦) احياءعلوم الدين ج ٢ ص ٢٣ و ٢٦٢ . (٧) رواه البزار بسند رواته ثقات .

بخدمته . والثاني أنه يميله الى اللذات العاجلة التي تدعو الى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح ، وليس تمام لذته الا في المتجددات ، ولا سبيل الى كثرة المتجددات من الحل ، فلذلك يحث على الزنا فبين الغناء والزنا تناسب من جهة ان الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس ، ولهذا جاء في الحديث « الغناء رقية الزنا » (١) . وقد ذكر ابو جعفر الطبري ان الذي اتخذ الملاهي رجل من ولد قابيل يقال له : ثوبال ، اتخذ في زمان مهلائيل ابن قينان آلات اللهو من المزامير والطبول والعيدان ، فانهمك ولد قابيل في اللهو وتناهى خبرهم الى من بالجبل من نسل شيث ، فنزل منهم قوم وفشت الفاحشة وشرب الخمور .

وقال رحمه الله : وهذا لان الالتذاذ بشيء يدعو الى الالتذاذ بغيره خصوصا ما يناسبه ، ولما يئس ابليس أن يسمع من المتعبدين شيئا من الاصوات المحرمة كالعود نظر الى المعنى الحاصل بالعود فدرجه في ضمن الغناء بغير العود وحسنه لهم ، وانما مراده التدريج من شيء الى شيء ، والفقيه من نظر في الاسباب والنتائج وتأمل المقاصد ، فان النظر الى الامرد مباح ان أمن ثوران الشهوة فان لم يؤمن لم يجز . وتقبيل الصبية التي لها من العمر ثلاث سنوات جائز اذ لا شهوة تقع هناك في الاغلب فان وجد شهوة حرم ذلك . وكذلك الخلوة بذوات المحارم فان خيف من ذلك حرم فتأمل هذه القاعدة(٢) .

وقال الامام ابن الجوزي في موضع آخر .

وقد احتج ابو حامد الغزالي للمحبين للغناء بأشياء نزل فيها عن رتبته عن الفهم مجموعها انه قال : ما يدل على تحريم السماع نص ولا قياس» وجواب هذا ما قد أسلفناه (٣) .

ويزعم كثير من الصوفية أنهم لا يقصدون من اشعار الغناء معانيها الظاهرة ، انما يتخيلون لها معاني من خيالهم ، وهذا من تلبيس ابليس ليلبس عليهم الاستمرار على السماع ، والاصغاء للفحش .

قال أبو حامد الغزالي : « من أحب الله وعشقه واشتاق الى لقائه ،

---

(١) قال الفارسي في « الموضوعات » : هو من كلام الفضيل بن عياض (٢و٣) تلبيس ابليس ص ٢٤٨ – ٢٤٩ – ٢٧٣ .

فالسماع في حقه مؤكد لعشقه » قال ابن الجوزي معلقا على كلام الغزالي : « وهذا قبيح ان يقال عن الله عز وجل يعشق . وقد بينا فيما تقدم خطأ هذا القول ، ثم ُي توكيد لعشقه في توكيد المغني :

ذهبي اللون تحسب من — وجنتيه النار تقتدح
خوفوني من فضيحته — ليته وافى وافتضح(١)

المشاهدة

المشاهدة عند الصوفية هي رؤية الله سبحانه وتعالى بالابصار بعد طول العناء وشدة الرياضة والمجاهدات ! وفي راي الغزالي ان المشاهدة تتم اثناء الخلوة لذلك يقول : الخلوة لا تكون الا في بيت مظلم فان لم يكن له مكان مظلم فيلف راسه بجيبه أو يتدثر بكساء أو إزار . ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية (٢) ! .

ويتحدث ابن عربي في كتبه عن كثرة مشاهداته لله سبحانه وتعالى وتكليمه له . يقول : في واقعة رايت الحق فيها فخاطبني بما في معنى هذه الابيات :

مسكتك في داري لاظهار صورتي — فسبحانكم مجلى وسبحان سبحانا
فما نظرت عيناك مثلي كاملا — ولا نظرت عيني كمثلك انسانا

وسماني باسم ما سمعت به قط الا منه تعالى في تلك الواقعة وهو (بازديار) فسألته تعالى عن تفسير هذا اللفظ فقال (ممسوك الدار)(٣) .

فما رأي القارىء بكلام الغزالي وابن عربي ؟ !! مع العلم بأن القرآن والحديث أخبرا باستحالة مشاهدة الله سبحانه في الدنيا . قال تعالى : (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون) (٤) وقال تعالى : ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب

(١) تلبيس ابليس ص ٢٤٧ . (٢) احياء علوم الدين ج ٢ ص ٦٦ .
(٣) الفتوحات المكية ج ٢ ص ٤٢٤ . (٤) البقرة ٥٥ .

ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فأن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا أول المؤمنين(١) .

وقال سبحانه ، (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء انه عليم حكيم) (٢) .

وعن ابي ذر رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل رأيت ربك تعالى ؟ قال نور . أنى أراه (٣) .

وعن مسروق قال : قلت لعائشة رضي الله عنها . يا اماه : هل رأى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ربه ؟ فقالت : لقد قف شعري مما قلت . اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب . من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب . ثم قرأت « لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار » ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرات « وما تدري نفس ماذا تكسب غدا » ومن حدثك انه كتم شيئا من الوحي فقد كذب ثم قرات « يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك) الآية . ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين (٤) .

الفنــاء

الفناء نهاية **مطاف** الصوفيين وآخـر مرحلة من مراحل الطريق والهدف الاسمى للعمل الرياضي الشاق وهجر الاطعمة والملذات . وهو اضمحلال الذات بالذات أي ذات الانسان بذات الله عز وجل ! وقـد جاء في كتاب مصرع التصوف . ان السالك اذا انتهى سلوكه الى الله تعالى في الله يستغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته في ذاته وصفاته في صفاته ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى في الوجـود الا الله وهو الذي يسمونه الفناء في التوحيد » (٥) .

---

(١) اعراف ١٤٣ (٢) الشورى : ٥١ (٣) اخرجه مسلم والترمذي .
(٤) اخرجه الشيخان والترمذي . (٥) مصرع التصوف ص ٨١ .

وقد اكثر المتصوفة من ذكر الفناء في كتبهم واشعارهم . ويقول الغزالي في الفناء هو فناء رؤية العبد لفعله بقيام الله تعالى على ذلك(١) .

وبما ان المشاهدة مستحيلة في الشرع فمن باب اولى ان يكون الفناء وهم من الاوهام وهو عقيدة وجدت اصولها في الديانة البوذية كما وجدت في الافلاطونية الحديثة . فالفناء لدى البوذيين هو غاية الغايات. ومنتهى الآمال ويسمى عندهم (النيرفانا) أوالفناء المطلقوالسعادة الدائمة الابدية.

وقد وضع بوذا اربع حقائق للوصول الى (النيرفانا) ولها نظائر عند الصوفية وهي :

١ ــ المكابدة والالم .

٢ ــ سبب المكابدة والالم وهو الرغبة الملحة في اللذة .

٣ ــ وقف المكابدة والالم ويقع عنطريق منع الرغبة فياللذة منعا باتا.

٤ ــ الطريق لمنع المكابدة والإلم وهو على ثمان مراحل هي كما يلي :

١ ــ الفعل الصحيح ٢ ــ وسائل العيش الصحيحة ٣ ــ المعنى الصحيح ٤ ــ الذكرى الصحيحة ٥ الاعتقاد الصحيح ٦ القصد الصحيح ٧ ــ القول الصحيح ٨ ــ التأمل الصحيح . ويطلق بوذا على طريقته هذه الطريقة الوسطى(٢) وفي الافلاطونية الحديثة اساس لنظرية الفناء المطلق ، فهي تؤمن ان الانجذاب الروحاني هو الطريقة الوحيدة التي توصلنا الى المعرفة . وهذا الانجذاب لا يتم الا عندما نكون في حالة سكر روحاني فتمتزج الروح الفردية بالخير المطلق (الله) وتدرك اسرار جميع الكائنات وهذه مرحلة لا تصل اليها الا الارواح الموهوبة كالانبياء والحكماء بعد محاولات عديدة) (٣) .

مما سبق ندرك صلة نظرية الفناء بالديانة البوذية ، وهي تمهيد لنظرية الحلول والاتحاد التي يحاربها الاسلام حربا لا هوادة فيها !

---

(١) الاملاء على هامش الاحياء ج ١ ص ٦٦ . (٢) الحكماء الثلاثة ص ٨٢ .
(٣) التصوف عند العرب ص ٤٧ .

الصلة بين التصوف والتشيع

قال الدكتور كامل مصطفى الشيبي[1] :

... قد يعترض معترض على سلكنا ابن عربي في قائمة المتصوفة الصادرين عن مثل التشيع ، لانه كان صوفيا عميق الصلة بالتصوف ، بعيد الصلة بالتشيع ، بعيدا عن مؤثراته ، قد يكون ذلك صحيحا من حيث ظاهره ، ولكن نظرة فاحصة تبين لنا أنه استخدم مثل الشيعة في بناء مذهبه . ومن ذلك انه قد عرض للمهدية وفصلها ورتبها وألف فيها كتابا برأسه هو « عنقاء مغرب » وضمن « الفتوحات المكية » كثيرا جدا من آراء الشيعة على صورة صوفية . وسيتبين لنا في بحثنا لافكار الصوفية المتأخر ان ابن عربي أخذ فكرة الحقيقة المحمدية (٢) عن الشيعة ، بل انه ليعتمد في فكرته في وحدة الوجود على هذه الحقيقة المحمدية الازلية . وسنرى انه جعل فكرة النور الشيعية أساسا لمذهبه ، فجعل الاولياء خلقا نورانيين منفلقين عن انوار محمد .

وقد تنبه ابن عربي أيضا الى الحديث القائل : «سلمان منا أهل البيت» وجعل سلمان الفارسي مثلا يضرب على شمول النور النورية للناس .

لقد كان ابن عربي مطلعا على مذهب الشيعة اطلاعا عميقا بحيث جعل يناقش جوهر مذاهبهم ، فحكم بأن من شرط الامام الباطن أن يكون معصوما ، وليس الظاهر ان كان غيره يكون له مقام العصمة[3] » فأوضح لنا أنه قد التفت الى رأي هشام بن الحكم الذي جعل العصمة ضرورية للامام ، وأخرجها من النبوة ، فجاء ابن عربي وسار بها شوطا آخر فأخرجها من الامام الظاهر واسبغها على الامام الباطن الذي هو اولي في الحقيقة ، فكأنه بذلك قد صب آراءه الصوفية في قوالب كانت شيعية الاصل .

---

(١) باختصار عن كتاب : « الصلة بين التصوف والتشيع » والمؤلف شيعي .
(٢) قال المناوي في الفيض : جزم الحافظ الذهبي بضعف سنده ، وقال الهيثمي فيه عند الطبراني كثير بن عبد الله المزني ضعفه الجمهور . وهكذا بطل كلام ابن عربي من أساسه (ف) (٣) لقد سبق ان تحدثنا عن الحقيقة المحمدية وواضحنا انها فكرة غير اسلامية !
الفتوحات المكية ١٨٣/٣

مقومات الامامة في الولاية الصوفية

من هذه المقومات العلم ، والعصمة ، والكرامات والخرقة والتقية والطريقة . . .

١ ــ فأما العلم فقد قال الجنيد : كان على نفسه ، قد « أعطي العلم اللدني » (١) .. العلم هو الذي دخل التصوف وصار المتصوفة مندمجين عليه لانهم اعتبروا أنفسهم خاصة أهل الله الذين منحهم اسرار العلم الباطن المودع في القرآن والحديث

ومن ذلك ايضا ما رواه الجنيد بقوله : « كان عندنا ببغداد عبد أسود اعجمي اللسان نسأله عن القرآن آية آية فيجيبنا عن ذلك بأحسن جواب ، وهو لا يحفظ القرآن ، وذلك دلالة ولايته (٢) .

ويضيف ابو يزيد البسطامي الى ذلك قوله : « أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت (٣) فضرب لنا مثلا واضحا للولاية الصوفية المقابلة بالامامة الشيعية ويقول الصوفية : « أن التصوف ليس في الحقيقة الا العلم الباطن الذي ورثه علي بن أبي طالب عن النبي (٤) صلى الله عليه وآله وسلم وقد جعل الصوفية الغلاة من الشيعة اسوة وقدوة ، ولا سيما فيما يختص بالعلم الباطن . . .

٢ ــ وأما العصمة ، فان من الامور التي لم يلتفت اليها الباحثون ، توافق المتصوفة والشيعة في اشباع العصمة . على الاولياء والائمة ، وان اول شيعي قال بعصمة جعفر الصادق كان هشام بن الحكم المتكلم الشيعي الكوفي (٥) .

---

(١) اللمع ص ٩ ــ ١٢ . (٢) في التصوف الاسلامي ص ٧٧ (٣) المصدر السابق .
(٤) تفسير التستري ص ٧ . (٥) في التصوف الاسلامي ص ٧٦ .

قال ابن عربي مما يثبت صلته التصوف بالتشيع « ان عليا من اصحاب العلم » « ممن يعلمون من الله ما لا يعلمه غيرهم (الفتوحات المكية ص ١/٢٦٠) .

قال الصوفي ابن عجيبة في كتابه ايقاظ الهمم في شرح الحكم ١/٥ مما يثبت الصلة الوثيقة بين الصوفية وبين الشيعة : « وأما واضع هذا العلم ــ يعني التصوف ــ فهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالوحي والالهام ، فنزل جبريل اولا بالشريعة ، فلما تقررت ، نزل ثانيا بالحقيقة ، فخص بها بعضا دون بعض ، وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا علي رضي الله عنه ، وأخذه عنه الحسن البصري » . وكل ذلك لا صحة له ولا سند ! ! (ف) .

وقد اثبت دونا للسن ان العصمة فكرة شيعية أصيلية لم تتطرق اليها الاسفار الدينية المسيحية واليهودية ، ولم يقل بها المسلمون الاولون ...

اما الصوفية فقد قالوا بذلك ولكن على صورة غير مباشرة ، وكان غرضهم من ذلك اخفاء التوافق الواضح بينهم وبين التشيع بعد أن جهدوا في ستر هذه الصلة ذلك الزمن الطويل . واول من أخفى القول الصريح بالعصمة أصحاب كتب التصوف ، وهم متأخرون عن بدايته فسموها بالحفظ : فقال الكلاباذي : « ولطائف الله في عصمة انبيائه وحفظ اوليائه من الفتنة أكثر من ان تقع تحت الاحصاء والعد (١) »

والغريب ان المتصوفة والباحثين يحاولون ــ في بحثهم عصمة الصوفية ــ المقابلة بين الانبياء وبينهم دون أن يدركوا ان المتصوفة لم ينظروا الى الانبياء من هذه الناحية ، وانما اتجه نظرهم الى الائمة ، وقد اتهم رجل من أصحاب العصمة الشيعية انه جوز الخطأ على الانبياء ، ولم يجوزه على الائمة ، فليس المثل الاعلى الانبياء ، وانما الائمة(!!) ويجب ان نتذكر دائما ان الشيعة الغالين لم يؤلهوا الانبياء ، وانما الهوا الائمة ، وكذلك فعل الصوفية في أخذهم عنهم باتجاههم الى صفات الائمة التي لم يشبها شائبة .

ويتأكد هذا الاتصال بين الصوفية والشيعة بقول ابن عربي : « بان من شرط الامام الباطن أن يكون معصوما ، وليس الظاهر ان كان غيره يكون له مقام العصمة(٢) فأي دليل بعد ذلك انصح من هذا الدليل على دخول العصمة الى التصوف من التشيع وقد عرض الاستاذ احمد امين لموضوع العصمة الشيعية فقال : لقد دخل على المسلمين من جراء العصمة والمبالغة . في في الشفاعة ضرر كبير . ولم يكتف الضرر على الشيعة ، اذ تسربت تعاليمهم الى غيرهم من الفرق الاخرى الاسلامية ، فكان السنيون اذا رأوا الشيعة ينسبون عملا وفضلا لامام نسبوا مثله للانبياء على الاقل . ففلا بعضهم في القول بعصمة الانبياء من الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها ، وهو مخالف لصريح القرآن (٣) .

---

(١) التعرف ص ٩٩ . (٢) الفتوحات المكية ١٨٣/٣ (٣) ضحى الاسلام ٢٣٥/٣

... ونعود فنقول ان المتصوفة ـ في بداية تأسيسهم التصوف ـ حاولوا أن يجعلوا له السمت السني والطابع الاسلامي المحافظ فجهدوا ان يبتعدوا بتعليلاتهم عن الجوهر ، وصبغوا كلامهم بتعليلات سطحية لفظيــة . ولكن رجعــة الى الوراء وقبل هذا التأسيس الذكي تقفنــا على وجــود العصمة الصوفية ، وهــذا ابراهيم بن أدهــم يقــول في طوافه : ـ « يا رب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا (١) .

ويحسن أن نضيف الى ذلك ان جلال الدين الرومي اضاف العصمة الى الحلاج بناء على أن قلب الصوفي محل امر الله ، وانه لا يشاء الا ان يشاء الله (٢) .

٣ ـ واما الكرامات ، فان من الامور البارزة في أوصاف الصوفية صدور الكرامات منهم ... وهناك تشابه ظاهر حتى في الحوادث بين كرامات الصوفية ومعجزات الائمة (٣) .

ثم اخذ المؤلف بضرب الأمثلة الكثيرة على ذلك .

٤ ـ ومنها التقية(٤) : وقد كان التصوف يشتمل على أساس التقية دون أن يعلن ذلك على الملأ ، وذلك انه حين بدأ يتخذ سبيله الى الحلول ، ورأى خطر ما هو مقبل عليه ، حاول بعض المتصوفة أن يخففوا من غلوائهم ولو أمام بسطاء الناس من العامة لئلا يلحقهم الاذى من ذلك .

وقد كان الجنيد البغدادي نفسه عاملا بالتقية متسترا بها ، حتى كان « لا يتكلم قط في علم التوحيد الا في قعر بيته ، بعد ان يغلق أبواب داره ويأخذ مفاتيحها تحت وركه ويقول : اتحبون أن يكذب الناس أولياء

---

(١) قوت القلوب ١٢٦/٢ . (٢) مناقب العارفين للافلاكي انقرة ٢٨٥ .

(٣) المؤلف الذي ننقل عنه هــذا البحث شيعي ، يعتقــد بأن للائمة معجــزات وهــذا زور وبهتان ! (٤) التقية مبدأ رهيب ، فأهله يظهرون لغيرهم غير ما يخفون فيبدون لهم معسول القول ويضمرون لهم غير ذلك . وتنسب الدعوة الى التقية لبعض الائمــة امثال الباقر وجعفر رضي الله عنهما ، وكل ذلك غير صحيح (ف) .

الله وخاصته ويرموهم بالكفر والزندقة(١) . وقد اخبرنا الشعراني الى ذلك ان السبب في ذلك ، تكلمهم فيه (٢) وانه كان بعد ذلك يتستر بالفقه الى ان مات (٣) .

ومع هذا الوضوح في شأن التقية في البيئات الصوفية ، فانها لم تنكشف وظلت حقيقتها خافتة ، ولكن الظرف الحقيقي الذي أثبت وجود التقية بل أثبت ضرورتها للتصوف قد تأخر الى بداية القرن الرابع الهجري حين قبض على الحلاج وحوكم مع قوم كانوا يعتقدون الوهيته ، واعترفوا بأنه صح عندهم بأنه يحيي الموتى وقابلوا الحلاج على ذلك فأنكره وقد كان الشبلي من هذا الفريق المتمسك بالتقية ، وهو القائل : « كنت أنا والحسين بن منصور ــ الحلاج ــ شيئا واحدا الا أنه أظهر وكتمت (٤) » !

٥ ــ ومنها تأويل آيات القرآن(٥) . . .

٦ ــ ومنها الخرقة قال ابن خلدون ان الصوفية توغلوا في الديانة حتى جعلوا مستند طريقتهم في لبس الخرقة ان عليا رضي الله عنه ألبسها الحسن البصري ، وأخذ عليه العهد بالتزام الطريقة ، واتصل عنهم بالجنيد من شيوخهم (٦) . وقد علق ابن خلدون على ذلك بما يقطع بأخذ التصوف عن التشيع واتصاله به فقال : « وفي تخصيص هذا بعلي دونهم ــ يعني الصحابة ــ رائحة من التشيع قوية يفهم منها ومن غيرها دخلهم في التشيع وانخراطهم في سلكه (٧) .

٦ ــ ومنها الطرق الصوفية : وقد أثبت المؤلف كامل مصطفى صلتها بالتشيع ان رؤساء هذه الطريق يدعون نسبتهم الى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتنتقل رئاسة الطريقة الى ذريتهم من بعدهم كما هي الحال عند الشيعة . ومما قاله هذا المؤلف ليثبت صلة التصوف بالتشيع :

ويحسن أن نبين ايضا ان البكتاشية يدينون بالائمة الاثنى عشر

---

(١) طبقات الشعراني ١/١٠ (٢و٣) المصدر السابق ١/١٠ (٤) اربعة نصوص ص ١٩ . (٥) كنا ذكرنا مبحث تأويل الصوفية للقرآن حتى أبعدوه عن حقيقته ومعناه فيما سبق من موضوعات هذا الكتاب ، وهم في ذلك عيال وتلامذة للشيعة الذين أولوا آيات الله وحرفوها في سبيل تأييد مذهبهم ــ او فرقتهم على الاصح !
(٦و٧) مقدمة ابن خلدون ص ٢٣٣ .

وسائر تفاصيل العقيدة الشيعية المذكورة بالاضافة الى المشرب الصوفي الذي يرى في الحلاج وقتله شيئا له أهميته (١) . ويكفي في ايراد الصلة بين أشهر هذه الطرق وبين التشيع – ونعني بها الطريقة الرفاعية – ان من مراسمها الخلوة المحرمية ، ونعني انهم في كل سنة يعتكفون سبعة أيام . اولها الحادي عشر من شهر محرم الحرام(٢) » والحادي عشر من المحرم هو اليوم التالي لقتل الحسين .

فهذه الايام السبعة التي يقضيها المريد الرفاعي تعني اظهار الحزن الشديد على الحسين كما يفعل الشيعة على صورة فيها مبالغة فى الحزن .

وقد رأينا فيما سبق من مباحث هذا الكتاب كيف كان الامام ابن خلدون من اوائل من كشف الصلة بين التصوف والتشع ، ويجدر بنا بهذه المناسبة ان نشير الى ما قاله الاستاذ « بندلي جوزي » ١٢٨٥ م – ١٣٦٤ هـ ، ١٨١٨ هـ – ١٩٤٥ م في كتابه : « من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام » وهو باحث كان يحاضر في جامعتي : (قازان) و (موسكو) « وانا نرجح حصول هذا التطور في حياة (اخوان الصفا) وخلاياها المتعددة ، استنادا الى ما نعلمه من أعمال الجماعات التي خلفت (اخوان الصفا) وتأثرت بمبادئها ، نذكر منها الهيئات التي ظهرت في عهد الاتراك بين العرب والفرس والترك لبعض الطرق الصوفية والدراويش كالطريقة النقشبندية والرفاعية واليكجيا وغيرهم ممن يمتون بنسب روحي الى (اخوان الصفا) . أما أنه كان بين الجماعات المذكورة صلة روحية ، فهذا أمر يكاد يكون اليوم ملموسا ومتفقا عليه عند العلماء(٣)!!.

٧ – ومنهامراتب الصوفية وقد كون الصوفية خلال تطور عقيدتهم نظاما هرميا مقدسا يبدأ من القطب الذي يقابل الامام الشيعي ، ويتفرع الى الابدال والاوتاد والافراد والركبان والملامتية وهكذا . ويحسن أن نقول في هذه المراتب كلمة لاندراجها تحت مثل التصوف وقواعده وتقاليده ، ولنبين الاثر الشيعي فيها . لقد ربط الاستاذ أحمد أمين

---

(١) امالي الاستاذ توفيق وهبه ، وفي كتابنا « الفكر الشيعي والنزعات الصوفية دراسة وافية عن هذه الطريقة الصوفية

(٢) الاسرار الالهية ص ٤٨ .

(٣) ص ٢٢٤ نشر دار الروائع .

هذه المقامات « بفكرة المهدي وفروعها عنها وجعل المهدية اساسا للقطب على اعتبار أن الصوفية صاغتها صياغة جديدة .. وكونت مملكة من الأرواح على نمط مملكة الاشباح ، وعلى رأس هذه المملكة الروحية . القطب (١) ، وهو نظير الامام او المهدي في التشيع (٢) .

ونختم بحثنا عن صلة التصوف بالتشيع بكلمة للدكتور زكي مبارك بعد ان تحدث عن نظام الاقطاب ، والابدال والاوتاد ..

« ... من اين جاء الصوفية بهذا النظام الغريب ؟ !

يرى ابن خلدون انهم نقلوه عن الشيعة (حتى انهم لما اسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلا لطريقتهم ونحلتهم رفعوه الى علي رضي الله عنه (٣) » .

والواقع ان الصلة وثيقة بين التشيع والتصوف ، فعلي هو معبود الشيعة ، وهو امام الصوفية ...

وقد حدثوا ان الجنيد أخذ الطريقة عن خاله سري السقطي ، وكان أخذها عن معروف الكرخي ومعروف الكرخي اخذها عن علي بن موسى الرضا (٢) ، والشيعة انفسهم يعطفون على المتصوفة أبلغ العطف ! !

وطبيعة الاشياء توجب ان يقترب التشيع والتصوف فالشيعة انهزموا في ميدان السياسة ، والصوفية انهزموا في ميدان الحياة ،

---

(١) ولا يشترط الاسلام كعقيدة للقطب ومن دونه ! قال الاستاذ عبد الرحمن الوكيل في كتابه : « هذه هي الصوفية » ص ١٧٦ : « استمع الى اولئك الدراويش يجلسون بعد حلقات الذكر ، تجدهم يتسابقون الى القول بأنهم : (يهود ، نصارى ، مجوس) يصيحون من الفرحة الطروب أكفر أكفر يامربي ! ثم يتبارون في انشاد ازجال أو أشعار يزعمون انها الهام ساعتهم ، وما زلت اذكر ذلك الرجل الهرم في قريتي وهو يقول عن الاقطاب :

ساعة يجونا عرب — ساعة يجونا أعجام
ساعة يجونا نصارى — لا بين زنار
ساعة يجونا نصارى — من حدا الخمار

(٢) ضحى الاسلام ٣/٢٤٥ وما لنا نذهب بعيدا في اثبات الصلة بين التصوف والتشيع وهذا الرواس من كبار الصوفية وعمدتهم يصرح : وهذه آياتنا تفحصها كلماتنا ، جفرنا محمدي ، ... وتقريره فاطمي ، وتحريره باقري ، وتسطيره جعفري ، وارمازه رفاعي ، بارق الحمى ص ٤٤

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٣ . (٤) النجوم الزاهرة ج ٨ ص ١٦٩ .

والاشتراك في الهزيمة يقرب بين النفوس . وقد مضت في هـذا الكتاب فقرات كثيرة تبين أن المرء يتصوف حين ينهزم (١) .

---

(١) باختصار عن التصوف الاسلامي ٢/٣٣ – ٣٥
بمناسبة الكلام على الصلة بين التشيع والتصوف نذكر على سبيل الطرافة والتندر عبارات للشيخ محمد ابي زهرة استاذ كلية الشريعة في جامعة القاهرة واستاذ الملل والنحل في كلية اصول الدين ، تدل انه يكاد يكون لم يطلع على تاريخ الملل والنحل.
وقد علق على هـذه العبارات الاستاذ محمود الملاح في كتابه/٢ « مجموع السنة » بما يبكي ويضحك وينزل بمستوى بعض أصحاب الشهرة العالية والالقاب الرسمية الى الحضيض ! ! .
قال ابو زهرة :
١ – وان كنت لا أريد ان أقول ان هذه الفرق كلها كان تكوينها نتيجة لهـذا الدس الفكري .. وذلك ليس بضار الا اذا أدى الي الحزازات ... ص ١١٧
ويعلق الاستاذ الملاح على هذا الكلام بقوله : ومآل هـذا ان الحزازات والخصومات اذا ارتفعت فلا بأس باختلاف الامة الى اكثر من اثنين وسبعين امة ، وان كانت سبئية أوراوندية ! ص ١١٧ .
وقال ابو هرة :
٢ – اما ما يطلبه الاستاذ منصور رجب عن طريقة التقريب .. فاني اعتقد أنه سهل يسير اذا علمنا ان اسباب الخلاف قد زالت (! !) وذلك لان الخلاف ... كان ذا لون نظري فكري (! !) ص ١٧ .
ويعلق الاستاذ محمود الملاح على :
وهـذه الشهادة هي التي تحرص الطوائف المفارقة للجماعة على اقتناصها من أفواه امثال ابي زهـرة . الحجة في الملل والنحل .. وهو استاذ الملل والنحل في كليـة أصول الدين (! !) وهو بعد ذلك لا يريد أن تلغى ثمرات « النظر الفكري » على حـد تعبيره « لانه ثمرات تفكير المفكرين » ... ص ١١٨
وقال ابو زهرة :
٣ – ان التراث الفقهي للشيعة هـو تراث المسلمين أجمعين ص ١١٨ ! !
ويعلق الاستاذ الملاح على هذا الكلام فيقول فياقرة عين .. (أي الشيعة) .. فطالما سفكت دماء في سبيل هذه الكلمة حتى القاها الاستاذ ابو زهرة عفوا بغير ثمن !!
ولو كان نادرشاه حيا لقبله من فيه وخلع عليه ... وساما لانه كان يكفيه مؤونة الجول والجلاد !
(٤) وقال ابو زهرة : « وان ابن تيمية الذي شدد في الغارة على المنحرفين المنتسبين للشيعة .. ص ١١٩ .
قال الاستاذ محمود الملاح في الرد على أبي زهرة وتتمة العبـارة تفيد ان ابـن تيمية اقتبس بعض آرائه الفقهية من الشيعة رأسا لعدم اعتباره بالحلف بالطلاق ، وعدم اعتباره الثلاث ... (أي اعتبار الطلقات الثلاث : واحدة .
ثم يقول الاستاذ الملاح : فماذا يعني بالمنحرفين المنتسبين ؟ ! ان هذا التعبير الرخيص ثمنه لدى الشيعة (حمل بعير) ... وأنابه زعيم ! ان اكبر عالم فيهم لم يتهيأ له أن يسبك هذا السبك أو يسك هذا السك ؟ !

←

مؤلفات صوفية سخيفة

في هذا الوقت العصيب الذي نستعد فيه لمنازلة خصم عنيد يود استلاب أوطاننا ويحاول افناءنا مما يدعونا لمضاعفة جهودنا لقتاله .

أجل في هذا الوقت العصيب تظهر في بلدة حماة المناضلة طائفة من المؤلفات الصوفية المخدرة والمنومة والمملوءة بالاوهام والخرافات .

وهذه عناوين بعضها وكلها من تأليف الرواس المسمى القطب الغوث!!

١ ـ كتاب بوارق الحقائق للقطب الغوث الفرد وعدد صفحاته ٤٩٦ .

٢ ـ بارق الحمى وكشف الغين عن العين وعدد صفحاته ١٥٢ صفحة.

٣ ـ سماع وشراب عند أشرف الاقطاب (! !) وعدد صفحاته ١٧٦ وكلها على ورق أبيض صقيل .

٤ ـ وجاء في احد هذه الكتب اعلان بعنوان بشرى سارة ! بطبع ديوان الرواس المسمى : « نور الفتوح المنبلج من الحضرة الكبرى متدليا الى الروح (! !) .

←

ان ابن تيمية أشد احتياطا من أن يقلد الشيعة او يثق برواياتهم ، وهو متقيد بقوله تعالى : (يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت) وهو يرى كل منحرف طاغوتا مهما كان مذهبه ! ! ص ١١٩

ثم قال الاستاذ محمود الملاح :

« ان مصيبتنا في (الالقاب الرسمية !) والاحكام السطحية ! والتعلق بالعمومات والانخداع بالالفاظ المشتركة والمصطلحات المتداولة مثل : يجمعنا القرآن وتجمعنا السنة ؟ ! وتجمعنا القبلة ..! ولا خلاف بيننا في أمر جوهري ! انما هي في امور لا تتصل بالعقيدة الخ .. » ؟ !! ص ١٢٢

نحن اليوم لا يجمعنا قرآن لاننا مختلفون في مقاصده ، بل في تحديد مدلوله ! ولا تجمعنا السنة لانا مختلفون في مواردها ومصادرها ... وبعد أنا لا يجمعنا القرآن ، لا يجمعنا شيء !! » ص ١٢٢ ـ ١٢٣ باختصار ا هـ .

ولم يقتصر الامر على تأويل آيات القرآن الكريم فقد جاء في الصفحة ٢٨ من كتاب الكافي كما ذكر ذلك الاستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى في كتابه الخطوط العريضة والكافي هو بمنزلة صحيح البخاري عند المسلمين .

« قال جعفر الصادق (!!) وان عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام ، وهو مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد » جـ ٥٧ طبعة ١٢٧٨ بايران ! ما أروع العبارة الاتية التي قالها الاستاذ الملاح في الشيخ ابي زهرة استاذ الشريعة في جامعة القاهرة ! بعدما ساق بعض كلامه : « ان مثل هذا لا يليق بعالم أن ينخدع به ! ! او يكون قصير النظرة ص ١٢١ ، ١٢٢ .

وقد عني بطبع هذه الكتب « عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط السقباني الدمشقي الذي وصف نفسه بأنه « أحقر من ترمي » ، وهو وصف يصور نفسية الصوفيين وتربيتهم التي تقتل الشخصية ..

وهي توزع مجانا ! على نفقة الشيخ عبد العزيز سالم السامرائي مع انها تكلف عشرات الآلاف من الليرات .

وقد طبع الكتاب الثاني والثالث باشارة ــ كما جاء في غلافات مدير الدائرتين ، وهمة القائم في الرحبين ، ونائب الاقطاب الوارث ابنــاء الامام ابي العلمين الشيخ محمود بن عبد الرحمن الشقفة ! !.

وقد وجدت من المستحسن ان ينقل بعض عناوين هذه الكتب آملا مــن القــارىء اللبيب المنصف ان يضبط نفســه فــلا يتفطر أســى ولا يتفجر ضحكا فان شر المصيبة ما يضحك !

١ ــ بعض محتويات كتاب سماع وشراب عند اشرف الاقطاب !

كان يسمع حديثه البعيد مثل القريب والاطرش والاصم ، لم يخرج من الدنيا وعليه شيء من لحمها . اذا وقع عليه البعوض او الجراد لا يطيره رأفــة به .

٢ ــ بعض محتويات كتاب بارق الحمى وكشف الغين عن العين !

بشارة الرسول للمؤلف وأتباعه ! وقوف المؤلف امام قبر الرفاعي وظهور اسرار في تلك الحضرة. حصول المؤلف على مرتبة الغوثية . وصية الخضر للمؤلف .

٣ ــ بعض محتويات بوارق الحقائق .

طلبه الاذن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بطلب العلم . مجيء القطب الغوث صاحب الوقت اليه في الجامع الازهر وامره له بالخروج والانتداب ، وصوله العريش ورؤيته لخليل الرحمن . اجتماع برأس الابدال السيارة وذكر له شيئا عن مستقبل ابي الهدى الصيادي . وصوله حلب فكان اول من استقبله قطب البلد . زيارته لسيدنا زكريا في الجامع الكبير وشهادته للمؤلف بالمعرفة واتحافه برداء مكتوب عليه (فاستقم كما أمــرت) وقال له هذا كساء البدلية . زيارته لمعروف الذي برز له ونشر عليه رداء كان عليه . وصوله (البيرة) وزيارته لمقبرة هناك ، فنودي منها : هات ما عندك ياولي الله .

رجل من رجال الغيب يسقط عليه في صحن جامع في ماردين ويسأله فيجيبه المؤلف . رأى في الموصل رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له اشارات بتعيين اوقات . ورأى في الموصل الخضر عليه السلام فسأله عن تعبير القول النبوي : « جدد، جدد، جدد » فبين وأصاب(1) .

---

(1) فمن أين جاء بهذا الكلام الذي سماه حديثا ؟ ! وقد رأيت على سبيل التندر والسخرية ذكر امثلة عما جاء في هذه الكتب ومناقشة بعض موضوعاتها ، لان اكثر ماجاء فيها يشبه كلام المجانين ، وهل يناقش المجنون ؟ !

ونحن عصبة دين للوجود بدت   بالحق لم يعرف الرحمن لولاها

ما ذكرت الحبيب روح البرايا   في مقام الا وقد غبت عني
ليته جاد لي بقبلة نعل   هي اشهى من الف جنة عدن

رأى العارف البجلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام ، فقال : يا رسول الله علمني شيئا ، فقال له عليه الصلاة والسلام : وقوفك بين يدي ولي الله كحلب شاة أو كشي بيضة ، خير لك من ان تعبد الله حتى تتقطع أربا أربا قال حيا كان او ميتا . قال : حيا كان او ميتا .

وقال الرواس يشيد بالرفاعي ويستغيث به ويزعم انه يحيي الموتى : مما يجعله شريكا لله .

كم له من مدد يحيي الرميم ...
لو ندبناه على ميت عفا   قام بالسر كظبي ربرب

وقال الرواس :

ان العبد اذا تمكن من الاحوال بلغ محل القرب من الله عز وجل . وصارت الارضون كالخلخال برجله ، وصارت صفته من صفات الله جل وعلا لا يعجزه شيء ، وصار الحق سبحانه وتعالى يرضى لرضاه ويسخط لسخطه .

كان الرواس يمشي الى المجذومين .. ويغسل ثيابهم ويفلي رؤوسهم ولحاهم .. ويأكل معهم .

وهذا العمل من الرواس جهل ومخالفة للحديث النبوي الصحيح القائل : « فر من المجذوم فرارك من الاسد » وقد أيد الطب الحديث هذا التحذير النبوي .

وكان – أي الرواس – يبدأ من لقيه بالسلام حتى الانعام والكلاب ، وكان اذا رأى خنزيرا يقول له : انعم صباحا .

وهو شيخ الكل في الكل يسح النوال من حجرة جده صلى الله عليه وآله وسلم على قلبه ، وهو يقسمه على الرجال في الارضين ، ولا ينقطع مدده باذن الله ، والدولة له ولذريته الى يوم القيامة .

وقال الرواس :

اخبرني الشيخ عبد الله الهندي قال اخبرني الشيخ ابو الفتح الواسطي قال : كنا مع سيدنا احمد الكبير الرفاعي على شاطىء نهر في جم غفير من أصحابه فقال : نشتهي اليوم ان نأكل سمكا ، فما اتم كلامه حتى خرج الى شاطىء النهر من الاسماك ما لم ير مثله (وخلاصة القصة اكلوا منها ثم أحياها الشيخ باذن الله) . وشبه هذه الحادثة باحياء الموتى لعيسى عليه الصلاة والسلام وقال : ما جاز ان يكون معجزة لنبي ، جاز ان يكون كرامة لولي .

←

وهذا كذب واختلاق ، ومعجزة النبي لا يقـدر عليها جميع الاولياء !

لدى تصفحي مواضيع كتاب (بوارق الحقائق) للرواس ، وجـدت نقـاطا تحتـاج الى بيان شـاف ـ ان كان لها بيان شـاف ـ للتوفيق لما يظهر فيها من تضارب بين ، ولذا علقت عليها بملاحظات علني أجـد من يستطيع ان ينقض هـذه الملاحظات ممن يكون رائـده الحق ، والحق احق ان يتبع .

الاولى ـ يذكر ناشر ومحقق هذا الكتاب في ذيل صحيفة ١٤١ ـ ١٤٢ ناقلا عن (روضة العرفان) لمؤلفها السيد محمـود ابو الهـدى خليفـة الرواس قـال فيهـا : (الائمة الاثنا عشر) رضي الله تعالى عنهم أئمـة آل بيت الرسول صلى الله تعـالى عليـه وسلم ، تشمل امامتهم كثيرا من المعاني اختلف فيها الفرق ـ ثم بعد ان يذكر رأيين لفرقتين من الشيعة الاثني عشرية في هؤلاء الائمة ، يقول ـ : واشرف المذاهب فيهم ، مذهب اهل الحق من رجال الله العارفين فانهم يقولون : ان الائمة الاثنى عشر ، هم أئمة العترة فكل واحد منهم امام الآل في زمانه ، وصاحب مرتبة الغوثية المعبر عنها بالقطبية الكبرى ، وهـم : ١ ـ سيدنا امير المؤمنين (علي بن ابي طالب) كرم الله وجهه ، ٢ والامام الجليـل ولده ابو محمد (الحسن) ٣ ـ والامام الشـهيد (الحسين) ٤ والامام زين العابدين (علي) ٥ ـ والامام (محمد الباقر) ٦ ـ والامام (جعفر الصادق) ٧ ـ والامام (موسى الكاظم) ٨ ـ والامام (علي الرضا) ٩ ـ والامام محمد الجواد ١٠ ـ والامام (علي الهادي) ١١ ـ والامام (الحسن العسكري) ١٢ والامام (محمد المهدي) المنتظر الحجة ، رضي الله عنهم جميعا . ا هـ .

الملاحظة ـ اذا كان علي كرم الله وجهه صاحب مرتبة الغوثية المعبر عنها بالقبطية الكبرى كما تقدم آنفا ، فما مرتبة ابي بكر رضي الله عنه اذن ؟ وهو افضل هـذه الامـة بعد الرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام عند اهل السنة والجماعة . فأمامنا اذن احد قولين :

أ ـ اما ان يكون الصواب في قول الشيعة في تفضيلهم عليا على ابي بكر رضي الله عنهمـا .

ب ـ واما ان يكون ابو بكر وصل مرتبة (الافراد والاحاد) الذين هم ـ كما زعم الحاتمي كما في صفحة ٢٩ من كتاب « معراج التشوف حقائق التصوف » لاحمد بن عجيبه ـ اكمل من القطب في العلم بالله ، وخارجون عن دائرة تصرفه . ا هـ . فأي القـولين فيه صواب ؟ .

الثانية ـ ويذكر أيضا عن « روضة العرفان » بعد ما تقـدم في ذيل الصحيفة ١٤٢ تحت عنـوان (تحفـه) : ان بعض الاجلاء رأى الرسول عليه الصلاة والسلام في المنـام وسأله عن الامـام السيد احمد الرفاعي رضي الله عنه ، فقال له عليه الصلاة والسلام : هو ثالث عشر أئمة الهدى من اهل بيتي . اهـ .

الملاحظة ـ اذا كان اثناني عشر من الائمة وهو (محمد المهدي) المنتظر ، كان في القرن الثالث ، كما قال الخضري في صحيفة ١٧٢ من تاريخ التشريع الاسلامي ، أي دخـل السرداب بسامرا بعد وفاة والده (حسن العسكري) سنة ٢٦٠ هجرية كما تقول الشيعة ، وان السيد احمد الرفاعي ولد سنة ٥١٢ كما في صحيفة ٤ من كتاب (افضل المساعي في مناقب السيد الرفاعي) . اذن يكون بين هذين القطبين قرنان من الزمن ، فهـل

انقطعت القطبية مدة هذين القرنين ، ومن قام بالتصرف المزعوم في هذه المدة ؟

الثالثة ــ ويذكر الرواس في صحيفة ٢١٢ من هذا الكتاب (بوارق الحقائق) ان الرسول عليه الصلاة والسلام قال له : تمسك بولدي (**احمد الرفاعي**) تصل الى الله فهو سيد اولياء امتي بعد اولياء القرون الثلاثة واعظمهم منزلة ، ولا يجيء مثله الى يوم القيامة غير سميك (المهدي) بن العسكري . أ هـ .

الرابعة ــ ويذكر الرواس في صحيفة ١٧٦ من هذا الكتاب ايضا ناقلا عن **السيد الرفاعي انه قال :**

سطر الاسم المحمدي ممدود على صحائف الاكوان من أم زيق الازل الى حاشية ذيل الابد ا . هـ

الملاحظة ــ اقول : اذا كان الاسم المحمدي ممدودا على صحائف الاكوان من أم زيق الازل ، فمعناه ان الاسم المحمدي والاكوان أزليان غير حادثين . والازل لا يكون الا لله تعالى ، فهو ازلي الوجود لا غيره ، وان كل ما عداه فهو حادث ، ولذا اجمع علماء الاسلام على تكفير الفلاسفة الذين انكروا حدوث الاكوان وقد قالوا :

بثلاثة كفر الفلاسفة العدا ... اذا انكروها وهي حقا مثبته
علم بجزيء حدوث عوالم ... حشر لاجساد وكانت ميته

وقد ذكر في (أفضل المساعي في مناقب السيد الرفاعي) : انه رضي الله عنه قال في حكمه : كل حقيقة خالفت الشريعة فهي زندقة . ا هـ . تأمل فأي القولين أحق ان ينسب للسيد الرفاعي أأزلية الاكوان ام ما ذكر في (افضل المساعي) .

الخامسة ــ نقل عبد الباقي سرور في صحيفة ١٣٣ من مؤلفه (محي الدين بن عربي) من منشورات سنة ١٩٥٥ بعنوان « الاقطاب والائمة والابدال » عن محي الدين بن **عربي انه قال : ومن رجال الانفاس ، الاقطاب ... ولا يكون منهم في** الزمان الا واحد الغوث ايضا ... ثم قال : ومنهم ــ بعد ان عد الخلفاء الاربعة ــ (عمر بن عبد العزيز والمتوكل واحمد بن هرون الرشيد والسبتي والبسطامي) . ا هـ .

الملاحظة ــ ان ما نقل هنا عن (محيي الدين) مناقضة لما نقل عن (محمد ابو الهدى) في كتابه (روضة العرفان) كما تقدم في (النقطة الاولى) اذ في زمن عمر بن عبد العزيز، كان زين العابدين ، فايهما القطب يا ترى . وفي زمن احمد بن هرون الرشيد ، كان موسى الكاظم . وفي زمن المتوكل العباسي ، كان محمد الجواد . فهل في المسألة قولان ؟ !

ولعل القارىء تأكد لديه بما لا يدع مجالا للشك بعد مطالعة ما سبق ، بالاضافة الى ما نشرناه من البحوث في غير هذا الموضع : الصلة الوثيقة بين التصوف والتشيع مهما بالغ الصوفية اخفاءه وكتمانه ! !

وقدرأيت في خاتمة هذا البحث أن أتقدم الى اغنياء المسلمين ومحسنيهم الذين يرغبون في نشر كتب العلم بنصيحة عدم الاغترار بأقوال الصوفية ، بدفع الاموال لهم لطبع أمثال هذه الكتب السخيفة المضللة التي تغضب الله تعالى وتحارب اسلامه ، ويقع وزرها على مؤلفيها وطابعيها وموزعيها ومروجيها .

وخير لهم طبع كتب السنة التي تحارب البدع والاوهام وتنشر الاسلام الصحيح القوي الذي يتوقف عليه مجدنا وسعادتنا في الدارين .

قال ابن عقيل : والناس يقولون : اذا أحب الله خراب بيت تاجر ، عاشر الصوفية ، وأنا أقول : وخراب دينه ... (تلبيس ابليس) ص ٤٢٤ ط : دار الوعي العربي .

طريق الصوفية

قال الغزالي :

ولما شفاني الله تعالى من هذا المرض بفضله وسعة جوده انحصرت أصناف الطالبين عندي في أربع فرق :

١ ــ المتكلمون : وهم يدعون انهم أهل الرأي والنظر .

٢ ــ الباطنية : وهم يزعمون انهم اصحاب التعليم ، والمخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم .

٣ ــ الفلاسفة : وهم يزعمون انهم اهل المنطق والبرهان .

٤ ــ الصوفية : وهم يدعون انهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة .

فقلت في نفسي : الحق لا يعدو عن هذه الاصناف الاربعة ، فهؤلاء هم السالكون سبل طلب الحق ، فان شذ الحق عنهم ، فلا يبقى في درك الحق مطمع ...

فابتكرت لسلوك هذه الطرق ، واستقصاء ما عند هذه الفرق ، مبتدئا بعلم الكلام ، ومثنيا بطريق الفلسفة ، ومثلثا بتعليما ت الباطنية ، ومربعا بطريق الصوفية(١) .

ثم أخذ الغزالي بدراسة هذه الطرق او الفرق كما سماها فأوضح علم الكلام الذي يسمونه ــ ظلما وعدوانا ــ بعلم التوحيد ، وفيه كل شيء من فلسفة ومنطق .. الا التوحيد الذي يكتسب من النظر في الكون والتفكير فيه والافادة من ادلة القرآن العظيم ، والسنة الصحيحة ، وقد ضلل هذا العلم الكثيرين وغرس فيهم بذور الشك وعقد موضوعه وحقيقته حتى أصبح كالطلاسم او كدروس الرياضيات ، لا بحثا يتعلق بالله العظيم الودود .

ثم تحدث الغزالي عن الفلسفة والباطنية فاظهر فسادهما .

وتكلم بعد ذلك على طريق التصوف وزعم انه الطريق الوحيد الموصل الى الحق .

---

(١) المنقذ من الضلال .

ومن الغريب ـ والغريب جدا ـ أن يدعي الغزالي ان الحق لا يعدو عن هذه الاصناف الاربعة : علم الكلام ، الفلسفة ، الباطنية ، والتصوف ولم يذكر ـ وياللاسف ـ الطريق الذي جاء به الاسلام : طريق الكتاب والسنة ، وهو الطريق الوحيد للحق والهداية ، وما عداه فضلال وفساد !

والآن لندع الكلام للغزالي يتحدث عن طريق التصوف بما يندى الجبين وتشمئز منه النفس وقد كنا رأينا مفصلا في مباحث هذا الكتاب بعض مبادىء المتصوفة الذين زعم الغزالي ـ وياللاسف ـ أن طريقتهم أصوب الطرق (!) وأخلاقهم أزكى الاخلاق . . . ناسيا او متناسيا ما قاله امامه الشافعي فيهم : (لو ان رجلا تصوف اول النهار ، لا يأتي الظهر حتى يصير احمق(١) ، ما لزم احد التصوف اربعين يوما (٢) فعاد اليه عقله ابدا) وانشد :

ودع الذين اذا أتــوك تنسكوا ... واذا خلوا كانوا ذئاب حقاف(٣)

ثم اني لما فرغت من هذه العلوم ، اقبلت بهمتي على طريق الصوفية، وعلمت أن طريقتهم انما تتم بعلم وعمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم ، مثل « قوت القلوب » (٤) لابي طالب المكي ، وكتب الحارث المحاسبي والمتفرقات المأثورة عن « الجنيد » « والشبلي » و « أبي يزيد البسطامي » (٥) .

(١و٢و٣) تلبيس ابليس الطبعة المنيرية ص ٣٧٠ ، ١٦٠ ورد هذا البيت في الصفحة ٤٠ بكلمة خفاف ، والصحيح حقاف من الاحقاف . وهي الاراضي الرملية .

(٤) قال الامام ابن الجوزي يصف هـذا الكتاب الذي كان نبراس الغزالي ، وقد نقل كثيرا من مباحثه الى كتابه الاحياء دون ان يشير الى ذلك :

« وصنف للصوفية ابو طالب المكي (قوت القلوب) فذكر فيه الاحاديث الباطلة وما لا يستند فيه الى اصل » تلبيس ابليس ص ١٦٤ الطبعة المنيرية .

(٥) وهذه شهادة امام السنة احمد بن حنبل في الحارث المحاسيبي الذي أشاد به الغزالي في مواقف كثيرة كلها مخالفة للشرع : « قال السلمي : وتكلم الحارث المحاسيبي في شيء من الكلام والصفات فهجره أحمد بن حنبل فاختفى الى ان مات (تلبيس ابليس ص ١٦٧) فقال ابن الجوزي ايضا : « عن احمد بن حنبل انه سمع كلام الحارث المحاسيبي ، فقال لصاحب له : لا أرى لك ان تجالسهم ! وعن سعيد ابن عمرو البودعي قال : شهدت أبا زرعة ، وسئل عن الحارث المحاسيبي وكتبه ، فقال للسائل : ايـاك وهـذه الكتب ، هـذه كتب بـدع وضلالات . عليـك بالاثر ، فانك تجـد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب ! قيل له : في هذه الكتب عبرة ، قال : من لم يكن له في كتاب الله عز وجل عبرة ، فليس له في هذه الكتب عبرة ، بلغكم ان مالك بن أنس ، وسفيان الثوري والاوزاعي والائمة المتقدمين صنفوا هـذه الكتب في الخطـرات والوساوس وهـذه الاشياء هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتوننا مرة بالحارث المحاسيبي ، ومرة بحاتم الاصم ، ومرة بشقيق .. ثم قال ما أسرع الناس الى البدع : تلبيس ابليس ص ١٦٦ ق

وغير ذلك من كلام مشايخهم .. وظهر لي ان أخص خواصهم ، ما لم يمكن الوصول اليه بالتعليم ، بل بالذوق ، والحال ، وتبدل الصفات .

فارقت بغداد ، وفرقت ما كان معي من المال ، ولم أدخر الا قدر الكفاف ، وقوت الاطفال ..

ثم دخلت الشام ، واقمت بها قريبا من سنتين لا شغل لي الا بالعزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة ... اشتغالا بتزكية النفس .. كما كنت حصلته من علم الصوفية (! !) .

فكنت اعتكف مدة في مسجد دمشق ، اصعد منارة المسجد (!) طول النهار ، واغلق بابها على نفسي (!) ثم دخلت منها الى بيت المقدس، ادخل كل يوم « الصخرة » واغلق بابها على نفسي ، و ... ودمت على ذلك مقدار عشر سنين ، وانكشف لي في اثناء هذه الخلوات امور لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها :

والقدر الذي اذكره لينتفع به : أني علمت يقينا (:) أن « الصوفية » هم السالكون لطريق الله خاصة ، وأن سيرتهم احسن السير ! وطريقتهم اصوب الطرق ، واخلاقهم ازكى الاخلاق . بل لو جمع عقل العقلاء ، وحكم الحكماء ، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ، ليغيروا شيئا من سيرهم واخلاقهم، ويبدلوا بما هو خير منه ، لم يجدوا اليه سبيلا(!) وان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم ، وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة(١) .. ! ! .

ومن أول الطريقة تبتدىء المكاشفات والمشاهدات (!) انهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وارواح الانبياء ، ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد (! !) .

---

(١) لقد رأينا نماذج وأمثلة من هذا الكشف عند الغزالي ومبلغ انحرافها عن الاسلام، واذكر بهذه المناسبة حكاية عن الشيخ الجيلاني أنه قال : كنت مرة في العبادة ، فرأيت عرشا عظيما وعليه نور ، فقال لي : يا عبد القادر أنا ربك قد حللت لك ما حرمت على غيرك . فقلت له : اخسأ يا عدو الله . فتمزق ذلك النور وصار ظلمة وقال يا عبد القادر : نجوت مني بفقهك في دينك وعلمك ... لقد فتنت بهذه القضية سبعين رجلا فقيل للجيلاني : كيف علمت انه الشيطان ؟ ! قال بقوله لي : حللت لك ما حرمت على غيرك . وقد علمت ان شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا تنسخ ولا تتبدل .. » باختصار عن كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » ص ٢٨ .

ووراء هؤلاء قوم جهال ، هم المنكرون لاصل ذلك (!) المتعجبون من هذا الكلام . يستمعون ويسخرون ويقولون : العجب ! ! انهم كيف يهذون ! وفيهم قال الله تعالى : (ومنهم من يستمع اليك ، حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم : ماذا قال آنفا ؟ ! اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم (١) فأصمهم وأعمى أبصارهم .

وهكذا عمد الغزالي الى الاشادة بالتصوف والطعن بأعدائه دون ان يكون له مستند من القرآن او السنة ، وهما المصدران الوحيدان للشريعة. وقد انتبه المستشرقون الى عمل الغزالي الخطر في الرفع من مقام التصوف بعدما حاربه كبار علماء المسلمين كالامامين الشافعي واحمد ابن حنبل رحمهما الله تعالى وغيرهما كما راينا في غير هذا الموضع يقول جولد زيهر : « خلص الغزالي الصوفية من عزلتها ، وانقذها من انفصالها عن الديانة الرسمية ، وجعل منها عنصرا مألوفا في الحياة الدينية ، وفي الاسلام ، ورغب في الاستعانة بالآراء والتعاليم المتعلقة بالتصوف ، لكي ينفث في المظاهر الدينية الجامدة (كذا ! !) قوة روحية » (٢) .

ويقول : « ان الغزالي رفع من شأن الآراء الصوفية ، وجعلها من العوامل الفعالة في الحياة الدينية في الاسلام » (٣) .

وقد عرف الغربيون فضل الغزالي وقدره وهم الذين يسعون جهدهم لنشر التصوف بين صفوف المسلمين ! فجعلوا صورته في كنيسة فلورنسا كما اعترف بذلك جبران خليل جبران ، باعتباره من أعمدة الفكر العالمي(٤) ! !

كيف لا يفعل الغربيون كل ذلك وقد طاروا فرحا بصنيع الغزالي الذي نشل الصوفية من الحضيض وجعلها من السمو بحيث يفتخر المنتسب اليها كما مهد السبيل لغيره من المتصوفة للقول بعقيدة وحدة الوجود . قال المستشرق نيكلسون « ان الغزالي اوسع المجال لبعض صوفية وحدة الوجود امثال ابن عربي وغير هؤلاء من طوائف الصوفية الذين كانوا اخوانا في ذلك الدين الحر لكل ما لكلمة الدين الحر من معنى(٥) (كذا ! !) .

---

(١) المجادلة : ١١ (٢و٣) العقيدة والشريعة ص ١٥٩ ، ١٦١ .
(٤) راجع رسالته الصغيرة الروائع والبدائع . (٥) فيالتصوف الاسلامي ص١٠٤

ولما يقتصر خطر الغزالي على نشر التصوف والتحليق به حتى غدا في عرف الكثيرين ــ وياللاسف ــ « الاسلام المصطفى » بل راح يذيع الاوهام والخرافات ، مما دفع الكثيرين للطعن بالاسلام بسبب ذلك . فقد قال الغزالي يصف علاجا للاسراع بالمرأة الحامل في الولادة .

« ومن الخواص العجيبة المجدية في معالجة الحامل التي عثر عليها الطلق بهذا الشكل :

ب	ط	د	٢	٩	٤
ز	هـ	ج	٧	٥	٢
و	ا	ح	٦	١	٨

تكتب على خرقتين لم يصبهما ماء ، وتنظر اليهما الحامل بعينها وتضعهما تحت قدمها فيسرع الولد في الحال الى الخروج (١) » .

وقد كتب أحد الكتاب المشهورين الملاحدة في احدى الصحف تعليقا على كلام الغزالي السابق وغير ذلك من آرائه المنحرفة ، يغمز بالاسلام مادام المسمى « حجته » يقول مثل هذه الاقوال ، فكان مما قاله :

« ليس من عجيب ان يتردد ذهن الغزالي بين المتناقضات ، اذ قال هو نفسه انه قد ابتلي بمرض شفي منه بمعجزة ، ولكن العجب كل العجب أن ينساق الجمهور بمنطق يؤثر النوم على اليقظة ، والصرعة على الروية ، والموت على الحياة . ألا ينبىء ذلك بزوال حضارة القرون الوسطى عن مسرح التاريخ » .

ويأبى الحق الا ان يظهر ، فقد نشر الدكتور عبد العزيز شرف حديثا في رسالته « النباتات الطبيعية » يصف علاجا لتسهيل الوضع عند المرأة فيقول : « .. والبلح فقد كان من نتائج البحوث فيه أن تبين أنه منبه لحركة الرحم .. وانه يقوي العضلات الرحمية والانقباضات العضلية . مما يجعله مساعدا للوضع أثناء الولادة » .

ثم استدل على ذلك بالآية الكريمة : « وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا » (٢) .

---

(١) « المنقذ من الضلال » وبعض كتب الغزالي الاخرى . (٢) ص ٣٥ .

سبب الانحراف في التصوف

لهذا الانحراف في طريق التصوف أسباب كثيرة لا يتسع المجال لسردها كلها ، وأهمها بنظري : الفقه المذهبي المتعصب ، فقد كان من أخطاره ، علاوة على ما أدى اليه من تمزيق وحدة المسلمين ، ونزاعهم وقتالهم مما هو مفصل في كتب التاريخ أنه سبب تبليد العواطف ، وفقدان الشعور الوجداني ، فقد بات هذا الفقه في كتبه المذهبية الجافة ترديدا لمعلومات لاتحرك المشاعر ، ولا تهزالضمائر ، ولا تروي ظمأ الروح ، ولا تهذيب النفس ولا تطفيء نار الهوى ، مع سعتها الرهيبة حتى غدا من المعروف ان فقه المذهب الحنفي لا يمكن دراسته بأقل من عشرين عاما ، بينما الرسول صلى الله عليه وآله وسلم علم امته هذا الفقه ، ونشردعوته وحشد الجيوش وفتح ما فتحه من البلاد خلال هذه المدة تقريبا ، مع ما لاقاه من مقاومة قومه له وتعذيبهم لاتباعه !

وقد كان لهذا الجفاف والتفصيل الفقهي السبب الرئيسي لارتماء المسلمين المغفلين في أحضان المتصوفة الذين مدوا اليهم أيديهم يجتذبونهم اليهم بدعوى انهم يعلمونهم العلوم كلها بسرعة البرق عن طريق الخلوات والكشوف ، ويغرونهم بتحقيق الروحانية والحياة العاطفية الرقيقة التي ينشدونها اذا هم استعاضوا عن علوم الشريعة التي هي عبارة عن قشور بعلوم الحقيقة التي هي اللباب ..

فيسلم لهم هؤلاء المسلمون المساكين زمامهم فينقلونهم من الفقه المذهبي الجاف الواسع الى ما هو اخطر منه كما رأينا ذلك في مباحث هذا الكتاب !

ولو أن هذا الفريق من طلبة الروحانية الذين سئموا جمود الفقه المذهبي وجفافه وتفصيلاته المذهلة وتاقوا الى غذاء الروح ، عمدوا الى فقه الكتاب والسنة ، لشعروا بهذه الروحانية وذاقوا لذة العلم والايمان والاحسان فعبد كل منهم ربه كأنه يراه ، فان لم يكن يراه ، فهو يراه !

وكما فشل الفقه المذهبي في احياء ضمير المسلم ، وعاطفته ، فكذلك صنع علم الكلام المسمى ظلما وكذبا بعلم التوحيد ، فقد بلد المشاعر وأمات العواطف ، وأدى في أغلب حالاته حتى الى انحراف

العقيدة ، والى الالحـاد ، لانه مزيج من سفسطات جدليـة وفلسفات يونانية وهندية لا تمت الى الاسلام بصلة ، بينما التوحيد ليس له ، ولا يصح أن يكون له مصدر بعد التأمل والتفكير في هذا الكون العجيب سوى القرآن والسنة ، فانه سبحانه لا يجوز وصفه الا بما وصف به نفسه او وصفه به رسول صلى الله عليه وآله وسلم .

نحن لا نكون مغالين اذا قلنا ان جميع هذه الاهداف السامية التي يصبو اليها الانسان بفطرته أو أكثر منهـا يتحقق بفقه الكتاب والسنة بعدما اضمحلت المشاعر وجفت العواطف بالتقليد المذهبي ومما حكات علم الـكلام !

لنرجع عقرب الزمن الى عهد محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، وعهد التابعين أيضا الذين تأثروا بنور النبوة والصحبة القريبتين .

الم يكن المسلمون وقتئذ خير أمة أخرجت للناس الم يكونوا الجيـل المثالي الذي ندر أن يأتي بمثله الزمان ، ليس بطول صوم وصلاة فحسب ، بل بسلوك ملائكي ، وجهاد بطولي ، وتحليق في ميادين العلم والحضارة ومشاعر ملتهبة وضمائر يقظة .

يجب ان نخرج من هذا البحث عن حجود الفقه المذهبي ، وانحراف علم الكلام وفشلهما في احياء العقيدة ويقظة المشاعر الى نتيجة خطيرة وهي :

« ان مستقبل الايمان امام هذا الالحاد الزائف ــ المنتشر في الجيل الجديد ــ منوط بيقظة الضمائر ، ووحدة المشاعر وطول التضحية وشدة البـذل ... أي ان الايمان الخامد والذكر القليل لا يغنيان فتيلا في ميدان يتطلب الصدق والجد .

واذا لم يفلح الدين في شد زناد الفكر والشعور الى ابعد حد مستطاع فحقيق به أن ينهزم ، وحقيق بأتباعه أن يبيدوا (١) .

وانه لثقل على صدر الحياة أن يوجد جيل مـن الناس لا يعي ان الكون محكوم بقوانين دقيقة ، ولا يدري ان العقل اليقظ هـو الوسيلة الفذة لمعرفة الله ، عن طريق تأمل ملكوته ، وتدبر وحيه ، وانفاذ وصاياه ، واعلاء كلمته (٢) .

(١و٢) ركائز الايمان للاستاذ محمد الغزالي ص ١٢٠ ــ ١٢٣ باختصار .

ان من أبعد الناس عن الاسلام رجل بصره في الفقه المذهبي وعقله في علم الكلام وعاطفته في الطرق والاوهام وهمته لا تعدو حفظ طلاسم من هذا العلم ، وعبارات يرددها من الفقه المذهبي ، كما يردد جدول الضرب ، لا تثير عاطفة ولا تحرك شعورا .

ما أعظم فقه الكتاب والسنة في ايقاظ الايمان وتوعية الفكر وتحويله بسرعة الى عمل دون أن يتبخر أو يبيد أو ينحرف !

ان المسلمين لما أهملوا هذا الفقه الالهي وتعبدوا الله سبحانه بفلسفات سموها علم التوحيد وبأقوال رجال غير معصومين كانوا اول من نهوهم عن تقليدهم ، خمدت هممهم ، وجفت عواطفهم وسلط عليهم الصليبيون والتتار والمستعمرون ، ولن يرفع الله سبحانه ما عليهم من ذل حتى يرجعوا الى كتاب ربهم تعالى وسنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم .

والآيات الكريمة توجب هذا الرجوع فقد قال سبحانه : (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسن تأويلا) ، (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنة رسوله (١) .

كل ذلك ليبقى الاسلام على نقاوته ويحافظ على حيويته ويستمر في أداء رسالته ، فيبعث في المسلمين الحياة القوية والعاطفة الجياشة والضمير اليقظ .

وقد وعد الله سبحانه بارسال المصلحين المجددين من حين الى آخر ليقوموا بهذه المهمة الخطيرة ، ويبقى الاسلام على الدوام غضاً شهيا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ان الله عز وجل يبعث لهذه الامة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها » (٢) .

وقد جاء هؤلاء المصلحون المجددون في كل عصر نذكر منهم على سبيل المثال الامام احمد بن حنبل الذي وقف سدا منيعا أمام علماء

---

(١) روى مثله الحاكم عن ابن عباس بسند حسن .
(٢) رواه ابو داود والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

الكلام الذين شوهوا وحرفوا الاسلام ، ولاقى في سبيل ذلك من المحن والتعذيب ما تقشعر له النفوس وما تتفتت لذكره القلوب . كما قام بالمهمة نفسها الامام ابن تيمية فلسفة الفلاسفة من علماء الكلام وغيرهم وأوضح خطرهم وضلالهم ، ودعا علاوة على ذلك الى محاربة التقليد وانكر التعصب المذهبي وحض على الرجوع الى الكتاب والسنة فلاقى ما لاقاه غيره من المصلحين أو اكثر ومات سجينا في قلعة دمشق بسبب اخلاصه وجراته .

ويلاقي الدعاة المصلحون الى يومنا هذا المقاومة العنيفة من المقلدين والخرافين والمتفلسفين ...

وآخر ما طلع علينا به اعداء الاصلاح والتجديد رسالة « اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الاسلامية » لاستاذ في كلية الشريعة الاسلامية بدمشق – ويا للاسف هو الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي جاء فيها من السخف والهذر والانحراف ، مما لا يصدر عن رجل عادي فضلا عن (دكتور) وأستاذ في كلية الشريعة !! فصور ما ذكرناه من جمود العاطفة الدينية أفظع تصوير حين قال :

« وامام المسلم اليوم سبيل سائغة لفهم احكام صلاته وصيامه وزكاته وسائر ما تتعرض له حياته الخاصة من القضايا الدينية : عن طريق دراسة كتاب صغير في مذهب من المذاهب الاربعة ، حوي خلاصة الاحكام الشرعية ، ولا عليه الا يفهم او يقف على أدلتها مادام غير مجتهد ، كما كان عليه حال كثير ممن يستفتون كبار الصحابة والتابعين(١) » .

وهذا الكلام يبعث على الاسى والاسف فاستاذ كلية الشريعة لا يدعو بهذا التوجيه العامة فقط ، بل يدعو اساتذة كلية الشريعة وغيرهم ، ما داموا غير مجتهدين – الى الاكتفاء بمتن من متون الفقه الجاف العقيم دون تدبر أو فهم أو مطالبة دليل ! !

كأنه كلام رب العالمين أو حديث النبي المعصوم ، مما يذكرنا بكلام القائلين بعصمة الأئمة .

فهل الغاية اخراج وصنع كرات يتقاذفها الفقهاء المتعصبون لمذاهبهم ، فما يحلله هذا ، يحرمه ذاك للحكم الواحد كأن الاسلام شرائع متعددة

---

(١) ص ٧٤ .

ومتناقضة تصادم قوله تعالى : (لو كان من عند غير الله ، لوجدوا فيه اختلافا كثيرا(١) وقوله سبحانه : (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم ، وكانوا شيعا ، كل حزب بما لديهم فرحون) (٢) (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء(٣)) .

ولم يكتف هذا (الدكتور) بهذا التوجيه السخيف السقيم ، بل راح يزعم - زورا وتضليلا - ان هذا النهج هو « ما كان عليه كثير ممن يستفتون كبار الصحابة والتابعين » .

مع اننا نعلم - والكل يعلم - ان الصحابة والتابعين ما كانوا يفتون الا بالدليل من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حتى للاعراب ، ولو أردنا أن نذكر أمثلة على ذلك لخرجنا عن نطاق البحث .

ولا أدري كيف نوفق بين كلامه في قوله السابق : « ولا عليه أن لايفهم او يقف على ادلة الاحكام الشرعية مادام غير مجتهد ، وبين قول الاعرابي حتى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنشدك بالله الله قد أمرك أن تصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ الحديث رواه البخاري .

ومن المؤسف - والمؤسف جدا - أنه راح يطلق على السنة بدعة ، والبدعة سنة ! فسمى ما كان عليه الصحابة والتابعون في خير القرون « أخطر بدعة تهددالشريعةالاسلامية » فانه مما لا ينكره منصف أنالمسلمين وقتئذ لم يكونوا يعرفون هذه المذهبية المتعصبة الضيقة التي ترفض كل آية او حديث اذا خالف مذهبها ، وتزعم انه منسوخ او مؤول كما صرح بذلك الكرخي ، ويااللاسف - وهو من أقطاب المذهب الحنفي !!

ولا يخفى ما في اقتراح الدكتور البوطي في الاقتصار على المتون الميتة ، من قتل العاطفة الدينية وفقدان الشعور بفهم الاسلام وتذوق حلاوة العبادة(٤) مما هو موضوع بحثنا الآن .

ولم يقتصر الدكتور البوطي على الدعوة للتقليد والاقتصار علىالمتون(٥)

---

(١) النساء : ٨٢ (٢) الروم ٣١ - ٣٢ (٣) الانعام : ٩٥ .

(٤) لا نود مناقشة رسالة « اللامذهبية » فقد تولى الرد عليها بعض السلفيين فنوجه الى ذلك انظار الغيورين على الاسلام

(٥) وبمناسبة دعوة (البوطي) للمسلم غير المجتهد بدراسة كتاب من كتب الفقه من أصحاب المذهب في مذهب من المذاهب الاربعة اذكر للقارىء ما جاء في بعض هذه الكتب المعتمدة من سخافات وافتراضات تضحك وتبكي ... ←

بل ذهب في التوحيد الى عدم الاقتصار على أدلة القرآن والسنة ، بل لا بد من استخدام أدلة المتكلمين الجافة السخيفة للرد على الملاحدة !

لان مباحث علم الكلام – على حد قوله في كتابه كبرى اليقينات الكونية ص ٧ – لم يؤلف شيء منها لمن آمن بالقرآن واستضاء قلبه بسراجه .

لقد جهل هذا الكاتب ان أدلة القرآن في اثبات الخالق العظيم لم تخاطب المسلمين فقط ، انما خاطبت هؤلاء الزنادقة أيضا واذا لم تقنعهم هذه البراهين القرآنية ، التي تخاطب العقل والقلب معا ، ولم تهدهم فلا هداهم الله !

وقد رفض الامام احمد بن حنبل ان يجيب عن سؤال هل القرآن خالق او مخلوق ، لانه لم يرد في القرآن او السنة مثل هذا السؤال ، بل قال : ان القرآن كلام الله تعالى .

ومالنا نذهب بعيدا في اقناع مثل هذا (الدكتور) وهاهم أولاء علماء الكلام أنفسهم قد رجعوا عن حججهم الكلامية وتابوا عنها ، فقد قال عبد الله الرازي الجهمي الجبري كما نقل عنه ابن خلكان في وفيات الاعيان :

→

من الباجوري الشافعي :

١ – (ولو شق ذكره نصفين فأدخل احدهما في زوجة والاخر في زوجة أخرى وجب الغسل عليه دونهما) الجزء الاول صفحة ٧٢ .

٢ – ولو أولج أحدهما في قبلها والاخر في دبرها وجب الغسل عليهما – المصدر السابق نفسه .

٣ – ولو دخل شخص فرج امرأة وجب عليهما الغسل لانه صدق عليه دخول حشفة فرجا ولا اعتبار بكونه دخل تبعا . (الحاشية ٧٣/١) .

٤ – ولو أدخل ذكره في دبره فيجب عليه الغسل ٧٣/١ ايضا .

٥ – ولو ادخل ذكره في ذكر آخر وجب الغسل على كل منهما كما افتى به الرملي . أيضا ٧٣/١ .

من مراقي الفلاح الحنفي :

١ – فالاعلم أحق بالامامة ثم الاقرأ ثم الاورع ثم الاسن ثم الاحسن خلقا ثم الاحسن خلقا ثم الاحسن وجها ثم الاشرف نسبا ثم الاحسن صوتا ثم الانظف ثوبا فالاحسن زوجة فأكبرهم رأسا وأصغرهم عضوا (أي ذكرا ! !) فأكثرهم مالا فأكبرهم جاها .

٢ – ووجود حيوان ميت فيها (في البركة والماء) ينجسها من يوم وليلة ومنتفخ من ثلاثة أيام ولياليها ان لم يعلم وقت وقوعه .. فان عجن الان بمائها قيل يلقى للكلاب أو يعلف به المواشي وقال بعضهم يباع لشافعي ! ! (ص ٢١ و ٢٢) .

نهاية اقــدام العقــول عقــال … وأكثر سعي العــالمين ضــلال !
وأرواحنا فيوحشة منجسومنا … وحاصــل دنيانا أذى ووبــال
ولم نستفدمن بحثناطول عمرنا … سوى أنجمعنا فيه قيل وقالوا

وقد اعترف الفخر الرازي في آخر عمره بخطئه ـ وهو من كبار علماء الكلام ، فقال : « لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ، فمـا رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليـلا ، ورأيت أقرب الطرق : طريقـة القـرآن ! ! .

وقد اجمع أئمة المذاهب الاربعة على ذم علم الكلام والنهي عنــه . قال الامام أحمــد : « لا يفلح صاحب الكلام أبدا ولا تكاد ترى أحــدا نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل » وبالغ في ذمه حتى هجر الحارثالمحاسيبي بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة ، وقال له ، ويحك ألست تحكي بدعتهم ، ثم ترد عليهم ؟ ! ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة ، والتفكير في تلك الشبهات ، فيدعوهم ذلك الى الرأي (١) وقال الامام الشافعي : حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويحملوا على الابل ! ويقال : « هذا (٢) جزاء من ترك الكتاب والسنة . فهل يقبل (الدكتور) بعقوبة الامام الشافعي ، وهو امام مذهبه(٣) ؟ ! وهل هو أبعد نظرا من الأئمة ، وقد نهوا عن علم الكلام الذي نشأ في عهدهم مع الشبهات التي تدور حوله ؟ !

---

(١) مختصر جامع العلم وفضله لابن عبد البر (٢) صون المنطق والكلام عنالمنطق والكلام تحت عنوان ذكر من صرح بذم المنطق او تجريمه من ائمة المسلمين .

(٣) وبمناسبة الكلام على كتاب « كبرى اليقينيات الكونية » نلفت النظر الى ما جـاء فيه من اتهام هذا (الدكتور) للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ والعياذ بالله ـ بحب زينب حتى وهي في عصمة زوجها زيد بن حارثة ! ! فكان مما قاله : « وربما أبصرها خلال هذه المدة ، ذات يوم فتحرك قلبه نحوها ص ٢٠١ واشاح بوجهه قائلا بينه وبين نفسـه !! « سبحان الله مقلب القلوب » . وقد ذهب الدكتور « المسكين » ضحية جهله بعلم الحديث وبمعرفة صحيحه من ضعيفه ، وضحية الذوق السقيم ولو اطلع على بعض التفاسـير المعتمدة كتفسير ابن كثير ، او على كتاب متداول حتى بين أيدي الطلبة الصغار ككتاب « حياة محمد » للدكتور هيكل ، لماوقع في هذا الخطأ الشنيع الذي يتعارض معالعقلوالدين!

وانني انصح (الدكتور) مخلصا الا يغتر بشهادته ، ويتفرغ لطلب العلم قبل الانصراف الى التأليف ، كيلا يقع في مثل هذه الخطيئات الرهيبة المدمرة ! ولو أردنا ان نتعقب ما جاء في كتبه التي يخرج على الناس في كل شهر بواحد منها من اخطاء لاحتجنا الى مجـلد ضخم .

صلة المتصوفة بالظلمة والمستعمرين

لقد كان كثير من المتصوفة يسيرون دائما بركاب الحكام الظلمة والمستعمرين المغتصبين ، فلا يهمهم أمر شعوبهم ، مادامت قدورهم مملوءة بما لذ وطاب من الاطعمة وخزائنهم تزخر بالمال يقذفه عليهم المستبدون والمستعمرون ، ليكونوا مطية لهم ، يخدرون شعوبهم ليصبحوا فريسة سهلة الابتلاع .

قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني :

(اخذ علينا العهد بان نأمر اخواننا ان يدوروا مع الزمان واهله كيف داروا . ولا يزدرون قط من رفعه الله عليهم ولو في امور الدنيا وولايتها . وكل ذلك ادبا مع الله عز وجل الذي رفعهم . فانه ما يرفع احدا الا لحكمة . ثم أي فائدة من ازدراء من ارتفع عليهم مع أن احدا لا يسمع لهم ؟ وهذا العهد قل من يعمل به من الناس . فيقولون عن المحتسب او الوزير او غيرهما من اين لهؤلاء السفلة الفخامة علينا ونحن نعرف آباءهم ، وفلان كان أبوه زبالاً وفلان كان أبوه نوتيا . وفلان كان ابوه فلاحا ونحو ذلك من الهذيانات . ومن قام هذا الميزان اليوم على الناس حرم بركة اهل زمانه (١) .

ومن رأي الشيخ الشعراني ايضا انه من الواجب اذا اجتمعنا بسلطان او امير او كبير ان نسأله الدعوة لنا ولو كان غير صالح ! فان الله تعالى يستحي ان يرد دعاء هؤلاء الاكابر بين قومهم ورعيتهم ويخجلهم !! ثم يقول : وهذا سر قل من يتنبه اليه من الناس ! . . ولما طلعت للباشا داود نائب مصر في هذا الزمان في قضية اوجبت ذلك في سنة خمس واربعين وتسعمائة سألته الدعاء بأمور كانت متوقفة علي شهورا ، فنزلت من القلعة فوجدتها كلها قد قضيت فاعلم ذلك واعمل به) (٢) .

---

(١) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ج ٢ ص ٣٠١ نقلا عن البحر المورود ص٢٩٢

(٢) التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق ٣٠٢/٢ نقلا عن البحر المورود ص ٢٩٣

وكان هناك كثير من الطرق ثابرت على انحرافها عن الطريق السوي فكانت أطوع انقيادا للمستعمرين من الزنوج الوثنيين . قال الرئيس فيليب فونداسي من المستعمرين الفرنسيين لقد اضطر حكامنا الاداريون وجنودنا في افريقيا الى تنشيط دعوة الطرق الدينية الاسلامية لانها كانت اطوع للسلطة الفرنسية واكثر تفهما وانتظاما من الطرق الوثنية التي تعرف باسم « بيليدو » و « هاجون » او من بعض كبار الكهان او السحرة السود (١) .

وقال مؤلفو كتاب تاريخ العرب الحديث والمعاصر تحت عنوان : المتعاونون مع فرنسا في الجزائر .

(وتتألف هذه الفئة من بعض الشباب الذين تثقفوا في المدارس الفرنسية وقضى الاستعمار على كل صلة لهم بالعروبة . يضاف اليهم بعض اصحاب الطرق الصوفية الذين اشاعوا الخرافات والبدع وبثوا روح الانهزامية والسلبية في النضال فاستخدمهم الاستعمار كجواسيس. ثم فئة من الموظفين والنواب والعسكريين الذين شاركوا الادارة الفرنسية في اعمالها (٢) .

قال الدكتور عمر فروخ : يقول الصوفية :

اذا سلط الله على قوم ظالما ، فليس لاحد أن يقاوم ارادة الله أو أن يتأفف منها (!!) .

لا ريب في ان الاوروبيين قد عرفوا ذلك واستغلوه في اعمالهم الاستعمارية . ذكر مصطفى كامل بطل الوطنية المصرية في كتابه (المسألة الشرقية) قصة غريبة في اذن القارىء العادي . قال :

« ومن الامور المشهورة عن احتلال فرنسا للقيروان في تونس ان رجلا فرنسيا دخل في الاسلام وسمى نفسه سيد احمد الهادي واجتهد في تحصيل الشريعة حتى وصل الى درجة عالية وعين اماما لمسجد كبير في القيروان . فلما اقترب الجنود الفرنساويون من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها وجاؤوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد يعتقدون فيه فدخل (سيد احمد) الضريح ثم خرج مهولا لهم بما

---

(١) الاستعمار الفرنسي في افريقيا السوداء ص ٥٢ (٢) تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص ٣٧٣

سينالهم من المصائب ، وقال لهم بأن الشيخ ينصحكم بالتسليم ، لان وقوع البلاد صار محتما فاتبع القوم البسطاء قوله ولم يدافعوا عن مدينة القيروان اقل دفاع بل دخلها الفرنساويون آمنين في ٢٦ اكتوبر سنة ١٨٨١ فليس ببدع أن تكون الصوفية ــ التي على هذا الشكل ــ قد أثارت منذ أول امرها مخاوف سياسية مزدوجة : أن تكون ستارا لحركات هدامة وان تكون شركا للعامة بصرفهم عن أهدافهم القومية العليا .

من أجل ذلك يجب الا نستغرب اذا رأينا المستعمرين يغدقون على الصوفية الجاه والمال ، فرب مفوض سام لم يكن يرضى أن يستقبل ذوي القيمة الحقيقية من وجوه البلاد وقد ضربوا اليه من اقصى منطقة انتدابه ــ لضيق الوقت او لقلة المبالاة ثم تراه يسعى الى زيارة حلقة من حلقات الذكر يقضي هنالك زيارة سياسية تستغرق الساعات ! !

اليس التصوف الذي على هذا الشكل ــ يقتل عنصر المقاومة في الامم وتكثر التآليف الصوفية في أمم أوربة على نسبة اهتمامها بالاستعمار ولذلك عندهم هدفان :

اولهما : تثقيف قومهم باسلوب من اساليب الاستعمار .

ثانيهما : اغراق المثقفين من سكان الشرق بكتب الصوفية لصرفهم عن عمود القومية وعرين العزة ، وميادين الكفاح الوطني » . ا . هـ .

وكلما بحثت عن احد المؤلفين في الصوفية رأيته ينتمي الى دوائر في بلاده تهتم بالاستعمار مباشرة او غير مباشرة(١) .

وقد كان اتباع الطريقة التيجانية وشيوخها من اكثر العملاء نفعا لفرنسا في الجزائر وبعض الاقطار الافريقية . ففي عام ١٨٧٠ م استطاعت سيدة افرنسية تدعى (اوريلي بيكار) ان تتسلل الى الزاوية التيجانية وتتزوج شيخها المدعو سيدي احمد . ولما توفي تزوجت اخاه سيدي علي . فأصبحت السيدة المذكورة مقدسة عند التيجانيين واطلقوا عليها لقب « زوجة السيدين » وكانوا يتيممون بالتراب الذي تمشي عليه مع انها بقيت كاثوليكية على دينها القديم . وقد انعمت فرنسا عليها بوسام الشرق . وقالت الحكومة الفرنسية في اسباب منح هذا الوسام (لان

---

(١) التصوف في الاسلام للدكتور عمر فروخ ص ١٠٩ .

هذه السيدة قد ادارت الزاوية التيجانية الكبرى ادارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى وكسبت للافرنسيين مزارع خصيبة ومراعي كثيرة لولاها ما خرجت من ايدي العرب الجزائريين التيجانيين . ولانها ساقت الينا جنودا مجندة من احباب الطريقة التيجانية ومريديها يجاهدون في سبيل فرنسا صفا كأنهم بنيان مرصوص (١) .

وقد ساعد اتباع الطريقة التيجانية الجيوش الفرنسية بمختلف الوسائل . فكانوا يتجسسون لهم ويرسلون معهم الادلاء ، ويقاتلون الى جانبهم ، وعد مشايخهم ذلك واجبا يمليه الشرف ويبغون فيه الاحتساب من الله تعالى .

قال الشيخ محمد الكبير صاحب السجادة التيجانية الكبرى وخليفة الشيخ احمد التيجاني الاكبر مؤسس هذه الطريقة في خطبة القاها امام رئيس البعثة العسكرية الافرنسية في مدينة « عين ماضي » المركز الاساسي للطريقة الصوفية التيجانية وذلك بتاريخ ٢٨ ذي الحجة عام ١٣٥٠ هـ قال فيها :

(ان من الواجب علينا اعانة حبيبة قلوبنا فرنسا ماديا ومعنويا وسياسيا ولهذا فأني اقول لا على سبيل المن والافتخار ولكن على سبيل الاحتساب والشرف بالقيام بالواجب ، ان أجدادي قد أحسنوا صنعا في انضمامهم الى فرنسا قبل ان تصل بلادنا وقبل ان تحتل جيوشها الكرام دیارنا) (٢) .

اما صاحب هذه الطريقة فمن كتبه المملوءة بالضلالات تفوح رائحة التآمر على عقيدة المسلمين .

قال في كتابه جواهر المعاني(٣) .

(ان الكفار والمجرمين والفجرة والظلمة ممتثلون لامر الله تعالى ليسوا بخارجين عن امره) ص ٢٢١ .

وقال في الكتاب نفسه :

(ان الشيخ العارف يمكنه ان ينقل روحه من جسده الى جسد رجل آخر ويتصرف بذلك الرجل بما يريد من الامور) ص ١٦ .

(١و٢و٣) مخازي الولي الشيطاني ص ١٢ و ١٣ و ٢

وقال في هذا الكتاب ايضا :

(ان من اراد الدخول في طريقنا لا خوف عليه من صاحبه ولا من غيره أيا كان من الاولياء الاحياء والاموات في الدنيا والآخرة وهو آمن من كل ضرر يلحقه في الدنيا والآخرة لا من شيخه ولا من غيره ولا من الله ورسوله النبي صلى الله عليه وآله وسلم) ص ١٠٤ .

وقال في الافادة الاحمدية :

(قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى من اول انشاء العالم الى النفخ في الصور) ص ٦٣ .

وقال في الكتاب نفسه :

(القطب له عصمة كعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام) ص ٦٥.

وقال في جواهر المعاني :

(من حصل له النظر فينا يوم الجمعة والاثنين يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب) ص ١٧٠ وزاد في بغية المستفيد (ولو كان كافرا يختم له بالايمان) ص ١٦٣ .

وقال هذا التيجاني ، وقد اخترع لاتباعه صلاة على الرسول ليصرف المسلمين عن الصلاة الابراهيمية الواردة ، سماها صلاة الفاتح ، لا يزال بعض المغفلين يقرؤونها في دمشق وغيرها . قال هذا العميل في وصفها : « وسألته عن صلاة الفاتح ، فأخبرني اولا بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانيا ان المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ستة الاف مرة ص ١/١٠٣ ، وكل ذلك ليصرف المسلمين عن كتاب الله العدو الاول للاستعمار .

ولم يقف الاستعمار في بلادنا ولا في مصر موقفا عدائيا من الصوفية بل كان يشجعها ويكرم شيوخها ويحسن استقبالهم ويسارع الى تحقيق مطالبهم .

ويتحدث صوفي عن اطلاع شيخه التيجاني على الغيب فيقول « ومن هذا الباب اخباره عن استيلاء اعداء الدين على بلد الجزائر وعملها وقد كان (رضي الله عنه) . على ما تلقيناه من فضلاء اصحابه كثيرا ما يشير اليه بما يفيد تحقيق وقوعه تارة تصريحا وتارة تلويحا ، ويعلق الاستاذ عبد

الرحمن الوكيل رئيس تحرير مجلة الهدي النبوي على هذه الكرامة بقوله: « وليس بعد هذا دليل على ان هذا الشيخ جاسوس قذر على البلد العربي ، وكان يدا للاستعمار(١) وقد جعل هذا المحرر عنوان تعليقه احتلال الجزائر كرامة .

جاء في الجواهر في تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوي جوهري جزء ٩ ص ١٣٧ ـ ١٣٨

« ان كثيرا من الصوفية قد تنعموا وعاشوا في رغد من العيش واغدق الناس عليهم المال من كل جانب وحببت اليهم الثمرات وهوت اليهم القلوب ، لما ركز في النفوس من قربهم الى الله فلما رأوا الفرنجة احاطوا بالمسلمين لم يسعهم الا ان يسلموا لهم القيادة ليعيشوا في أمن وسلام وهذا هو الذي حصل في ايامنا وذكره الفرنسيون في جرائدهم قبل الهجوم على مراكش ، وقرأنا نحن فيها ، اذ صرحوا بأن المسلمين خاضعون لمشايخ الطرق ، وان الشرفاء القائمين في تلك البلاد ورجال الصوفية هم الذين يسلموننا البضاعة ، فعلى رجال السياسة أن يغدقوا النعم على مشايخ الطرق وعلى الشريف الذ ييملك السلطة في البلاد ، وقالوا هكذا بصريح العبارة : (ان هؤلاء جميعا متمتعون بالعيش الهنيء ورغد المعيشة في ظلال جهل المسلمين وغفلتهم ، فمتى اكرمناهم وانعمنا عليهم فهم يكونون معنا ويشاركوننا في جر المغنم ـ وبصريح العبارة يكونون أشبه بالغربان والنسور والعقبان التي تأكل ما فضل من فرائس الاساد والنمور) ا .هـ .

مما سبق من المعلومات والمصادر الوطنية والاجنبية ندرك خطر كثير من رجال الطرق الصوفية على البلاد فانهم لا يتقاعسون عن تعاونهم مع الاستعمار اذا ضمنت مصالحهم المادية الخاصة . وهم علاوة عن فهمهم ، فانهم مستسلمون دائما للعدو ، فلا يحركون ساكنا اذ شعارهم الصوفي (دع الخلق للخالق) (ليس في الامكان ابدع مما كان) ـ (لو اطلعتم الغيب لاخترتم الواقع !) .

وقد الف قطب من اقطابهم ، وهو عطاء الله الاسكندري الذين يذكره الصوفية بالتعظيم والاجلال ، الف كتابا خاصا بعنوان كتاب التنوير في

---

(١) العدد الثامن م٣٠ شعبان ١٣٨٥ ص ٢١ .

اسقاط التدبير ! ! فمن كلماته التي يعتبرونها من اسمى الحكم (أرح نفسك من التدبير ، فما قام به غيرك لا تقم به لنفسك) ، (سوابق الهمم لا تخرق اسوار الاقدار) وما علم ابن عطاء الله الاسكندري أن الله سبحانه لما علم بهمة العبد الهمة العالية كتبه من الرجال الابطال .

« اذا فتح لك وجهه من التعرف ، فلا تبال معها . ان قل عملك . . وفي هذا الكلام تزهيد بالعمل ، والله سبحانه يقول . « ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » .

ومن الامثلة المضحكة الباكية على سير رجال الطرق الصوفية وراء المستعمرين والحكام الفسقة والظالمين أن صوفية مصر لاذوا بفاروق ، وأفاضوا اليه عبدانا يشكرونه على أن منح شيخهم كسوة . وبين يدي فاروق ، وقف شيخ الصوفية يخطب عابدا شاكرا فقال عن الكسوة :

« انها يامولاي رمز لما اعطاك الله من مواهب ، وعنوان لفيض من قبوضاته سبحانه على قلب فاروق الطاهر تكشف عن مدى طهر وضعه الله فيك (١) فصفت روحك الطيبة . وان هذا التكريم للصوفية انما هو قبس من قلبك النقي ينير لنا الطريق ! ! ويهدينا سواء السبيل ! منك نستضيء ، ومن هديك نسترشد ، ومن روحك العالية نستمد الالهام والهدى . واني اذ اتشرف بالوقوف بين يديك اليوم اقطع على نفسي عهدا وثيقا أن أكون لجلالتك المخلص الوفي أمدك الله يا مولاي بروح من عنده ، والبسك حلة مجده ، وأيدك بجند من جنده ، واعانك بعونه وكفلك بعين رعايته » .

اقرأ الصحف الصادرة بتاريخ ١٩٤٧/٣/٢٥ م فهل يذكر الصوفية ؟ ! « بك نستضيء » تقديم الجار والمجرور يفيد قصر استضاءتهم على فاروق ؟ فهل يذكرون ؟ « من هديك نسترشد » هكذا ! ؟ بتقديم الجار والمجرور ؟

هذا معناه ان الصوفية لم تكن تهتدي بشيء الا بهدي فاروق(١) !

ولا تذهب بعيدا وهاهم اولاء أصحاب الطرق الصوفية في سورية كانوا لا يحركون ساكنا امام الاستعمار الفرنسي ، بل كانوا يهرجون

---

(١) هذه هي الصوفية للاستاذ عبد الرحمن الوكيل رئيس تحرير مجلة الهدي النبوي ص ١٨١ .

للفرنسيين باقامة حفلات الرقص والدجل باسم الدين وقد كان هؤلاء الفرنسيون يشجعون هذه الطرق حتى انهم ادخلوا معهم الطريقة التيجانية، وهي من أعظم العوامل في تخدير الشعب وقتل كل فاعلية فيه !

وبمناسبة ما سبق من الكلام على الطريقة التيجانية نرى من واجبنا خدمة للحقيقة والتاريخ ان نذكر ان الحكومة الفرنسية في زمن الانتداب على سورية ، حاولت نشر هذه الطريقة واستأجرت بعض الشيوخ لهذه المهمة ، فقدمت لهم المال والمكان لتنشئة جيل يميل الى فرانسا ، ولكن مجاهدي المغرب لفتوا انتباه المخلصين من أهل البلاد الى خطر الطريقة التيجانية وانها فرنسية استعمارية تتستر بأستار الدين ، فهبت دمشق عن بكرة أبيها بتظاهرات صاخبة ووزعت المناشير في بيان ضلال وعمالة المأجورين لها ، وكان بودنا ان ننشر صورة عن احد هذه المناشير لولا الخشية من جرح شعور ذوي واقارب اولئك المأجورين او المغفلين الذين عمدوا لنشر الطريقة التيجانية في هذه البلاد ..

قد يقول قائل : كيف نوفق ما قلته مع انتشار الاسلام على يد بعض اطرق الصوفية في اقارة الافريقية .

اقول : ماذا عند هذه الطرق من الاسلام حتى تنشره ، وقد رأينا في هذا الكتاب بعض مبادىء التصوف من ذل وخضوع وجهل وعمالة .

ان المستعمرين لا يخشون انتشار مثل هذا الاسلام المزعوم ، بل يشجعون ذيوعه ، فهو أفيون مخدر رهيب ، وقد ذكرت صحيفة الجمهورية المصرية نقلا عن صحيفة التايمز اللندنية لاحد رجال الاستعمار البريطاني يحض على تشجيع البدع والاوهام بين المسلمين ، فان ذلك كفيل بقتل حيويتهم وشل نشاطهم وابعادهم عن الاسلام وهم يظنون أنهم لا يزالون فيه !!

ان انتشار وذيوع الطرق الصوفية في العالم الاسلامي مثار الدهشة والاستغراب ، فقد كثر اتباعها ولم ينج من ويلاتها الا من رحم ربك ، واني درست اغلب هذه الطرق فلم اجد واحدة منها تتفق مبادئها مع الكتاب والسنة !

وقد حدثني صديق لي أنه تأثر مرة من مشهد الحجيج ، وخطر بباله هذا السؤال :

ما سبب تسليط الله سبحانه الكفرة على المسلمين في اكثر بقاع الدنيا ، مع أنه سبحانه بشرهم بأنهم الاعلون ، ولهم العزة ، ولن يجعل الله للكافرين عليهم سبيلا وكان حقا عليه نصرهم .

فألهم أن يسأل هذا الحجيج سواء افريقيا كان أو آسيويا ، السؤال التالي ما هي طريقتك ؟

فكان أكثرهم يذكر له اسما من اسماء هذه الطرق الغريبة .

وقد زار جماعة من وزراء احدى الدول الاسلامية التي تعاني اضطهاد احدى جاراتها الكافرة ، فسألهم عن اسماء الطرق الموجودة في دولتهم ، فظنوه انه من أنصارها واتباعها ، فذكروا له أسماء ما يقرب من عشرة منها ، فلما سألهم : وأية هذه الطرق تتفق مع طريقة ودين محمد صلى الله عليه وآله وسلم فدهشوا من هذا السؤال الغريب ، فقال أحدهم :

كل صاحب طريقة ، طريقته محمدية :

فأجابه : ولكن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم طريقته واحدة وقد وصفها سبحانه بقوله : (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال عليه الصلاة والسلام :

« لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء.» الحديث (١) .

فغضب هؤلاء الوزراء ، وطلبوا الكف عن هذا الموضوع ! . .

فتذكر الصديق عندئذ قوله تعالى : (فما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ! !) (٢) .

ولا شك ان القارىء بعدما سبق من الكلام على موقف المتصوفة من الاستعمار ، لا يستغرب اهتمام الدول الغربية بنشر التصوف واذاعته بين المسلمين ليعمدوا الى تخديرهم ، وقد وضع المستشرق غولدزيهر رسالة عن الحلاج واخباره وتعاليمه ، وصنف المستشرق الاستعماري الخطير لويس ماسينوس كتابا عن الحلاج وطريقته ومذهبه وكتبه وقد علمنا من هو الحلاج ومبلغ دعوته لمحاربة الاسلام ودولة الاسلام .

وقد ذكر الدكتور كامل عياد واقعة شهد فيها مندوبا من مؤسسة

---

(١) رواه ابن ماجه وأحمد وسنده جيد .   (٢) الشورى : ٣٠ .

روكفلر الامريكية يزور جامعة دمشق ، وقد تلكأ هذا المندوب ، ولاذ بمختلف المعاذير حين أعربت له الجامعة عن حاجتها الى بعض المخابر والاجهزة العلمية ، ولكنه لم يلبث ان أظهر البشاشة ولم يتردد في قطع الوعود بالمساعدة حين انتقل الحديث الى انشاء معهد لدراسة التصوف (١) .

ولا غرابة في ذلك فقد رأينا في مباحث هذا الكتاب بعض مبادىء التصوف من محاربة للجسم وصرف عن الدنيا وترك للعلم ، وقتل للنفس ، واهمال للجهاد ، وكان مؤسسو الصوفية الاولون مثالا مجسما لاذاعة هذه المبادىء كما ذكرنا ذلك مفصلا حين الكلام على بحث الجهاد وغيره .

ولا يفوتنا في هذا المقام ان نعلن بأن من أوائل من حذر من التصوف الامام الشافعي والامام احمد بن حنبل لما نهى عن قراءة كتب الحارث المحاسيبي كما ذكرنا ذلك في غير هذا الموضع ، وشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه الامام ابن القيم ، وجاء من بعدهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب فسار على نهجهم في محاربة الصوفية الذين يستغيثون بأصحاب القبور ويذبحون لهم ، وهم يعلنون حربا غوغائية على هذا الشيخ لاخفاء ضلالهم والحفاظ على امتيازاتهم ...

واليوم يحمل لواء الاصلاح ومعول هدم الصوفية الشيخ عبد العزيز ابن باز وكيل رئيس الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ، يعاونه بكل اخلاص وتضحية الامين العام لهذه الجامعة الشيخ محمد ناصر العبودي والاخوة الشيوخ أحفاد الامام محمد بن عبد الوهاب في المملكة العربية السعودية ، ومحدث الديار الشامية محمد ناصر الدين الالباني وجماعته السلفيون في سورية ، والمحامي عبد الرحمن الوكيل ، وأنصاره في مصر ، وقد كانوا يصدرون مجلة الهدي النبوي سنين طويلة ، وفيها حملات شديدة على الصوفية ، والدكتور تقي الدين الهلالي في العراق ثم في المغرب .

ويلاقي هؤلاء الدعاة المصلحون كل أنواع المقاومة التي يقدر عليها المتصوفة والخرافيون ولكنهم جادون بدعوتهم ، ماضون في اصلاحهم وقد بشرهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر في قوله : « لا تزال

---

(١) في مقال له منشور في كتاب « العالم العربي » : مقالات وبحوث ٢/١٤٩ .

طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ، وهم كذلك (١) .

وفي رواية صحيحة وهم ظاهرون على الناس (٢) ! .

---

(١) رواه مسلم وغيره ، وقد ذكر الامام احمد بن حنبل وابن المبارك وسفيان الثوري وغيرهم من كبار العلماء بأن هذه الطائفة هم أهل الحديث رحم الله موتاهم ورعى احياءهم وأمدهم بنصره وتأييده .

(٢) ومما يؤسف له ان خصوم أهل الحديث : الدعاة المصلحين ، ليسوا العامة فحسب ، بل يحمل وزر هذه الخصومة أدعياء العلم من بعض شيوخ جامعة الازهر ، وكليات الشريعة في بعض الاقطار الاسلامية وغيرهم ممن خدر التصوف نفوسهم ، وقتل التعصب المذهبي شخصياتهم ، فباتوا حربا على أهل الحديث ، نذكر في مقدمتهم الشيخ أبا زهرة الاستاذ بكلية الشريعة في جامعة القاهرة في كتابه : « المذاهب الاسلامية » طعن فيه بالسلفيين من أهل الحديث في كثير من المناسبات جهلا وزورا وتضليلا ، واطلق عليهم في بعض الاحيان اسم « الوهابيين » جريا وراء العامة والغوغاء ! وختم كتابه بعنوان « المذاهب الحديثة » وهم بزعمه : الوهابيون ، والقاديانيون ، والبهائيون . وهكذا قرن أهل الحديث بالفرقتين الضالتين السابقتين . واعتبر أهل الحديث مذهبا جديدا كما يقول كثير من أعداء الاصلاح .

وقد بات بحث أبي زهرة هذا سلاحا بيد الخرافين والادعياء يحاربون به السلفيين ، قائلين لهم في مناظراتهم ان الشيخ أبا زهرة ـ الاستاذ في كلية الشريعة بجامعة ... القاهرة قد قرنكم بالقاديانيين والبهائيين ، فعليه من الله ما يستحق !

ومن خصوم أهل الحديث السلفيين في سورية الشيخ عبد الفتاح أبو غدة فهو حبا في التقرب الى العامة والغوغاء ليكسب عطفهم وتأييدهم ... يعمد الى الطعن في هؤلاء السلفيين حسدا وحقدا فقد خطب مرة في أحد مساجد حلب ، فتطرق الى الكلام على السلفيين فأسماهم (الوهابيين) تقليدا للعامة والرعاع وكان مما قاله : « ان هؤلاء الوهابيين تتقزز نفوسهم او تشمئز حينما يسمعون بذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، مما لا يجسر على القول به أكذب الناس لما يعلمه من مبلغ حب السلفيين للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسعيهم الحثيث لتقفي اثره والنهج حسب سنته والرجوع لمذهبه .

وآخر ما علمنا من افتراء الشيخ أبو غده أنه يشيع بين اصحابه وزملائه في السعودية أن محدث الديار الشامية محمد ناصر الدين الالباني قد قرن الاحناف بالمجوس ، ثم عدل عن المجوس الى الكفرة يشير بذلك الى ماجاء في تعليق الشيخ ناصر الدين الالباني على مختصر صحيح مسلم على حديث : « كيف انتم اذا نزل فيكم ابن مريم ، فأمكم منكم » ... قال ابن ابي ذئب في معنى فأمكم منكم ، فحكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم !

قال المعلق : « هذا صريح في أن عيسى عليه السلام يحكم بشرعنا ، ويقضي بالكتاب والسنة ، لا بغيرهما من الانجيل او الفقه الحنفي ونحوه (٣٠٨/٢) .

والشيخ الالباني حفظه الله تعالى لا يقصد من هذا الجمع المساواة ، ولكنه يرد بذلك على قول النصارى القائلين بأن المسيح يحكم عند نزوله بالانجيل ، كما يرد ايضا على متعصبة الحنفية القائلين بأن المسيح يحكم عند نزولهم بمذهبهم كما جاء ذلك صريحا في كتاب « الاشاعة في أشراط الساعة » للبرزنجي .

←

وأبو غده يعرف يقينا ماذا يقصده شيخنا بالكلام السابق ، ولكنه الكيد والمكر والخديعة ! ! ولكن ما يفيده كل ذلك ، وقد قال الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها   فلم يضرها ، واوهى قرنه الوعل

ومن دلائل محاربة أبي غدة لاصحاب الحديث ، أنه في تعليقاته على الشيخ علي القاريء رحمه الله حينما يأتي على ذكر شيخه زاهد الكوثري – وهو الحنفي المحروق والعدو اللدود لاهل الحديث يشيد بوصفه ، وحينما يأتي على ذكر ناصر السنة وقامع البدعة شيخ الاسلام الامام ابن تيمية الذي ملأ الدنيا وشغل الناس بعلمه واصلاحه ، وانقذ العالم الاسلامي من اوحال التعصب المذهبي وأدران التصوف والفلسفة يكتفي بقوله : قال الشيخ ! !

مما يذكرنا بقول الشاعر :

وليس قولك من هذا بضائره   العرب تعرف من انكرت والعجم
هذا الذي تعرف (الفيحاء) وطأته   هذا التقي النقي الطاهر العلم

في الاصل البطحاء ، وقد استعضنا عنها بفيحاء دمشق أشارة الى انتصار الامام ابن تيمية رحمه الله في المعركة التي وقعت بين المسلمين والتتار قرب دمشق مما قد ذكرنا لمحة عنها لما تكلمنا علي مبحث الجهاد ...

ومن الادلة على محاربة عبد الفتاح ابي غده للسنة نشره وتحقيقه لرسالة الحارث المحاسيبي الصوفي الذي نهى امام السنة احمد بن حنبل رحمه الله عن مطالعة كتبه وحتى عن مخالطته مما اضطره الى الاختفاء بدار ببغداد ومات فيها مما ذكره الامام ابن الجوزي في كتابه القيم « تلبيس ابليس » وذكره ابو غده نفسه .. حيث نقل كلام الخطيب البغدادي في طعن الامام احمد بالحارث المحاسيبي حيث قال عنه : « وكان أحمد بن حنبل يكره الحارث للحارث نظره في علم الكلام وتصنيفه الكتب فيه ، وبصد الناس عنه » .

كما نقل الشيخ ابو غده ايضا كلام الخطيب البغدادي بسنده الى سعيد بن عمرو البردعي قال : « شهدت أبا زرعة – وقد سئل عن الحارث المحاسيبي وكتبه – فقال للسائل : اياك وهذه الكتب ! اياك وهذه الكتب ! هذه كتب بدع وضلالات ! عليك بالاثر ، فانك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب . قيل له : في هذه الكتب عبرة ، قال : من لم يكن له في كتاب الله عبرة ، فليس له في هذه الكتب عبرة ، بلغكم ان مالك بن أنس وسفيان الثوري ، والاوزاعي ، والائمة المتقدمين صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الاشياء ! هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم ! يأتون مرة بالحارث المحاسيبي (وعدد اسماء بعض الصوفية ثم قال) : ما أسرع الناس الى البدع ؟ !

ثم قال ابو غدة : ويعلل الحافظ ابن رجب نهي ابي زرعة واحمد وغيرهما عن مسلك الحارث المحاسيبي تعليلا آخر غير الذي أسلفناه فيقول رحمه الله تعالى في كتابه « جامع العلوم والحكم » ص ٢٢٣ .. « وانما ذم احمد وغيره المتكلمين على الوساوس والخطرات من الصوفية حيث كان كلامهم في ذلك لا يستند الى دليل شرعي ، بل الى مجرد رأي وذوق كما كان ينكر الكلام في مسائل الحلال والحرام بمجرد الرأي من غير دليل شرعي» .

وعلى الرغم من هذه الشهادات المروعة في الحارث المحاسيبي ، بالاضافة الى الفضائح التي نسبها الامام ابن الجوزي في كتابه « تلبيس ابليس » وبيانه فسادها وضلالها راح يذكر رواية الحافظ الذهبي بأن هجر الامام احمد له حتى مات في داره : « حكاية منقطعة » !

وماذا يفيد ذلك الحارث المحاسيبي وانصاره مادام كلامه ظاهر البطلان واضح الابتداع ، يوجب الشارع على كل مسلم مقاطعته كما هو مقرر من اوليات الشريعة ؟ !

وما يقول ابو غدة بكلام الامام ابي زرعة والامام ابن الجوزي والحافظ ابن رجب وغيرهم فهل بحث ايضا عن رواتبهم فلعلها منقطعة ايضا ؟ !

ومما قاله الشيخ ابو غده في رسالة المحاسيبي :

قال شيخنا الامام (امام الضلالة والسخف والتعصب المذهبي) محمد زاهد الكوثري رحمه الله ! لقد كان أثر الامام المحاسيبي على الغزالي كَبيرا ، لقد تبطن الغزالي كتاب « الرعاية » في كتابه « الاحياء » .

ما جاء داخل القوس هو من كلامنا !

لقد كان هذا الاثر شؤما على الغزالي أرداه حتى دخل بطون الفلاسفة ولم يستطع الخروج كما قال عنه الامام القاضي ابن العربي رحمه الله ، وكان كتاب « الاحياء » نفسه بسبب كتاب « الرعاية » وغيره شؤما على المسلمين ! وما أحسن ما قاله الامام ابن الجوزي رحمه الله .

« ... وجاء ابو حامد الغزالي فصنف لهم ــ أي للمتصوفة ــ كتاب « الاحياء » على طريقة القوم وملأه بالاحاديث الباطلة ، وهو لا يعلم بطلانها ! وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه وقال ان المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن ابراهيم صلوات الله عليه أنوار هي حجب الله عز وجل ولم يرد هذه المعروفات : وهذا من جنس كلام الباطنية . وقال في كتابه « المفصح بالاحوال » : ان الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يترقى الحال (!!) من مشاهدة الصور الى درجات يضيق عنها نطاق النطق « (! !) .

ثم قال الامام ابن الجوزي عن كتاب الاحياء وغيره ، وكان السبب في تصنيف هؤلاء مثل هذه الاشياء قلة عملهم بالسنن والاسلام والآثار واقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم . تلبيس ابليس طبعة الوعي العربي ص ١٨٦ .

وكم أحسن اكثر علماء المغرب لما طالبوا أميرهم علي بن يوسف بمصادرة كتاب « الاحياء » من المسلمين واحراقه لما يحمل من بدع المتكلمين وضلالاتهم وأفتوا بعدم جواز قراءته بحال .

وهكذا كان ، فقد أمر هذا الامير بجمع نسخ الاحياء فصب الزيت عليها واحرقها في احدى الساحات العامة .

(١) ابو حامد الغزالي في الذكرى المئوية التاسعة لميلاده باختصار ص ٧٠٧ وقد جاء في هذا الكتاب المذكور بعد الصفحات السابقة ان الغزالي تأثر من حرق كتابه « الاحياء » فحرض بعض طلابه الخرافيين القساة على الرحيل الى الاندلس ونزع الملك من

الامير علي بن يوسف انتقاما منه مما كان من اسباب ضعف الاندلس امام أعدائها الاسبان وهـذا الحادث يضيف صفحة جديدة الى سيئاته السياسية ومواقفه الحربية المخزية !

نعود الى صلب الموضوع ، فنقول :

هذا هو الحارث المحاسبي وتلك شهادات علماء السنة فيه مجمعين غير مختلفين ..

وعلى الرغم من كل ذلك يعمد الشيخ ابو غده لاحياء آثاره والاشادة بذكره فيقول ضاربا بكل وقاحة باراء العلماء الاعلام السابقين عرض الحائط : « ومن اطيب ما ترك الاول للاخر آثار الامام ! الشيخ ابي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي الزاهد ، الواعظ ، الفقيه المحدث ! ! المتكلم الناصح الامين ! الداعي ! الى الله بقلبه وقلمه ، ولسانه ، ونفسه (١) ... » ص ٧ .

(١) ان علم الكلام منقصة لا مفخرة وقد نهى عنه كبار العلماء ومنهم الائمة الاربعة وغيرهم لان اغلبه فلسفات يونانية لا تمت الى الاسلام بصلة .

ولم يكتف ابو غده بهذا الثناء ... بل راح يقول : هذا – وللشيخ ابي عبد الله المحاسبي نهج حسن طيب أ وهو ان تصوفه الذي دونه في كتبه راعى فيه ما جاء في الكتاب والسنة ! ! وأقوال الصحابة وأعمالهم بحسب علمه وفهمه . ص ٢٠ .

استدرك على العبارة السابقة ما يلي :

اولا – اما ان يكون الشيخ عبد الفتاح ابو غدة لا يعرف الكتاب والسنة ما دام كبار الائمة حذروا من المحاسبي لمخالفة سلوكه واقواله للكتاب والسنة .

ثانيا – واما ان يكون كلام أبي غدة شهادة زور لاغراء المسلمين بدراسة كتب المحاسبي ليزدادوا ضلالا !

ومهما كان من هذين الاستدراكين ، فقد أثبت المحاسبي جهلا مريعا وقلة فهم لما زعم أن تصوفه راعى فيه ماجاء في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وأعمالهم مما نسبه اليه ابو غده بأن كلامه وسلوكه وفق الكتاب والسنة .

ثم راح أبو غدة يغش المسلمين وينقل لهم النصيحة التالية للقشيري :

قال ابو عبد الله بن خفيف اقتدوا بخمسة من شيوخنا والباقون سلموا اليهم احوالهم (!!) المحاسبي ، والجنيد ، ورويم .. لانهم جمعوا بين العلم والحقائق(!) ص ٢١.

وقد اطلع القراء فيما سبق على بعض اراء المحاسبي والجنيد المخالفة لابسط مبادىء الاسلام .

اكتفى بهذا القدر من مناقشة بعض ما جاء في رسالة المحاسبي ولو أردنا التعقيب على كل ما جاء فيها من انحراف لاحتجنا الى ضعف حجمها .

وننتقل بعد ذلك الى موضوع اخر من هذه الرسالة وهو موضوع تخريج ابي غدة لاحاديثها كما اشار (جنابه) الى ذلك في اول الرسالة .

وقد كان هذا التخريج مبنيا على التقليد الذي ذهب بأبي غدة كل مذهب ، فاكتفى بنقل آراء المحدثين فقط دون ترجيح ، فترك بذلك قراءه في حيرة لانه هو في حيرة .

ورحم الله تعالى الشافعي فقد قال : المقلد كحاطب ليل ، يحمل الافعى وهو لا يدري ...

حتى النقل ايضا فانه لم يحسنه ، فقد عزا الى الترمذي انه قال عن الحديث الآتي : « غريب » مع انه قال عنه وهذا حديث حسن غريب **لا نعرفه الا من حديث شريك »** .

والى القارىء مقارنة سريعة بين العلم والجهل وبين التخريج والتدجيل وبين المحدثين وادعياء الحديث .

قال محدث الديار الشامية محمد ناصر الدين الالباني في تخريج حديث :« يا علي لا تتبع النظرة النظرة ، فان لك الاولى وليست لك الاخرى » .

أخرجه ابو داود (٣٣٥/١) والترمذي (١٤/٤) والطحاوي في « شرح الاثار » (٩٠٨/٢) وفي « الشكل » (٣٥٢/٢) والحاكم (١٩٤/٣) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي . والبيهقي (٩٠/٧) واحمد (٣٥٣/٥ و ٣٥٧) من طريق شريك عن أبي بريدة عن أبيه رفعه . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث شريك » قلت : وهو ابن عبد الله القاضي سيىء الحفظ لكنه قد توبع ، فقد اخرج الطحاوي في كتابيه والحاكم (١٢٣/٣) واحمد (رقم ١٣٦٩ و ١٣٧٣) من طريق حماد ابن سلمه : حدثنا محمد بن اسحاق عن محمد بن ابراهيم التيمي عن سلمه بن أبي الطفيل عن علي بن أبي طالب ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له : فذكر الحديث . وقال الحاكم : « صحيح الاسناد ووافقه الذهبي » .
ويشهد له حديث : « سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن نظر الفجاءة ؟

قلت : وفيه ابن اسحاق مدلس ، وقد عنعنه ، لكن الحديث حسن بهذين الطريقين فأمرني صلى الله عليه وآله وسلم أن اصرف بصري » رواه مسلم (١٨٢/٦) .... وغيره ا . هـ .

ولنستمع بعد ذلك الى ما أسماه الشيخ ابو غده « تخريجا » ! ! للحديث السابق :

« هو حديث مرفوع ، رواه بريدة بن الخصيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخرجه الامام احمد وابو داود والترمذي وقال « حديث غريب » ... ا.هـ ص ٧٠ .

ومعنى غريب : ضعيف باصطلاح الترمذي مع ان الحديث حسن !!!

هذا مثال من أمثلة مما جاء في مراجعة الاحاديث الواردة في رسالة المحاسبي .

فهل نظلم ابو غده اذا قلنا له : اذهب وتعلم الحديث قبل ان تتصدى الى تخريجه ، مما يقتضيه أبسط مبادىء العلم والامانة ! !

ورحم الله القائل :

فدع عنك الكتابة لست منها ولو لطخت وجهك بالمداد !

التصوف (١)

أعتقد أن الطرق الصوفية المنتشرة في بلاد المسلمين لا تعتبر الا معول هـدم للاسلام من أساسه ! !

ولو كانت هذه الطرق الصوفية البلهاء تمثل فكرة بعيدة عن محيط الاسلام ، لهان أمرها ، وخف خطبها ! ولكنها ألصقت بالاسـلام بهتانا وزورا ، وهي ليست من الاسلام في شيء ، ولا زال الجهلة من المسلمين، وكذلك المستشرقون ورجال الفكر الغربيون ، يعدونها أصلا من أصول الاسلام ، وهي لا تمت الى الاسلام بصلة !

ولا بد أن نفرق هنا بين التصوف والطرق الصوفية ، نفرق بـين التصوف كنزعة تغلغلت في القلوب قرونا ، وشغلت أذهان المسلمين وغير المسلمين ولا زالت آثارها تدرس وتبحث ويختلف فيها الفلاسفة وغيرهم .. نفرق بين نزعـة التصوف هذه ، وبـين الطرق الصوفيـة كحرفة يحترفها العاطلون والدجالون والمحتالون ، ويخدع فيها الجهلة من العامة الذين يخطف أبصارهم بريق المظاهر .

ولا خلاف في أن الصوفية كنزعـة ، انما بدأت بـين المسلمين في منتصف القرن الثاني الهجري وكانت الباطنية (٢) هي التي وضعت أولى لبنة في هذه النزعة . لتخدم أغراضها وتحقق أهدافها ! !

---

(١) هذا البحث والذي بعده للاستاذ عبد الله السمان نقلا عن كتابه « الاسلام المصفى » وجرى التعليق عليهما من قبل طائفة من الجامعيين .

(٢) راجع كتاب الصلة بين التشيع والتصوف للدكتور الشيعي مصطفى كامل الشيبي وقد قال الامام ابن خلدون : « ... ثم حدث أيضا عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحس وظهر منهم القول بالحلول والوحدة ، فشاركوا فيها الامامية والرافضة لقولهم بألوهية الائمة وحلول الاله فيهم . وظهر منهم أيضا القول بالقطب والابدال وكأنه يحاكى مذهب الرافضة في الامام والنقباء وأشربوا أقوال الشيعة وتوغلوا في الديانة بمذهبهم حتى جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرقة ان عليا ـ رضي الله عنه ـ ألبسها الحسن البصري ... ولا يعلم هذا عن علي من وجه صحيح » مقدمة ابن خلدون ص ٢٢٣ .

ولهذه النزعة الصوفية فلسفة ، تختلف باختلاف افكار المتصوفة ، وقد تأتي فلسفة البعض منهم أحيانا بما يقره العقل والدين ، (وفي هذه الحال تسمى اسلاما ولا تسمى تصوفا ، لان التصوف دخيل على الاسلام ، وقد تأتي فلسفة البعض منهم أيضا ، بما لا يعترف به ولا يقره العقل والدين وفي كثير من الاحيان تأتي فلسفة النزعة الصوفية مزيجا من الطيب(١) والرديء ، مما يدع افهام الناس حياله مضطربة مرتبكة ! !

يرى الكرخي أن التصوف : هو الاخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق ، ـ من الرسالة القشيرية .

ورأي الكرخي هذا يعتبر من أقدم الآراء وأكثرها اتزانا (٢) .

واذا تركنا رأي الكرخي الى غيره من زعماء الفلسفة الصوفية ، وجدنا أمامنا آراء هي غاية في الحماقة والتعقيد ! !

فسمنون مثلا يرى أن فلسفة التصوف : هي ألا تملك شيئا ، ولا يملكك شيء ! ! ـ من كتاب اللمع في التصوف للسراج الطوسي .

وسئل الحصري عن الصوفي فقال : هو الذي لا تقله الارض ولا تظله السماء ! ! ـ من كتاب التصوف الاسلامي العربي .

ويرى أبو يزيد البسطامي : أن فلسفة التصوف هي الجوع والعطش ! وان الانسان الصمداني لا يأكل غير مرة واحدة في ثمانين يوما ! ! « الرسالة القشيرية » .

واذا تركنا هذه الآراء الحمقاء ، وجدنا هناك آراء جاءت مزيجا ـ كما قدمنا ـ من الطيب والرديء ، مما لا طاقة للعقول بتكييفها ! .

---

(١) كل ما جاء في كلام الصوفية من معسول القول ، ودعوى موافقة تصوفهم للكتاب والسنة ، هو استدراج للمغفلين والسذج للاقبال عليهم ، والتسليم بأقوالهم وأعمالهم الضالة المضلة مما سنرى أمثلة منها في هذه الرسالة .

أقول هذا مع التصريح بأن هذا القول للكرخي ـ اذا تأملناه ـ هو سخف وهذيان ! !

(٢) أين هذا الاتزان ، والكرخي هو القائل لتلميذه السقطي : « اذا كانت لك حاجة الى الله ، فأقسم عليه بي » ! ! مما لم يجرؤ أن يقوله النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . راجع ترجمته في الرسالة القشيرية .

والكرخي هذا هو الذي يروون عنه أنه بال على شاطىء نهر ، وتيمم ، فقيل له : الماء منك قريب ! ! فقال : « لعلي لا أبلغه » طبقات الصوفية للسلمي ص ٨٣ .

قال رويم بن احمد البغدادي :

التصوف مبنى على ثلاث خصال :

« التمسك بالفقر والافتقار ، والتحقيق بالبذل ، وترك الفرض والاختيار (١) ! » ـ الرسالة القشيرية .

وفي كتاب التعرف في التصوف : التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية ، ومفارقة الاخلاق الطبيعية . واخماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدواعي النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلم بالعلوم الحقيقية ، واستعمال ما هو أولى على الأبدية ، والنصح لجميع الامة والوفاء لله على الحقيقة (٢) ، واتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الشريعة ! !

وقد أدت هذه الفلسفة المتعقدة الحمقاء الى كثير من الشطحات (٣) التي تهدم كيان الشرع ، وتعطل سنن الحياة كما ارادها الاسلام لاستقرار هذه البشرية .

---

(١) التمسك بالفقر من أسخف ما نقلته الينا الصوفية من البوذية . وقد كان كثير من فضلاء الصحابة من كبار الاغنياء . ولا أدري كيف يتحقق البذل مع التسول والشحاذة وهما من خصائص الصوفية .

أما القول بترك الفرض فمن أعظم المبادىء الهدامة والجنونية ، وأما القول بترك الاختيار فدعوة الى الاستسلام والتماوت المخالفة لابسط تشريعات الاسلام الذي أعلن حرية الانسان ومسؤوليه .

(٢) ان القول بانقسام الاسلام الى شريعة وحقيقة أولى الحيل لنسف الاسلام والمروق من الدين ! فلم ينزل الله سبحانه على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الا الشريعة . قال تعالى : (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) قال الامام ابن القيم : « كانت الزنادقة في العصر الاول يكتمون حالهم ، ولم يتجاسروا على اظهار ما عندهم حتى جاءت الصوفية فرفضوا الشريعة جهرا وتستروا بمسمى الحقيقة ، وصاروا يقولون هذه شريعة ، وهذه حقيقة ! وهذا من أقبح الامور ، لان الشريعة قد وضعها الله تعالى لصالح العباد في الدارين ، فما الحقيقة بعد ذلك الا القاء الشيطان في النفس ، وقد تمادى هؤلاء الجهلة في غيهم حتى صار أحدهم يقول : « حدثني قلبي عن ربي » ! ! وفي ذلك تصريح بالاستغناء عن بعثة المرسل ، وهو كفر ، وهي كلمة مدسوسة في الشريعة تخفي تحتها هذه الزندقة ! ! » .

(٣) ما أغفل من سمى وثنيات الصوفية شطحات ، فهي في الحقيقة كفريات صريحة ، ولنستمع الى ما ينسب الى أبي يزيد البسطامي : « سبحاني ما أعظم شأني » « تالله ان لوائي أعظم من لواء محمد » « لان تراني مرة خير من أن ترى ربك ألف مرة » انظر ترجمة المناوي لابي يزيد . ولطائف المنن والاخلاق (١٢٥/١ ـ ١٢٦) وراجع كتاب تلبيس ابليس » للامام ابن الجوزي تشاهد العجب .

قال بعضهم : «العارف لايستقبح قبيحة ولا يستحسن حسنة (١)!؟»

وقال بعضهم : « العارف لا ينكر منكرا : لاستبصاره بسر الله في القدر ! !» « رسائل الاصلاح لشيخ الجامع الازهر محمد الخضر حسين » .

وسئلت رابعة العدوية : لم لا تتزوجين ؟ فأجابت :

« هذا يتعلق بمن له حرية الاختيار ، أما أنا فملك لله ، ولا أملك نفسي لأهبها ! » ـ التصوف الاسلامي العربي .

وهناك مراجع كثيرة لهذه الشطحات التي طعنت الشريعة الاسلامية في ظهرها ، وأهم هذه المراجع : « الرسالة القشيرية ، ولواقح الانوار ، للشعراني ، وحلية الاولياء ، لابي نعيم ، وتذكرة الاولياء ، لفريد الدين العطار » ، « وديوان المستقى » لجلال الدين الرومي ، وهو يحوي ٢٧٠٠٠ بيت من الشعر ، وقوت القلوب لابي طالب المكي « وأحياء علوم الدين » للغزالي ، « والتعرف لمذهب أهل التصوف » للكلاباذي ، « واللمع في التصوف » للسراج الطوسي ، « والفتوحات المكية » لابن عربي ، ومؤلفات السهروردي والحلاج وشعر ابن الفارض(٢) .

وقد أدت مثل هذه الشطحات الى ازهاق أرواح بعض فلاسفة المتصوفين ، وفي مقدمتهم « الحلاج » الذي قتله شرعا وزير الخليفة المقتدر عام ٣٠٩ هـ ، والسهروردي المقتول ، الذي قتل بأمر صلاح الدين الايوبي عام ٥٨٧ هـ .

كما أدت فلسفة النزعة الصوفية الى كثير من النظريات الهدامة ،

---

(١) هل هذا كلام عاقل يجري في عروقه دم الحياة ، وقد شم رائحة الاسلام الذي يحض على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويحذر من يهمل ذلك بهلاك في الدنيا ، وعذاب في الاخرة .

(٢) جميع هذه الكتب ملغومة ومدمرة ، قد اختلط فيها السم بالدسم ، والخبيث بالطيب ، نحذر من قراءتها لغير المتمكنين بالكتاب والسنة ، لما فيها من ضلالات وانحرافات وقد حشاها مؤلفوها بالاحاديث الضعيفة والموضوعة للوصول الى غاياتهم الاجرامية لافساد هذا الدين . وعلى من أراد التأكد من ذلك مراجعة كتاب « تلبيس ابليس » للامام ابن الجوزي ، فقد فضحهم وأوضح ضلالهم بما لا يدع مجالا للشك .

وأبرز هذه النظريات : نظرية الحلول ووحدة الوجود (١) ، والكشف والتجلي والتصرف . والذي لا شك فيه أن هذه النظريات مستمدة من الافلاطونية الحديثة . والبوذية ، والباطنية ، والرافضة وغيرها ! !

وقد أنبتت نظرية وحدة الوجود نظرية وحدة الاديان ، وهذه النظرية من أخطر النظريات الهدامة ، وقد اعتنق هذه النظرية الحلاج (٢) وابن عربي (٣) وابن الفارض(٤) ، وجلال الدين الرومي (٥) وغيرهم .

---

(١) ومثلها نظرية الحقيقة المحمدية والفناء وغير ذلك مما تراه مفصلا في كتاب « التصوف بين الحق والخلق » للاستاذ محمد فهر شقفة مما يجدر بكل غيور على الاسلام مطالعته .

(٢) هو القائل : « ليس في الجبة غير الله » وقد أنشد يشير الى اعتناقه نظرية « وحدة الوجود » الكافرة :

أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتني أبصرته ... واذا أبصرته أبصرتنا

سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرا ... في صورة الآكل والشارب !
حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب

(٣) قال ابن عربي في الفتوحات المكية :

الرب حق ، والعبد حق ... يا ليت شعري من المكلف ؟ !
ان قلت عبد فذاك رب ! ... أو قلت رب ، أنى يكلف ؟ !

(٤) قال ابن الفارض يشجع على الفاحشة معتقدا بوجود الله في حواء كما هو موجود في ليلى ولبنى وعزة !

ففي النشأة الاولى تراءت لآدم ... بمظهر حوا قبل حكم الامومة
فهام بها كيما يكون بها أبا ... ويظهر بالزوجين حكم النبوة
وما برحت تبدو وتخفى لعلة ... على حسب الاوقات في كل حقبة
وتظهر للعشاق في كل مظهر ... من اللبس في أشكال حسن بديعة
ففي مرة لبنى وأخرى بثينة ... وآونة تدعى بعزة — عزت ...
بها قيس لبنى تاه بل كل عاشق ... كمجنون ليلى أو كثير عزة
فكل صبا منا الى وصف حسنها ... بصورة حسن لاح في حسن صورة
وما ذاك الا ان بدت بمظاهر ... فظنوا سواها ، وهي فيها تجلت !

ومن أقوال ابن الفارض التي تثبت ايمانه بعقيدة وحدة الوجود :

لها صلواتي في المقام أقيمها ... وأشهد فيها انها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد الى ... حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي ولم تكن ... صلاتي لغيري في أدا كل ركعة
وما زلت اياها ، واياي لم تزل ... ولا فرق بل ذاتي لذاتي صلت...

(٥) انظر الى كلامه وكفرياته فيما بعد !

يقول ابن عربي : لا تنصرف بكليتك عن كل الاديان الى دين واحد ! ! فتكفر بكل ما جاءت به ، فتخسر كثيرا ! فالله عام للجميع لا يختص بفرقة دون فرقة ! .

الم يقل جل جلاله : « أينما تولوا فثم وجه الله (١) ، من كتاب التصوف الاسلامي العربي .

وقد كانت نظريته هذه سافرة في شعره ـ كما جاء في بعض مؤلفاته حيث يقول :

لقد صار قلبي قابلا كل صورة — فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لاوثان وكعبة طائف — والواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت — ركائبه فالحب ديني وايماني(٢)

أما القرآن الكريم فقد كان ألعوبة في أيدي هؤلاء الفلاسفة المتصوفين ، مستغلين سذاجة العامة من ناحية ، ومن ناحية أخرى انشغال الدولة الاسلامية بحروبها الخارجية ، واختلافاتها الداخلية .. والاسلام لم يزل الى اليوم يعاني شرور النزعة الصوفية ، في المؤلفات الضخمة التي تركها زنادقتهم ، وفي هذه الفرق الباطنية المنتشرة في الشرق الاسلامي : لا سيما الهند ، وفي مقدمتها الباطنية ، والبابلية والبهائية والقاديانية وغيرها .

---

(١) انظر كيف يؤول ابن عربي كلام الله ويحرفه ويعطله شأن أكثر الصوفية ، للوصول الى أغراضهم المدمرة فأين تفسيره هذا من قوله تعالى : (ومن يبتغ غير الاسلام دينا ، فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين) .

وابن عربي ـ كما رأيت ـ لا يقصر دعوته على الاديان السماوية التي نسخت ، بل يدعو حتى الى التمسك ببيت الاوثان ! !

(٢) وقال ابن عربي في كتابه « الفصوص » في حكمة علية في كلمة اسماعيلية في تفسير : (وكان عند ربه مرضيا) : « والعبد من كان عند ربه مرضيا ، وما ثم الا من هو مرضي عند ربه (!) لان الذي يبقي عليه ربوبيته ، فهو عنده مرضي ، فهو سعيد » .

وقد زعم ابن عربي بايمان فرعون ونجاته فقال في الفصوص (٢٠١/١) في تفسير : (قرة عين لي ولك) : « فيه قرة عينها بالكمال الذي حصل لها وقرة عين لفرعون بالايمان الذي اعطاه الله عند الغرق ، فقبضه طاهرا مطهرا ليس فيه شيء من الخبث .

وراجع « الفص الموسوي » من كتابه الفصوص تجد بحثا رهيبا في تفضيله فرعون على موسى عليه السلام !

الطرق الصوفية

كان لا بد للنزعة الصوفية من تنظيم يجمع حولها الاشياع والانصار ويربط قلوبهم وأرواحهم وعقولهم بها .

فنشأت بعد منتصف القرن الثالث الهجري الطريقة السقطية نسبة الى السري السقطي ، والجنيدية نسبة الى الجنيد ، ثم نشأت **بعد ذلك** طرق صوفية كثيرة في القرنين السادس والسابع ، أهمها : القادرية نسبة الى عبد القادر الجيلاني ، والرفاعية نسبة الى احمد الرفاعي ، والشاذلية نسبة الى ابي الحسن الشاذلي ، والمولوية نسبة الى جلال الدين الرومي ، والاحمدية نسبة الى احمد البدوي(١) .

---

(١) قال الجنيد المسمى بسيد الطائفة الصوفية : « ما رأيت أعبد من السري أتت عليه ثمان وتسعون سنة مارئي مضجعا الا في علة الموت » راجع الاعلام للزركلي .

جاء في كتاب قوت القلوب لابي طالب المكي (٣/١٣٥) قال الجنيد : « أحب للمبتدىء ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث » والا تغير حاله : التكسب ، وطلب الحديث ـ حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ والتزوج . وأحب للصوفي الا يقرأ ولا يكتب ، لانه أجمع لهمه » ! ! ! راجع كتاب قوت القلوب للمكي ٣/١٣٥ .

ومن أقواله ـ كما جاء في الرسالة القشيرية : « التصوف هو أن يغيبك الحق عنك ، ويحييك في نفسه » يشير بذلك الى الفناء .

يقول جلال الدين الرومي في ديوانه :

... انظر الى العمامة احكمتها فوق رأسي ، بل انظر الى زنار زرادشت حول خصري..

مسلم انا ولكني نصراني وبراهمي وزرادشتي ! !

ومن أقوال جلال الدين الرومي :

« جرد نفسك من صفاتك حتى تشاهد نفسك حقيقتها ، انكِ ترى في قلبك علوم الانبياء (! !) من غير كتاب (!) ومعلم ومعبد ، فان المرآة كلما صفت تجلت فيها الانوار ، واذا انفتحت نافذة نفسك ، دخل منها النور الالهي من غير واسطة ومن غير حجاب (!) نقلا عن كتاب رجال الفكر والدعوة في الاسلام للندوي ص ٢٧٣ .

ألا تعجب أيها القارىء من الشيخ ابي الحسن الندوي كيف جعل الرومي من رجال الفكر والدعوة في الاسلام وقد رأينا بعض أقواله المارقة وأفكاره المنحرفة عن الاسلام ؟ !

ولم يذكر من الدعاة الامام ابن تيمية والامام ابن القيم والامام محمد بن عبد الوهاب الذين أيقظوا العالم الاسلامي من سباته وكانوا من كبار الدعـاة المجددين .

حقا ان ادعياء الاصلاح بحاجة الى اصلاح ! ! بل الى تجديد ايمانهم واعلان توبتهم ايضا ! ! فهم لا يستطيعون التمييز بين الدعاة الاسلاميين والزنادقة العريقين ! ! **فياللبلاهة !**

قال مؤلف الحدائق الوردية في أجلاء النقشبندية لاحمد الخاني في ترجمة الشـاه نقشبند مؤسس الطريقة النقشبندية ما ملخصه :

فلا وربك لم يبق احد الا استمد من امداده حتى وحوش الفلا ، فهو الغوث الاعظم ص١٢٥ وذكر من كراماته أنه أمات صاحبه ثم احياه (ص ١٣٧) .

←

وكان لهذه الطرق سلوك فيه القليل من الاتزان ، وآخـر يفيض سفهـا وشططا ، كما كـان لها اتجاهات ثلاثة هي غـاية من الخطورة :

أولها ـ أن تصبغ المريد بصفة الفناء في شيخه ، حتى يعتبره دينه ومذهبه ، ودنياه وآخرته ، وماضيه وحاضره ومستقبله ! !

وثانيها ـ أن تصرف المريد عن الدنيا ، وتعزله عن وحدة المسلمين وشؤونهم ، ومهام أمورهم التي تتعلق بكيان دولتهم ، وتطبعه بطابع الدعة والتواكل والخمول ! !

وثالثها : أن تجعله يعيش في جو غامض ، مشبع بالالغاز المعقدة ، مليء بالخيالات والاوهام ، وتسيطر على عقله (١) : حتى تجعل بينه وبين

وجاء في الكتاب السابق : قال الشيخ صلاح جامع مناقب الشاه : وكان سيدنا البهـاء يوما مع أصحابه ، فقال : ان التعلق بالسوى حجاج عظيم للسالك (أي سوى الله) ، فخطر ببالي ساعتئذ ان التعلق بالايمان والاسلام ايضا كذلك ! (أي حجاب) فالتفت ـ أي الشاه نقشبند ـ بالحال وتبسم ثم قال :

أما سمعت قول الحلاج قدس الله سره (! !) .

كفر تبدين الله والكفر واجب لـدي وعنـد المسلمين حـرام !

والجيلاني ، يطوف أتباعه حول قبره كما يطوفون حول الكعبة ، ومن أذكارهم الاجرامية: « عبد القادر الجيلاني متصرف بالاكوان » ! ! وقد كان رحمه الله تعالى من اكثر الناس تقى ومراقبة لربه ، انتصر على الشيطان في حادثة عجيبة رواها عنه الامام ابن تيمية في كتابه « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » .

قال : « كنت مـرة في العبادة ، فـرأيت عرشا عظيما وعليه نور . فقال لي : ياعبد القادر : أنا ربك، وقد حللت لك ما حرمت علىغيرك. قال : فقلت له : أأنت الله الذي لا اله الا هو ؟ ! اخسأ يا عدو الله . قال : فتمزق ذلك النور وصار ظلمة وقا ل: يا عبد القادر ! نجوت مني بفقهك في دينك وعلمك .. لقد فتنت بهذه القصة سبعين رجلا !

فقيل للشيخ عبد القادر : كيف علمت انه الشيطان ؟ ! قال بقوله لي : « حللت لك ما حرمت على غيرك » وقد علمت ان شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا تنسخ ولا تبدل ، ولانه قال أنا ربك ، ولم يقدر أن يقول : انا الله الذي لا اله الا أنا .

والرفاعي هو الذي زعم ، أو زعم اتباعه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مد اليه يده من قبره وصافحه ، ولو جاز ذلك لجاز لكبار أصحابه ، وهم أفضل من الرفاعي ! !

(١) جاء في رسالة السعادة الابدية في الطريقة النقشبندية تحت عنوان : « آداب صحبة المريد مع الشيخ » وهي كثيرة (منها) وهو أهمها أن يقصر اعتقاده على شيخه جازما بأنه لا يحصل مطلوبه الا على يد هذا الشيخ (كذا !) فاذا تشتت نظره الى شيخ آخـر حرم نفع الاول (!) وانسد عليه باب الامداد الالهي ! (ومنها) ان يكون راضيا بتصرف الشيخ في أموره منقادا له ، مسلما لاوامره ، مبادرا لامتثاله بلا اهمال ولا تأويل (بينما يباح للشيخ تأويل كتاب الله (ومنها) ان يحب المريد ما يحبه الشيخ ويـكره ما يكرهه ويكتم أسراره ! ويخدمه بنفسه ! ومنها أن لا يكتم عنه شيئا من أحواله وخواطره ولو كانت ذميمة ص ٢٠ ومن آداب المريد مع شيخ طريقته ان يكون بيد هذا الشيخ كالميت بيد الفاسل ، ومن قال لشيخه لم لا يفلح ابدا ! !

روح الشريعة جفاء مستحكما !

والطرق الصوفية التي لم تزل على مسرح المجتمع الاسلامي ، في هذا الشرق المتخلف عن ركب الاسلام الصحيح ، تأثرت تأثرا كبيرا بهذه الاتجاهات الحمقاء وازدادت حمقا بها ، تبعا للمريدين الذين أصبحوا اليوم من السذج البسطاء ، والجهلة الاغبياء ، وأشياع البطالة !

وتبعا لشيوخها الذين احترفوا الطرق كمورد للارتزاق ، ووسيلة للعيش ومصنع لنماذج من الدجل والشعوذة والتغرير ! !

ونحن لا نكاد نجد حرفة لهذه الطرق الصوفية البلهاء سوى الارتزاق والدجل والهدم في كيان الاسلام بمعاول من فولاذ ! !

ان بعض اتباع هذه الطرق من المجاذيب لا يقيم الفريضة في مساجد المسلمين ! ولا يمكنك الاعتراض عليه ، لانه يصليها مع النبي في البرزخ !!

وبعض المجاذيب يشرب الخمر علنا ، ولا يمكنك الاعتراض عليه لان الله يصيرها له عسلا مصفى .. !

وبعضهم يشرب الخمر لينفر بها الملائكة ، الذين لا يدعونه يحظى من النوم لحظات .. ! !

والكثرة الساحقة من أتباع الطرق يحترفون البطالة بحجة أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ـ وفي السماء رزقكم وما توعدون ـ !

وهؤلاء لا عمل لهم طول العام الا التنقل من بلد الى آخر لزيارة أضرحة الاوليا(١) والصالحين ، رغبة في نيل البركة ، والتماس الخير ، وطلبا للاجر من الله .. لان خطواتهم لم تكن الا في سبيله !

حتى ذكر الله لم يسلم من تحريف هؤلاء الحمقى .. فلا زال اتباع الطريقة الشاذلية يذكرون الله بهذه الالفاظ .

---

(١) مع العلم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن ذلك فقال لا تشد الرحال الا (وفي رواية انما يسافر) الى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى . وقد رأى بعض الصحابة ابا هريرة راجعا من زيارة الطور ، فلامه على ذلك وذكر الحديث السابق . ان هذه الاضرحة قد يكون في زيارتها شرك لما يصحب هذه الزيارة من الاستغاثة بها والنذر والدعاء لها . ! ! وكل ذلك من العبادات التي لا تجوز الا لله وحده .

آه ـ ايــه ـ اه ـ أوه (١) .

ولا يزال أتباع بعض الطرق الاخرى يلهجون بذكر الله لهجات أقرب الى الالغاز ، ولهم تفسيرات لا يقنع بها سوى المجانين والمعتوهين ! !

هل للطرق الصوفية اليوم رسالة تؤديها نحو الاسلام أو أوطــانه ، او شعوبه أو مجتمعه ؟ !

اللهم سوى ما ذكرناه من الفوضى باسم الاسلام ؟ !

اذا كانت هذه الموالد التي تظل طول العام في حركة دائبة هنــا وهناك ، هي رسالة الطرق الصوفية ، فاللهم ان الاسلام لفي غنى عنها ! !

واذا كانت حلقات الاذكار الصاخبة التي نشاهــدها في الشوارع والميادين وامام المساجد ، هي رسالة الطرق الصوفية ، فاللهم ان الاسلام ليس في حاجة اليها ! .

اذن فلم تظل هــذه الطرق الصوفية تخدم الاستعمار في الــدول الاسلامية المستعمرة ، لانها تسيطر على جزء من الرأي العام ، وتغمض اعينه عن وصمة الاستعمار ! ؟

ان سفارات الاستعمار في كل دول المسلمين تعنى بالطرق الصوفية. وتكافىء شيوخها بمكافآت سخية ، حتى يواصلوا نشاطهم من أجــل الاستعمار وعيون الاستعمار ! !

وهي أيضا تخدم الحكم الجائر (٢) لانها أيضا تغلق أعين مريديها عن

---

(١) ولا يقتصرون على تحريف اسم الله تعالى بهــذه الالفاظ والاصوات الشنيعة ، بل يتراقصون ويتواجدون كأنهم في حانة خمار ، وقد جاء في حاشية ابن عابدين : « رأيت فتوى شيخ الاسلام جلال الملة والدين : الكرماني : أن من يستحل الرقص كافر ! ! وتمامه في شرح الوهبانية ، ونقل عن نور العين عن التمهيد : انه فاسق لا كافر .

(٢) جاء في كتاب : « هذه هي الصوفية » ص ١٨١ . لاذ الصوفية بفاروق ـ الملك المخلوع ـ وأفاضوا عليه عبدانا يشكرونه على ان منح شيخ مشايخهم كسوة (!) وبــين يدي فاروق ، وقف شيخ الصوفية يخطب عابدا شاكرا ، فقال عن الكسوة : « انهــا يا مولاي رمز لما اعطاك الله من مواهب ، وعنوان لفيض من فيوضاته سبحانه على قلب فاروق الطاهر تكشف عن مدى طهر وضعه الله فيك ، نصفت ـ روحك الطيبة ، وان هذا التكريم للصوفية انما هو قبس من قلبك التقي ينير لنا الطريق ، ويهدينا سواء السبيل ، فيك نستضيء ، ومن هديك نسترشد ، ومن روحك العالية نستمد الالهام والهدي (! !) واني اذ أتشرف بالوقوف بين يديك اليوم ، أقطع على نفسي عهدا وثيقا أن أكون لجلالتك المخلص الوفي أمدك الله يا مولاي بروح من عنده والبسك حلة من مجده ، وأيدك بجند من ←

فوضى الحكم . وتصب في آذانهم ، أن الاعتراض على الاوضاع الفاسدة ، هو اعتراض على قدر الله ومشيئته . ! !

ولا أنسى ــ قبل ثورة الجيش ــ يوم كنت في أحد مساجد القاهرة خطيبا ، وكان موضوع الخطبة تنديدا بالحكم الجائر ، والاوضاع الفاسدة، وسكوت الراي العام الذي تخلف عن واجبه ..

ولم أكد أنتهي من الصلاة حتى تربع أمامي شيخ .. واخذ في أسلوب لين يعترض على موضوع الخطبة قائلا : ما علينا الا ان نسلم بكل وضع ، لان مشيئة الله اقتضته ، وليس في الامكان ابدع مما كان (١) ، ألم يقل الله عز وجل : دع الملك للمالك ، والخلق للخالق ، والدين للديان (٢) .. ؟ ! !

ولم أستطع أن أجيب شيخ الطريقة ، بأكثر من نظرة ساخرة من عمامته الضخمة ! ! !

وهذه الطرق الصوفية بحالتها الراهنة ، هي التي نعلن عليها الحرب باسم الاسلام حتى نطهره منها ، لانها بمثابة وصمة في جبينه ، وبمثابة صداع لا يغادر رأسه طرفة عين .

ان هذه الطرق الصوفية البلهاء ، فتحت في الشرق الاسلامي أسواقا رائجة للدجل والشعوذة والتحايل ، والتغرير بأفهام الجهلة من المسلمين ! !

وان شيوخ هذه الطرق لاشبه بسماسرة الاسواق ، بل اشبه بعصابات اللصوص المتفننة في الاجرام على الطريقة الامريكية كما يقولون ! !

وجرائم هذه الطرق من الكثرة بحيث لا تحصى ، وكلها جرائم تسيء

→

جنده ، وأعانك بعونه ، وكفلك بعين رعايته » اقرأ الصحف الصادرة بتاريخ ١٩٤٧/٣/٢٥م. فهل يذكر الصوفية « بك نستضيء » بتقديم الجار والمجرور يفيد قصر استضاء لهم على فاروق ! هل يذكرون ؟ ! « من هديك نسترشد » هكذا ؟ بتقديم الجا روالمجرور ؟ هذا معناه ان الصوفية لم تكن تهتدي الا بهدي فاروق : « هذه هي الصوفية ص ١٨١ .

(١) ان هذه العبارة الغزالية المنحرفة تفيد عجز الاله عن ابداع ما هو احسن ترتيبا وأكمل صنعا من هذا العالم ! والعياذ بالله . ومن كلام الغزالي : « لو اطلعتم الغيب لاخترتم الواقع » ! وهذه العبارة منوم أفيوني خطر الغاية منها الاستسلام للامر الواقع مهما كان فاسدا ، وعدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو من أعظم اركان الاسلام .

(٢) قبح الله هذا الشيخ فانه لم يفرق بين كلام الله ، وكلام الحشاشين !

الى الاسلام اكبر اساءة ، وتشوه معانيه أكبر تشويه ، وتسهم بأكبر نصيب في انهيار المجتمع ، وفي تعطيل سنن الكون والحياة والاخلاق(١) .

والطرق الصوفية في الجمهورية العربية المتحدة والسودان ، وفي المشرق والمغرب الاسلاميين ، قائمة على أسس من الدجل والشعوذة ، والارتزاق والاحتراق ، وفوق هذه كلها ، السيطرة التامة على عقول تابعيها من السذج والجهلة البسطاء !

وهؤلاء التابعون أشبه بقطيع الغنم يخضع لعصا راعيه ، ويستجيب لاشاراتها ، ان حقا وان باطلا ، وان جدا وان هزلا . ورعاة هؤلاء التابعين هم شيوخ الطرق الصوفية ، الذين يوهمون العامة بأنهم انما يسيرون دفة طريقتهم بالهام من الله ، وانهم على صلة بالرسول يتلقون منه التوجيه والارشاد ! ! وعلى صلة بالاقطاب الاربعة المتصرفين في الكون ! وبصاحبة الشورى (السيدة زينب) التي يرجع اليها الاربعة المتصرفون في كل كبيرة وصغيرة (٢) ! ! .

ان لهذه الطرق الصوفية يدا طولى لدى الاستعمار (٣) والحكم الجائر

---

(١) ذكر الاستاذ عبد الرحمن الوكيل في كتابه » هذه هي الصوفية « كيف تنحر الاخلاق على مذبح الصوفية فكان مما قاله :

الشعراني داعية الخطايا الصوفية ، يبشر بها ، ويكافح في سبيل الدعوة اليها ، وعجيب أن ترى الشعراني يعقب على ذكر كل اسم صوفي يتنزى جسده فاحشة بقوله : » رضي الله عنه « اسمع الى الشعراني يبشر بهتك العورة ويعتبرها كرامة : « .. ومنهم — أي من طبقات الاولياء ! ! — الشيخ ابراهيم العريان ، كان يطلع المنبر ويخطبهم عريانا ، فيقول : « السلطان ودمياط ، وباب اللوق ، بين الصورين ، وجامع طولون ، الحمد لله رب العالمين » فيحصل للناس بسط عظيم : « الطبقات للشعراني ١٢٩/٢ ط ابن شقرون.

ويقص الشعراني في طبقاته كرامات سيده علي وحيش ... « كان الشيخ رضي الله عنه!! يقيم عندنا في بنات الخطا ! ! وكان كل من خرج — أي بعد اقتراف جريمة الزنا يقول له : قف ! حتى أشفع فيك ، قبل ان تخرج ، فيشفع فيه ! ! وكان اذا رأى شيخ بلد او غيره ، ينزله من على الحمارة ، ويقول له : أمسك لي رأسها حتى أفعل فيها ، فان أبى شيخ البلد تسمر في الارض لا يستطيع يمشي خطوة ، وان سمح له حصل له خجل عظيم ، والناس يمرون عليه » ١٣٥/٢ الطبقات طبعة صبيح . ومع كل هذا يقول الشعراني عن وحيش : رضي الله عنه ! !

(٢) يا لجريمة هذه الاراء الوثنية ! وكل ما ورد من الاحاديث في وجود هؤلاء الاقطاب فهي باطلة وموضوعة .

(٣) تحدثت دائرة المعارف الفرنسية عن أحد رجال الطرق الصوفية ووصفته بأنه كان من اصدقاء فرانسا المخلصين لها . وذكر كثير من المجاهدين المغاربة بأن الاستعمار الفرنسي كان يتوسع ويمتد بمساعدة رجال هذه الطرق الهدامة . وقد تزوج شيخ الطريقة التيجانية في المغرب امرأة فرنسية كانت توجهه ليحث جماعته على الاستسلام وترك الجهاد . راجع من أجل تفصيل ذلك كتاب « التصوف » للاستاذ فهر شقفة .

المسيطرين على معظم الشعوب المسلمة .

واذا جاز السكوت على هذه الطرق في البلاد الاسلامية التي ليس أمرها بيدها ، فكيف يجوز السكوت عليها في الدول الاسلامية التي أصبح امرها بيدها (١) ، وفي مقدمتها الباكستان وايران (٢) والجمهورية العربية المتحدة .

ان الطرق الصوفية تشيع الجهل والتأخر في البلاد (٣) وليس لها من يد على هذه الامة ، اللهم الا منح شيخ مشايخها « فاروقا » ملك مصر المخلوع شرف الانتساب الى عترة الرسول عليه السلام ! .

والعجيب أن وزارة الاوقاف ووزارة الشؤون الاجتماعية فكرتا في يوم من الايام في اصلاح الطرق الصوفية وتنظيمها ، وعقد كثير من الاجتماعات لهذا الشأن ؟ !

وكأن هذه الطرق ذات شأن حتى تحاول الوزارتان اصلاحها وتنظيمها، وكان الاحرى بالمسؤولين في الوزارتين أن يوقنوا بأن الطريقة وباء يجب القضاء عليه قضاء مبرما ، فيقضي على الدجل والشعوذة ، والبطالة والتشرد ، والفوضى والجهل ، باسم الاسلام ! ! !

---

(١) كم يجدر بالحكومات الواعية الاسلامية الضرب بيد من حديد على هؤلاء المتمشيخين الانتهازيين الذين يخدعون العامة ويأكلون اموالهم بالباطل . (٢) ان في ايران عشا للخيانة والوثنية والتآمر على الاسلام باسم الاسلام !

(٣) قال الدكتور زكي مبارك : في كتابه : التصوف الاسلامي والاخلاق (٢/٢٠٨) : وقد حدث في العام الماضي سنة ١٣٥٤ هـ ان فكرت مشيخة الازهر في مقاومة التصوف مقاومة رسمية ، وكتب فضيلة الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي كتابا في ذلك الى وزير الاوقاف السابق عبد العزيز محمد ! ! » .

فهل لمشيخة الازهر اليوم وعلماء مصر وغيرهم من علماء العالم الاسلامي بمفاوضة الدوائر العلمية والسياسية أن يحيوا فكرة المراغي ويعملوا على محاربة التصوف رسميا وعلميا وشعبيا ، وخاصة في هذا العهد الذي نحارب فيه أعداء مستعمرين ، نحن بأشد الحاجة فيه الى تقوية معنويات شعوبنا وغرس روح الجهاد بين المسلمين . وكل ذلك تحاربه الصوفية بسبب مبادئها الهدامة من اشاعة الفقر والجبن والجهل وفناء الجسم والروح . ورحم الله عالم حماة السلفي محمد سعيد الجابي ، قائد النهضة الدينية فقد قال :

أهذا الذي يرجى لابناء أمة ... تريد خلاصا من مخالب قشعم ! !

ما قيل في الصوفية من الشعر

بعد هذه الرحلة الطويلة الرهيبة في عالم التصوف ، رأيت ان أقدم للقارىء بعض أبيات عن الصوفية للترفيه والمتعة والراحة ، نقلا عن كتاب « تلبيس ابليس » للامام ابن الجوزي رحمه الله .

انشد أبو بكر العنبري لنفسه في الصوفية :

تأملت اختبر المدعين ... بين الموالي وبين العبيد
فألفيت أكثرهم كالسراب ... يروقك منظره من بعيد
فناديت يا قوم من تعبدون ... فكل أشار بقدر الوجود
فبعض اشار الى نفسه ... وأقسم ما فوقها من مزيد
وبعض الى خرقة رقعت ... وبعض الى ركوة من جلود
وآخر يعبد أهواءه ... وما عابد للهوى بالرشيد
ومجتهد وقته زيه ... فان فات بات بليل عنيد
وذو كلف باستماع السما ... ع بين البسيط وبين النشيد
يئن اذا اومضت رنة ... ويزأر منها زئير الاسود
يخرق خلقانه عامدا ... ليعتاض منها بثوب جديد
ويرمي بهيكله في السعير ... لقلع الثريد وبلع العصيد
فيا للرجال الا تعجبون ... لشيطان اخواننا ذي المزيد
يخبطهم بفنون الجنون ... وما للمجانين غير القيود
واقسم ما عرفوا ذا الجلال ... وما عرفوه بغير الجحود
ولولا الوفاء لاهل الوفاء ... سلقتهم بلسان حديد
فمالي يطالبني بالوصا ... ل من ليس يعلم ما في الصدود
اضن بودي ويسخو به ... وقد كنت اسخو به للودود
ولكن اذا لم اجد صاحبا ... يسر صديقي ويشجي الحسود
عطفت بودي مني اليه ... ففاب نحوسي وآب السعود
فما بال قومي على جهلهم ... بعز الفريد وانس الوحيد
اذا أبصروني بكوا رحمة ... ونيران احقادهم في وقود
لاني بعدت عن المدعين ... ولو صدقوا كنت غير البعيد

وأنشد الحسن بن علي بن سيار :

رأيت قوما عليهم سمة الخـ ... ـير بحمل الركاء مبتهلة
اعتزلوا الناس في جوامعهم ... سألت عنهم فقيل متكله
صوفية للقضاء صابرة ... ساكنة تحت حكمه بزله
فقلت اذ ذاك هؤلاء هم الـ ... ـناس ومن دون هؤلاء رزله
فلم ازل خادما لهم زمنا ... حتى تبينت انهم سفله
ان اكلوا كان اكلهم سرفا ... أو لبسوا كان شهرة مثله
سل شيخهم والكبير مختبرا ... عن فرضه لا تخاله عقله
واسأله عن شادن غنج ... مدلل لا تراه قد جهله
علمهم بينهم اذا جلسوا ... كعلم راعى الرعاع والرذله
الوقت والحال والحقيقة والـ ... ـبرهان والعكس عندهم مثله
قدلبسوا الصوف كي يروا صلـ ... ـحا وهم شرار الذباب والحفلة
وجانبوا الكسب والمعاش لكي ... يستأصلوا الناس شرها اكله
وليس من عفة ولا دعة ... لكن تعجيل راحة العطلة
فقل لمن مال باختداعهم ... اليهم تب فانهم بطله
واستغفر الله من كلامهم ... ولا تعاود لعشرة الجهلة

قال الصوري وأنشدني بعض شيوخنا :

أهل التصوف قد مضوا ... صار التصوف مخرقه
صار التصوف صيحة ... وتواجدا ومطبقة
كذبتك نفسك ليس ذا ... سنن الطريق الملحقه
حتى تكون بعين من ... منه العيون المحدقة
تجري عليك صروفه ... وهموم سرك مطرقه

وأنشد ابو اسحاق الشيرازي الفقيه لبعضهم :

زعموا بأنهم صفوا لمليكهم ... كذبوك ما صافوا ولكن صافوا
شجر الخلاف قلوبهم ويحلها ... غرضي خلاف الحق لا الصفصاف

وأنشد او العلاء المعري :

أرى جيل التصوف شر جيل ... فقل لهم واهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه ... كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

محتويات الكتاب